

المسألة رقم ٦٠
غفر الله له ولوالديه

الروض الأثمن

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الرَّوَضُ الْأَنْفُ

فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْلِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَى ٢١٨ هـ

الجزء الرابع

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

يطلب من

دار الكتب الحديثة

١٥ شارع الجمهورية - تلغراف ٩١٦١٠٧

سأبها تونسيتين مضمين

جامعة الكويت
ادارة المكتبات - قسم التزويد المرن
رقم التسجيل ١٧٢٣٨
التاريخ

مفتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الرابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤذيا إلى قومه النصيحة على ما يلقي منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء . وكان عطاء المستهزئين - كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم .

من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - قد دعا عليه لما كان يبخله من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أعم بصره وأثكله ولده .

ومن بنى زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام . قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . ومن بنى خزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو ابن لؤي بن ملكان .

فلما تمادوا في الشرِّ ، وأكثرُوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين .
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾
الحجر : ٩٣ - ٩٥ .

قال ابن إسحاق لخدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره
من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت ،
فقام ، وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه فرمّ به الأسود بن المطلب ،
فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمى ، ومرّ به الأسود بن عبد يثوث ، فأشار
إلى بطنه ، فاستسقى فمات منه حبنا . ومرّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر
جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجرّ سبيله ،
وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة وهو يرش نبالا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ،
فخدش في رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتفض به ، فقتله . ومرّ به
العاص بن وائل ، فأشار إلى أخص رجله ، وخرج على حمار له يريد الطائف ،
فرأى به على شبارقة ، فدخلت في أخص رجله شوكة ، فقتلته ومرّ به الحارث
ابن الأطلالة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخص قتيحا فقتله .

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوالدة وفاة دعا بنيهِ ، وكانوا ثلاثة :
هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أي بني ،

أوصيكم بثلاث ، فلا تُضيّعوا فيهن : دحى في خُزاعة ، فلا تطلّمْهُ ، والله إني لأعلم أهم منه برآء ، ولكنني أخشى أن تُسبّوا به بعد اليوم ، وربّاي في تقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذه ، وعقرى عند أبي أزيهر ، فلا يفوتنّكم به . وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتنا ، ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات .

فلما هلك الوليد بن المغيرة ، وثبت بنو مخزوم على خُزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سهمٌ صاحبكم - وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطاب بن هاشم - فأبت عليهم خُزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغلظ بينهم الأمر - وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خُزاعة - فقال عبدُ اللهِ بن أبي أمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم :

إني زعيم أن تسيروا ، فتتهربوا ، وأن تتركوا الظهران تَعْمَى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا ، وأن تسألوا : أى الأراك أطايبه؟
فإنّا أناسٌ لا نطلّ دماؤنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب ، من خُزاعة . فأجابه الجونُ ابن أبي الجون ، أخو بني كعب بن عمرو الخُزاعي ، فقال :

والله لأنوثي الوليد ظلامه ، ولما قرؤا يوماً نزول كواكبه
وبصرعُ منكم مُسمنٌ بعد مُسمنٍ ، وتفتّح بعد الموت قسراً مشاربه
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم ، فكلّكم باكي الوليد ونادبه

.....

ثم إن الناس تراءوا وعرفوا أنما يخشى القوم السببة ، فأعطتهم خزاعة
بعض العقل ، وانصرفوا عن بعض . فلما اصطلح القوم قال الجون بن
أبي الجون :

وقائلة لَمَّا اصطلحنا تَعَجُّبًا لِمَا قَد حَمَلْنَا للوليد وقائل
ألم تُقسِمْوا تُؤْتُوا الوليدَ ظُلامَةً ولَمَّا تَرَوْا يوماً كثيرَ البَلابل
فنجنَ خَططنا الحربَ بالسُّلْمِ فاستوت فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم
أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبوكده وقومه من ذلك ما حذره ،
فقال الجون بن أبي الجون :

ألا زَعَمَ المُغيرةُ أن كَعْبًا مَكَّةُ منهمُ قَدْرٌ كثيرُ
فلا تَفخِرُ مُغيرةُ أن تراها بها يَمْشِي المُمَلَّحُ والمِهْرُ
بِهَا آباؤُنَا ، وبِهَا وُلْدُنَا كما أُرْسَى بِمَثْبَتِهِ نَبيرُ
وما قال المُغيرةُ ذلك إلا لِيَعْلَمَ شَانُنَا أو يَسْتَشِيرُ
فإن دَمَ الوليدِ يُطَلَّ إِنَّا نَطَلُّ دِمَاءَ انتِ بها خبيرُ
كسَاهُ النانِكُ الميمونُ سَمَها زُعَافًا وهو ممتلىءُ بهيرُ
فخرَ ببطنِ مَكَّةِ مُسَدِّجًا كأنَّهُ عندَ وجبتِهِ بَعيرُ
سَيَكْفِينِي مِطالَ أبي هشام صغارُ جَعْدَةُ الأوبار خورُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أفذع فيه

ثورة لمقتل أبي أزيهر

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق ذى العَجَاز ، وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أزيهر ، وكان أبو أزيهر رجلاً شريفاً في قومه - فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ومضى بدره ، وأصيب به مَنْ أصيب من أشرف قريش من المشركين ؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بني عبد مناف ، وأبو سفيان بن ذى العَجَاز ، فقال الناس : أخفراً أبو سفيان في صهره ، فهو نائر به ، فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منكرراً ، يحب قومه حباً شديداً - انحطَّ سريعاً إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حدثٌ في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد ، في قومه من بني عبد مناف والمطَّيين ، فأخذ الرمحَ من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هدَّه منها ، ثم قال له ؛ قبَّحك الله ! أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دؤس . سنؤتيهم العقول إن قباوه ، وأطفاً ذلك الأمر .

فانبعث حسان بن ثابت يُحَرِّضُ في دم أبي أزيهر ، ويعيرُ أبا سفيان خفرتَه ويُجَنِّبُه ، فقال :

غدا أهلُ صَوْجِي ذى العَجَازِ كِلَيْهِمَا وجارَ ابنِ حَرْبٍ بِالغَمْسِ مَا يَغْدُو
ولم يمنع العَيْرُ الصَّرِوطُ ذِمَارَه ومامنعتِ مَخْرَاةَ وَالِدِهَا هِنْدُ

كسك هشام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلف مثلها جُداً بعدُ
قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخواً ما تحب وما تعدو
فلو أن أشياخا بيدرٍ تشاهدوا كبل نعال القوم مُعْتَبِطٌ وُرد

فلما بلغ أبا سُفيان قولُ حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا
ببعض في رجل من دوس ! بئس والله ماظن !

آية الربا من البقرة

ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد في ربا الوليد ، الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أو صاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم
ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) البقرة : ٢٧٨
إلى آخر القصة فيها .

الهمم بأخذ ثار أبي أزيهر

ولم يكن في أبي أزيهر ثارٌ نعلمه ، حتى حجَّز الإسلامُ بين الناس ، إلا
أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفر من قريش إلى أرض
دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط
النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر ، فقامت دونهم
أم غيلان ونسوة معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

جَزَى اللهُ عَمَّا أُمَّ غَيْلَانَ صَالِحًا وَنَسَوْتَهَا إِذْ هُنَّ شُغِتَّ عَوَاطِلُ
فَهِنَّ دَفَعْنَ الْمَوْتَ بَعْدَ اقْتِرَابِهِ وَقَدْ بَرَزَتْ لِلْمَثَارِينِ الْمَقَاتِلُ
دَعَتْ دَعْوَةَ دَوَسَافَسَالَتِ شِعَابُهَا بَعَزٌ وَأَدَّتْهَا الشَّرَاحُ الْقَوَابِلُ
وَعَمْرًا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا فَمَا وَنَى وَمَا بَرَدَتْ مِنْهُ لَدَى التَّفَاصِلِ
فَجَرَدَتْ سَيْفِي ثُمَّ قَتُّ بِنَصْلِهِ وَعَنْ أَى نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أَقَاتِلُ

عمل أم غيلان

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن التي قامت دون ضرار أم جميل ،
ويقال : أم غيلان ، قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل
فيمن قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أته أم جميل ، وهي ترى أنه أخوه : فلما
انقسمت له عرف القصة ، فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام ، وهو غاز ،
وقد عرفت منك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ،
فجمل يضر به بمرض الرمح ، ويقول : انجُ يا بن الخطاب لا أقتلك ، فكان
عمر يمرفها له بعد إسلامه .

من المؤذنين لرسول الله

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقوبة بن أبي معيط ، وعدى

ابن خُرماء الثَّقَفِيّ ، وابن الأَصْدَاءِ الهِذَلِيّ ، وكانوا جِيرَانَهُ لم يُسَلِّم منهم أحد إلا الحَكَمُ بن أبي العاص ، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رَحِمَ الشاة وهو يُصَلِّي ، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمَتِهِ إذا نُصِبَتْ له ، حتى اتخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثني عمرُ بن عبد الله بن عُرْوَةَ ابن الزبير ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، يخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوارٍ هذا ! ثم يُلقيه في الطريق .

مآعاناہ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب وخديجة

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بهلك خديجة ، وكانت له وَزِيرَ صِدْقٍ على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهلك عمُّه أبي طالب ، وكان له عضداً وَحِرْزاً في أمره ، وَمَنْعَةً وناصراً على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريشٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تَطْمَعُ به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سَفِينُهُ من سُفهاءِ قريش ، فذثر على رأسه تراباً .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفيةُ على رأس رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك الترابُ

دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيته والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنده الترابَ وهي تبكي ، ورسول الله صلى عليه وسلم يقول لها : لا تبكي يا بُنتي ، فإن الله مانعُ أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

ما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم

وبين أبي طالب والمشركين

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر ، قد أسلما وقد فشا أمرُ محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه مناً ، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثني العباسُ بن عبد الله بن مَعْبُد عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبي طالب فكلّموه ، وهم أشراف قومه : عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منّا حيث قد علمت ، وقد حَضَرَكَ ماترى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ له مناً ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا بن أخى : هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليُعطوك ،

.....

ولياخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا ، إن أمرك ليجب : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمُعطيكم شيئًا مما تريدون فانطلقوا ، وانصوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقتوا .

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططًا ؛ فلما قالها أبو طالب ظم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في إسلامه ، فجعل يقول له : أي عم ، فأنت قتلها ، أستعمل لك بها الشفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا ابن أخي ، والله لو لا مخافة السببة عليك ، وعلى بني أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش إنى قتلها جزعا من الموت لقتلها ، لا أقولها إلا لأمرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، قال : نظر العباسُ إليه بحرك شفيعه ، قال له : فأصفي إليه بأذنه ، قال : فقال يا ابن أخي ، والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

بما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال : وأنزل الله تعالى في الرَّهط. الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ماوردوا : « ص . والقرآن ذى الذِّكْر ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) . . إلى قوله تعالى : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ . وانطلقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِمْ كُمْ . إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاد . ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الْآخِرَةِ) يعنون النصارى ، لقولهم : (إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ) - (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) ثم هلك أبو طالب .

عن المستهزئين ومطلبه

فصل : وذكر حديثَ المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنْ كَفَرْنَا مِنْكُمْ آلُ سَيْتٍ مِنْكُمْ ﴾ الحجر : ٩٥ وذكر فيهم الحارث بن الطَّلَاطِلَةَ^(١) ، والطَّلَاطِلَةُ : أمه ، قاله أبو الوليد الوراقى ، والطَّلَاطِلَةُ فى اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كُلهُ داءِ عُضَالٍ فهو : طَّلَاطِلَةٌ ، وذكر فى نسبه عبدَ عمرو بن مِلسكان بالضبطين جميعا ، وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بجر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيب اننعوى أن الناس ليس فيهم مَلَسكان بفتح الميم واللام إلا مَلَسكان بن جرْم بن زَبَّان بن حُلوانِ عمران بن الحُفَافِ بن قُضَاعَةَ ، ومَلَسكانُ بن عباد بن عِيَاضِ ابن عُقْبَةَ بن السَّكُونِ بن أشرس ، وإخوة عدى هم : نُجَيْبِ عَرَفُوا بِأَهْمِهم

(١) هو فى تفسير ابن كثير : ابن غَيْطَلَةَ ، وغَيْطَلَةُ أمه

(م - ٢ الروض الأنف ج ٤)

تُجِيب بنت دُؤم بن ثوبان ، وهم من كِنْدَةَ ، وكل من في الناس وغيرهما
مِلْكَان مَكْسُور الميم ساكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : في خزاعة مَلَكَانُ (١) .
بفتح الميم ، قال القاضي : يعنى ابن حبيب : مَلَكَان بن أَفْصَى بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : إن الذى
في خَزَاعَةَ إنما هو مِلْكَان بن أَفْصَى مثل مِلْكَان بن عدى بن عبد مناف
من الرباب الذين منهم ذُو الرِّمَّة الشاعر ، ومثل مِلْكَان بن عبد مناف من الرباب
أيضاً رَهْط سُفْيَان بن سَعِيد التُّورِي . وذكر في المستهزئين الأسود بن عبد يغوث
الزهري روى أنه لما أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ نزل جبريل
عليه السلام فخفا ظهرَ الأسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالى خالى (٢) ،
فقال له جبريل : خَلَّ عنك ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدارقطني :

(١) ضبط أبو على القالى نقلا عن ابن الأبارى ملكان بن حزم بن زبان
بفتح الميم وسكون اللام في ص ١٩٠ > ٢ وفي ص ٢٠٩ > ٣ قال : كل
ما في العرب : ملكان ، بكسر الميم مع سكون اللام ، إلا ملكان بفتح الميم
وسكون اللام ، بن جرم بن ربان بالجيم والراء في جرم وبالراء في ربان . وقال
السكري في التنبية على أروام القالى في أماليه : الذى في جرم بن ربان هو : ملكان
بفتح اللام والميم ، وليس هو بإسكان اللام كما أورده ، وكذلك ملكان بن عباد
ابن عياض بن عقبة بن السكون ، وهذا باب واسع ، والذى ذكر منه أبو على
برض ، قليل ، من غد ، وغيض من فيض ، ص ١١٦ التنبيه ط ٢

(٢) هو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم لا خاله ، وقد اضطربت الروايات
في مصيره ، فحدها من ما ذكر ابن إسحاق في السيرة ، والثانية هذه التى نقلها السهيلي
عن الدارقطني ، وهى عند ابن أبي حاتم والبلاذرى عن عكرمة ، وأنه حنا ظهره
حتى احقوتف صدره ، أى انحنى ، وأخرى أنه خرج من عند أهله حتى فأصابته

مريت الواليد بن المغيرة :

فصل : وذكر وفاة الوليد بن المغيرة ، وقوله لبنيه : وعقرى عند
أبي أزيهر الدوسي لاتدعوه^(١) العقر : دية الفرج المنصوب ، وأصله
في البكر من أجل التدمية ، ومنه عقر السرج الفرس : إذا أدماه ، وببيضه
العقر منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البكر بالبيضة^(٢) ، ليعرفوا بكورتها ، وقيل :
عقر بضم العين ، لأنه بمعنى يضع .

عن مقتل أبي أزيهر وموقف دوس :

وذكر قتل هشام بن الوليد لأبي أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين
أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دوسا لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدوسي ، وثبت
على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم مجير بن العوام أخا الزبير ،
وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب ، فأجارته أم غيلان وابنها عوف ، قال ضرار :
لقد أذخنتني بين درعها وبدنها ، حتى إنني لأجد تسبيد ركبها ، والتسديد :
موضع الخلق من الشعر ، وكان الذي قتل مجيراً صبيح بن سعد أو مليح
ابن سعد جد أبي هريرة لأمه ؛ لأن أمه أميمة بنت مليح أو صبيح .

== السموم ، حتى صار حبشياً ، فلم يمه أهله ، فصار يطوف بشعاب مكة ، حتى
مات عطشاً ، وأخرى أنه عطش ، فشرب حتى انشق بطنه ، وأخرى . وأخرى .
فهل يسكن قلب إلى مثل هذه المضطربات ؟

(١) الذي في السيرة : فلا يفوتكم .

(٢) في القاموس عن العقر أنه استبراء المرأة ، لينظر أبكر هي أم غير بكر .

عن أطرفا ومن أعظمه أن :

فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماءً يَجِزَعَةَ أَطْرِقًا

وَالجِزَعَةُ وَالجِزْعُ بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابي :
هو ما انثنى منه ، وأطرقا اسم علم لموضع سمى بفعل الأمر اللاتين ، فهو مَحْكِيٌّ
لَا يُعْرَبُ ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين ،
فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطرقا ، أى : أنصتا ، حتى نرى ما هذا
الصوت ، فسمى المكان بأطرقا^(١) ، والله أعلم . وذكر شعر الجون بن
أبي الجون ، وفيه :

ألم تُقْسِمُوا تَوْتُوا الوليد ظُلَامَةً

أراد : أن توتوا ، ومعناه : أن لا توتوا كما جاء في التنزيل : (يُبَيِّنُ اللهُ
لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) النساء : ١٧٦ في قول طائفة ، ومعناه عندي : كره لكم أن
تَضِلُّوا^(٢) ، وقد قدمنا في الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من

(١) هو كما ذكر في مراصد الاطلاع ، وفيه أن أطرقا موضع بنواحي مكة من
منازل خراة وهذيل .

(٢) يقول الليثواوى في تفسير الآية : ه أى يبين الله لكم ضلالكم الذى
من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحتزوا عنه ، وتتحروا خلافه ، أو يبين لكم
الحق والصواب كراهة أن تضلوا ، وقيل : لتلا تضلوا ، فحذف لا ، وهو قول
الكوفيين ،

أسرارها فيه غنية ، وإذا كان الكلامُ محمولا على معناها فالنصب جائزٌ ، والرفع جائزٌ أيضا ، كما أنشدوا :

ألا أيُّ هذا الزَّاجِرِ أَحْضَرُ الوَغَى ^(١)

بنصب : أَحْضَرَ ورفعهُ ، وأنشد سيديويه :

وَنَهَبَتْ نَفْسِي بعدما كِدْتُ أَفْعَلَهُ ^(٥)

يريد : أن أفعله ، وإذا رفعت في هذا الموضع لم يُذهب الرفعُ معنى أن فقد

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكري ، وبنيته :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وبعد :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرنى أبادرها بما ملكت يدي

والبيت من شواهد سيديويه في الكتاب ص ٤٥٢ ج ١ ، ويستدل به الكوفيون على أن الناصبة تعمل في غير المواضع المحدودة ، ودليلهم : أن الشاعر عطف عليه قوله : وأن أشهد . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذف ارتفع الفعل . وقالوا : إن رواية البيت عندهم إنما هي بالرفع . انظر ص ٨٣ ج ١ خزائن الأدب ص ٣٣٨ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ط ١٩١٤ ، ص ٤٥٣ ج ١ الكتاب لسيدويه (٢) هو من شواهد سيديويه . وقد نسبته إلى عمار بن جوين الطائي ، وأوله :

فلم أر مثلها خباسةً واحد

وقد عقب عليه سيديويه بقوله : وحمله على أن : لأن الشعر قد يستعملون

أن همنا مضطربين كثيرا ، ص ١٥٥ ج ١ الكتاب لسيدويه ، وقال عنه اللسان : هو لعمر بن جوين ، أو امرئ القيس ، وفيه : واجد بدلان : واحد ونقل عن سيديويه ما قاله . والخباسة : المغنم .

حكى سيبويه : مره يحفرها^(١) ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريدَ الحالَ أى :
مُرّه حافراً لها ، والثانى : أن يريد : مُرّه أن يحفرها ، وارتفع الفعل لما ذهب
أن من اللفظ ، وبيّن ابنُ جنى الفرقَ بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن
فالفعلُ مستقبل ، وإذا لم تنوِها فالفعل حاضر ، وههنا مسألةٌ من العرب ذكرها
الطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ؟ ماذا على
تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعا ، لأن المعنى
الذى يجلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ؛ إذ لا يستقيم أن تقول : تريد
أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لاتراد .

شعر الجور :

وذكر شعر الجور أيضا ، وفيه :

بها يمشى المُعلِّجُ والمُهَيَّرُ

المهير : ابن المهورة الحرّة والمُعلِّجُ : المتردد فى الإمام^(٢) كأنه منقوت من

(١) ورد قوله هذا فى ص ٥١ ، وما بعدها ج ١ المكتاب اسيدويه ، وهو من
شواهد المذكورة تحت باب : وهذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان
جوابا لامر أو نهي أو استفهام أو تمن أو عرض ،
(٢) فى شرح السيرة لابن ذر الحشنى : والمهير : الصحيح المنسب ، يريد أن أمه
حرّة بهر ، والمعلج : المطعون عليه فى فيه ، وهو الاحق أيضا ، وفى اللسان :
المعلج أن يؤخذ الجلد فيقدم إلى النار حتى يلين ، فيمضغ ، ويبلع ، وكان ذلك
من ما كل القوم فى المجامع . . والمعلج : الذى ولد من جنسين مختلفين ، والذى
ليس بخالص النسب .

أصلين : من العليج لأن الأمة : عليجة ، ومن اللهج^(١) ، كأن واطيء الأمة
قد لهج بها ، فُنِجَتْ لفظ الممهَج من هذين اللفظين .

وفيه :

كما أرسى بِشَبْتِهِ تَمِيرُ

كذا صحت الرواية في أرسى بالتخفيف وهو زحاف داخل على زحاف : لأن
تسكين اللام من مفاعلتين في الوافر زحاف ، ولكنه حسن كثير ، فلما كثرت
شبهه هذا الشاعر بمفاعيل ؛ لأنه على وزنه ، ومفاعيلان يحسن حذف الياء منها
في الطويل ، فيصير فمعلون مفاعيلن فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على
مفاعلتين لأنه بعد السكون في وزن مفاعيلن التي تحذف ياؤها حذفاً مستحسنًا ،
فتدبره ، فإنه مليح في علم العروض^(١) .

من أسواق العرب :

فصل : وأشد الحسن بن ثابت :

(١) من معاني العليج : الرجل من كفار العجم . والاليج : الولوج بالثوب . ولهج
به إذا أغرى به ، فتأبر عليه ، ومن معاني القصيدة كما ذكر الحشني . أرسى : استقر
وثبت ، والزحاف : الذي فيه السم ، والبهير من البهر وهو انقطاع النفس ،
والمسلحب : الممد وبالهاء المهملة ذكره صاحب كتاب العين لاغير . وعند وجهه :
أي سقطته والخوز : العزيرات اللبن
(٢) سبق الكلام عن هذه المصطلحات .

غدا أهل ضَوْجِي ذِي الْمَجَازِ بُسْحَرَةَ^(١)

ضَوْجُ الْوَادِي : جَانِبِهِ ، وَذُو الْمَجَازِ : سَوْقٌ عِنْدَ عَرَفَةَ كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا حَجَّتْ أَقَامَتْ بِسَوْقِ عَكَظٍ شَهْرَ شَوَّالٍ ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى سَوْقِ مَجْنَةَ^(٢) فَتَقِيمُ فِيهِ عَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى سَوْقِ ذِي الْمَجَازِ^(٣) فَتَقِيمُ فِيهِ إِلَى أَيَّامِ الْحِجِّ ، وَكَانُوا يَتَفَاخَرُونَ فِي سَوْقِ عَكَظٍ شَهْرَ شَوَّالٍ إِذَا اجْتَمَعُوا ، وَيُقَالُ : عَكَظَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ إِذَا فَخَرَهُ وَغَلَبَهُ بِالْمَفَاخِرَةِ ، فَسُمِّيَتْ مُعَكَظًا لِذَلِكَ^(٤) .

(١) السحرة : السحر الأعلى . والبيت في النسخ التي بين يدي ، وفي شرح السيرة للخشنى : غدا أهل ضوجي ذى المجاز كليهما .

(٢) في المراصد عن مجنة : اسم سوق للعرب كانت في الجاهلية ، قيل : بمر الظهران . قرب جبل يقال له : الأصفر كانت به تقوم العشر الأواخر من ذى القعدة ، وقبلها من أوله عكاظ ، وقيل مجنة : بلد على أميال من مكة ، وقيل : جبيل بجنب طفيل ، وهو ابني الدبل . ويقول ياقوت في معجمه : وإياه أراد بلال حين كان يتمتل :

ألا ليت شعري هل أبيّن ليلة بواد ، وحولى أذخر وجيليل
ومل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفه على ناحية كيبك عن يمين الإمام على فرسخ . كانت به تقوم في الجاهلية ثمانية أيام ، وقيل : هو ماء من أصل كيبك لهذيل خلف عرفة . وكيبك جبل خلف عرفات مشرف عليه ، قيل هو الجبل الأحمر الذى يجعله الواقف بعرفة في ظهره .

(٤) في القاموس . عكظه يعكظه : حبسه وعركه ، وأهره ورد عليه فخره ، وكغراب : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذى القعدة ، وتستمر عشرين يوما . وتجتمع قبائل العرب ، فيتعاكظون ، أى يتفخرون ويتناشدون .

وذكر :

لَبَلَّ نِمَالَ الْقَوْمِ مُغْتَبِطٌ وَرَدُّ

يعنى : الدَّمَّ الْعَبِيطَ (١).

ما أنزل الله في الربا

فصل : وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم : لا تنفقوا فيها رباً ولا منهر بغي ، وأن في ذلك دليلاً على قدم تحريمه عليهم في شرع إبراهيم عليه السلام ، أوفى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين (٢) وذلك أنه من أقبح الأعمال لما فيه من هدم جانب المروءة ، وإيثار الخرض مع بعد الأمل ، ونسيان بفتة الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبواب الربا للاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة إلى ترك القرض ، وما فيه ، وفي التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٣) البقرة : ٢٧٩ . غضبا منه على أهله ، ولهذا النكته .

(١) الخالص الطرى .

(٢) ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج أحد أسفار العهد القديم الذى بيد اليهود والمسيحيين : « إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذى عندك فلا تكون له كالرأب لا تعذبوا عليه ربا » رقم ٢٦ .

(٣) يقول الإمام ابن القيم حول هذه الآية : « لم يجر هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا ، وقطع الطريق ، والسعي في الأرض بالأسلحة ، لأن كل واحد منهما مفسد في الأرض ، قاطع الطريق على الناس . هذا بقره لهم ، وتسلبه عليهم ، =

حكّلت عائشة لأمّ محبة مولاة زيد بن أرقم : أبلغني زيدا تعني زيد بن أرقم
أن قد أبطل جهاده مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكرت لها عنه
مسألة من البيوع تشبه الربا ، فقالت : أبطل جهاده ، ولم تقل صلّاته ولا صيامه ،
لأن السيئات لا تُحيط الحسنات ، ولكن خصّت الجهاد بالإبطال ، لأنه حرب
لأعداء الله ، وآكل الربا قد أذن بحرب من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع
الضدان ، وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع ، وتلك المسألة
مذكورة في المدوّنة ، لكن إسنادها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس :
والله لقد قال أخي السكامة التي أمرته بها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم : لم أسمع .

== وهذا بائتناه من تفريج كرباتهم إلا بتحصيلهم كربات أشد منها ، فأخبر عن
قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه
وحرب رسوله ، التفسير القيم لابن القيم ص ١٧٢ ط السنة المحمدية ١٣٦٨ ، ١٩٤٩ .
وقد ورد حديث : لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آكل الربا ،
وموكله وشاهديه ، وكاتبه الخ . وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .
- جنبنا الله لعنته .

من معاني قصيدة ضرار بن الخطاب : الشعث : المتغيرات الشعور ، العواطل :
اللاتي لا حلّ لها . الشعاب : جمع شعبة ، وهو مسيل الماء في الحرة ، والقوايل :
التي تقابل بعضها بعضا ، الشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة إلى
السهل . الوقي : الضعف والفتور ، ونصل السيف : حده . وعن شرح السيرة لأبي ذر
سوالقاموس .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم ، لسكانت مقبولةً ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت ، وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أخذَ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ، ولسكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسَلِّمَ مع أن الصحيح من الأثر ، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك^(١) وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١١٣ وثبت في الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، ويفض بك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته في غمراتٍ من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح » وفى الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد ، أنه - عليه السلام - قال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاحٍ من النار يبلغ كعبيه يطفى منه دماغه وفى رواية أخرى : كما يطفى المرجلُ بالقمقم ، وهى مُشْكَلَةٌ^(٢) ، وقال بعض أهل العلم :

(١) أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي - ص - وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية . فقال : أى عم ، قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، فقال النبي - ص - لاستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فنزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قربي من بعد ماتين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : ونزلت فيه : (إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) وقد أخرجه البخارى ومسلم

(٢) لأن المرجل : قدر من نحاس ، والقمقم أيضا : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره . ويكون ضيق الرأس ، ويقول ابن الأثير فى النهاية تعليقا على هذه

الْقُمْمُ : هو البُسرُ الأخضرُ يُطبخُ في المرِّ جَل استعجالاً لنضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة ، وهي أنه قال : يغلى منها دماغه حتى يسيل على قدميه ، ومن باب النظر في حكمة الله ، ومشكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله بجملة ممتحزاً به ، إلا أنه مثبت لقدميه على ملة عبد المطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على ملة عبد المطلب ، فسلط العذابُ على قدميه خاصةً لتثبته إياها على ملة آبائه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١٣ وقد استغفر عليه السلام يوم أحدٍ فقال : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون ، وذلك حين جرح المشركون وجهه وقتلوا عمه . وكثيراً من أصحابه ، ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخةً لاستغفاره يوم أحدٍ ، لأنَّ وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولا ينسخ المتقدم المتأخر ، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفاره لقومه مشروطٌ بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويُقوَّى هذا القول روايةً من روى : اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ، ونحو ذلك ، ووجه

= الرواية : د هكذا روى ، ورواه بعضهم : كما يغلى المرّجَل والقُمم وهو أبين إن ساعدته صحة الرواية ،

ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها ، فنزلت بالمدينة ناسخةً للاستغفار
للمشركين ، فيكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخراً لاسيما ، وهي في سورة
براءة وبراءة ، من آخر ما نزل ، فتكون على هذا ناسخةً للاستغفار بين جميعا ، وفي
الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أبي طالب عند موته ،
وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عمّ قل : لا إله إلا الله كلمة
أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية : أترغبُ عن ملة
عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، وظاهر الحديث يقتضى أن
عبد المطلب مات على الشرك ، ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافا
في عبد المطلب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نُبوّة
محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد^(١) ، فالله أعلم ، غير
أن في مسند البزار ، وفي كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة ، وقد عزّت قوما من الأنصار
عن ميثمهم : لعلك بلغت معهم الكُدَى ، ويروى الكرى بالراء ، يعنى :
القبور ، فقالت : لا ، فقال : لو كنت معهم الكُدَى^(٢) أو كما قال ، مارأيت

(١) النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه لم يكن يعلم شيئا عن نبوته قبل المبعث
تدبر قول ربنا سبحانه : (ووجدك ضالا فهدى) وقوله : (ما كنت تدري
مالكتاب ولا الإيمان) .

(٢) الرواية لو بلغت معهم الكدى ، أو : لو بلغت معهم ، وقد ورد تفسير
الكدى بالقبور عن ربيعة بن سيف من تابعي أهل مصر ، وفيه مقال لا يقدر
في حسن الإسناد ، وفي الرواية أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين سألت فاطمة عن ذلك
أنها قالت له : معاذ الله ، وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر . رواه أبو داود والنسائي .

الجنة، حتى يراها جدُّ أبيك، وقد أخرجه أبو داود، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جدُّ أبيك، وكذلك لم يذكر فيه: ما دخلت الجنة، وفي قوله: جدُّ أبيك، ولم يقل: جدك يعني: أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه، وآمنا به، فالله أعلم، ويحتمل أن يكون أراد تخويلها بقوله، حتى يدخلها جدُّ أبيك، فتتوهم أنه الجد الكافر، ومن جدوده عليه السلام: إسماعيل وإبراهيم، لأن قوله عليه السلام حق، وبلوغها معهم الكُدَى لا يوجب خلودا في النار، فهذا من لطيف الكفاية فافهمه، وحكى عن هشام ابن السائب وأبنته أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم، فقال: يا معشر قريش، أنتم صَفْوَةُ اللَّهِ من خلقه، وقلبُ العرب، فيكم السيد الطاع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المسائر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم بذلكم على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة، والناسُ لكم حزب، وعلى حربكم ألب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية^(١)، فإن فيها مرصاة للرب، وقواما للمعاش، وثباتا للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن في صلة الرحيم منسأة في الأجل، وسعة في العدد، واتركوا البغى والمقوق، ففيهما هلكة القرون قبلكم، أجيئوا الاعمى، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والمات، عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة في الخصاص، ومكرمة في العاَمِّ، وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين.

(١) البنية: الكعبة.

في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء
بأمرٍ قبله الجفنانُ ، وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وإيم الله كافي أنظر إلى
صعاليك^(١) العرب ، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس ،
قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ،
فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا ودورها خرابا ، وضمفاؤها أربابا ،
وإذا أعظمهم عليه ، أخوجهم إليه ، وأبعدم منه ، أخطأهم عنده ، قد تحضته
العربُ وِدَادَهَا ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، دونكم ياممشر قريش
ابن أبيكم ، كونوا له ولاةً ولحزبه مَحَامَةَ ، والله لا يسلك أحدٌ منكم سبيله
إلا رَسَدَ ، ولا يأخذ أحدٌ بهدًيه إلا سَمِدَ ، ولو كان لنفسي مدة ، ولأجلي
تأخير ، لكففتُ عنه الهزاهز^(٢) ، ولدافعتُ عنه الدواهي ، ثم هلك :

تفسير المشي في سورة ص :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم : ﴿ أَنْ امشُوا ، واضربوا على
أهليكم ﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امشوا من المشاء ، لامن المشي
والمشاء : ثَمَاءُ المال وزيادته ، يقال مشى الرجلُ ، وأمشى : إذا ثَمَّ ماله
قال الشاعر :

وكلُّ فتى وإن أمشى وأثرى سَمَخِلْجَةٌ عن الدنيا مُمُون^(٣)

(١) جمع : صعولك : الفقير

(٢) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفي الأصل : عند الهزاهز وهو خطأ

(٣) البيت للناطقة الذبياني ، وبعده :

وكل فتى بما عملت يدها وما أجرت عوامله رهين

وقال الراجز :

والشاةُ لا تمشي على الهملج^(١)

أى : لا تكثر ، والهملجُ : الذئب ، وقاله الخطابي في معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن المشاء والبركة في صبرهم على آلتهم ، وحملها على المشى أظهر في اللغة ، والله أعلم .

تابع المصائب بموت خديجة :

وذكر تتابع المصائب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ، وهى فى الموت ، فقال : تكرهين ما أرى منك يا خديجة ،

(١) الرجز غير منسوب فى اللسان إلى أحد فى مادتى هملج ، ومادة مشى ، وهو فى هذه هكذا :

مشى لا تحسن قولاً ففععى
العير لا يمشى مع الهملج
لا تأمرينى ببنات أسفع

يعنى الغنم ، وأسفع : اسم كبش
وفى مادة هملج :

لا تأمرينى ببنات أسفع
فالشاة لا تمشى مع الهملج

والهملج والسملع : الذئب الخفيف ، وقوله لا تمشى مع الهملج ، أى :
لا تكثر مع الذئب .

الرسول يسعى إلى الطائف

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فتفرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس النُصرة من ثقيف ، والمنة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فتفرج إليهم وحده .

موقف ثقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن

وقد يحمل الله في السكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلمني أنه سيُرزقني معك في الجنة مريم ابنة عمران ، وكلثوم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون ، فقالت . آله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعم خديجة من عنب الجنة (١) .

(١) ليس لهذا سند صحيح

(٣ م - الروض الأتفج ٤)

عُقْدَةَ بَنِي غَيْرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ ،
فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ
لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :
هُوَ يَمُرُّ بِثِيَابِ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؛ وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا
يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ ! وَقَالَ الثَّلَاثُ : وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا . لَنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ
اللَّهِ كَمَا تَقُولُ ، لِأَنْتَ أَكْبَرُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أُرَدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامُ ، وَلَنْ كُنْتَ
تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِّمَكَ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَبُسُ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ — فِيمَا ذُكِرَ لِي — : إِذَا
فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاسْتَمُوا عَنِّي ، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ
عَنْهُ ، فَيُذْثِرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمِ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرًا وَتَمَصَّبُوا

فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَغْرَوْا بِهِ سَفَاهَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ ، يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ ، حَتَّى
اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَجْلَسُوهُ إِلَى حَائِطِ لُعْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا
فِيهِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سَفَاهَةِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ ، فَعَمِدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عَنَبٍ ،
فَجَلَسَ فِيهِ . وَابْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، وَيَرِيَانُ مَالِقِيٍّ مِنْ سَفَاهَةِ أَهْلِ الطَّائِفِ ،
وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِيمَا ذُكِرَ لِي — الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي
جُمَحٍ ، فَقَالَ لَهَا : مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَجْهَانِكَ ؟

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فِيمَا ذُكِرَ لِي : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ
أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حَيَاتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى مَنْ تَكَلِّمَنِي ؟ إلى بَعِيدٍ يَتَجَمَّعُنِي ؟
أم إلى عَدُوِّ مَلَائِكَتِهِ أُمْرِي ؟ إن لم يكن بك على غَضَبٍ فلا أبالي ، ولكن
عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح
عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ،
لك العُتْبَى حتى تَرْضَى ، ولا حول ولا قُوَّةَ إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا ربّيعه ، عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ، ومالقي ، تحركت له رَحْمَتُهُما
فَدَعَا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عَدَّاس فقالا له : خذ قِطْعَانِ مِنَ العَنْبِ ،
فَضَعَهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل
عَدَّاسٌ ، ثم أقبل به حتى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
ثم قال له : كُلْ ، فلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَهُ ، قال : بِاسْمِ
اللَّهِ ، ثم أكل ، فنظر عَدَّاسُ فِي وَجْهِهِ ، ثم قال : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا السَّكَّالِمَ مَا يَقُولُهُ
أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ ، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمِنْ أَهْلِ أَى الْبِلَادِ
أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ، وما دينك ؟ قال : نَصْرَانِي ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى
فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟
فقال له عَدَّاسُ : وما يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عليه وسلم ذاك أَخِي ، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ ، فَأَكْبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ .

قال : يقول ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أَمَا غلامك فقد أفسده عليك .
فلما جاءها عَدَّاسُ ، قال له : ويلك يا عَدَّاسُ ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرجل
ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني

بأمر ما بعلمه إلا نبيّ ، قال له : ويحك يا عدّاس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإنّ دينك خير من دينه .

أمر جن نصيبين

قال : ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير تقيف ، حتى إذا كان بتخلة قام من جوف الليل يصلي ، فرآه به النفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما قرع من صلواته ولّوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقصّ الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَيُجِرُّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه على القبائل

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم ، إذا كانت ،

هل قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبيّ مُرْسَل ، ويسألهم أن
يصدّقوه وَيَمْنَعُوهُ حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن
ربيعة بن عبادِ الدَّيْلِيِّ أو مَنْ حدثه أبو الزناد عنه - قال ابن هشام : ربيعة
ابن عباد .

قال ابن إسحاق : وحدثني حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ،
قال : سمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لغلام شاب مع أبي بَيْمَى ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول :
يا بني فلان ، إني رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا به شيئاً ،
وَأَنْ تَخْلَعُوا ما تَعْبُدُونَ من دونه من هذه الأنداد ، وَأَنْ تَوَافُوا بي ، وتصدّقوا
بي ، وتمنعوني ، حتى أُبَيِّنَ عن الله ما بعثني به . قال : وخلفه رجل أحولُ
وَضِيءٌ ، له غديرَتان عاياه حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ ، فإذا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
مَنْ قوله ، وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم
أَنْ تَسْلُخُوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بنى مالك
ابن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تُطِيعُوهُ ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، مَنْ هذا الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول ؟ قال :
هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

• • • • •

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقْيَشِ يُقْتَعُ خَلْفَ رَجَائِهِ بِشَنِّ

قال ابن إسحاق : حدثنا ابنُ شهاب الزهريّ : أنه أتى كِنْدَةَ في منازلهم ،
وفيهم سيّد لهم يقال له : مُبَيِّحٌ ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ،
فأبوا عليه .

العرض على بني كلب

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين :
أنه أتى كَلْبًا في منازلهم ، إلى بَطْنٍ منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقولُ لهم : يا بني عبد الله ، إن الله عزّ وجلّ
قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

العرض على بني حنيفة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنَيْفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبح عليه رداً منهم .

العرض على بني عامر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم
إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم - يقال له :

بَيْحَرَةَ بْنِ فِرَاسٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فِرَاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ
ابْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَمُوعَةَ : وَاللَّهِ ، لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى
مِنْ قُرَيْشٍ ، لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ نَابِعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ،
ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ، أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : الْأَمْرُ إِلَى
اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : أَقْنِدِيفٌ نَحُورُنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ ، فَذَا
أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لغيرِنَا ! لِاحْتِاجَةِ لَنَا بِأَمْرِكَ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ .

فلما صدر الناسُ رجعتُ بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم ، قد كانت أدركتُهُ
اللسن ، حتى لا يقدر أن يوافقَ معهم المواسمَ ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثواهُ
بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العامَ سألهم عما كان
في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قُرَيْشٍ ، ثم أخذُ بنو عبدِ المطلبِ ، يزعم
أنه نبيٌّ ، يدعوننا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع
للشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلافٍ ، هل لِدُنَابَاهَا
من مَطْلَبٍ ، والذي نفسُ فلان بيده ، ما تقولها إسماعيليَ قَطً ، وإنما لحتى ،
غابن رأيكم كان عنكم .

عرض على العرب في المواسم

قال ابن إسحاق : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ،
كلما اجتمع له الناسُ بالموسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ،
ويقرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع

.....

بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدّى له ، فدعاه إلى الله .
وعرض عليه ما عنده .

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، ثم الظفري .
عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قدم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجاً أو مُعتمراً .
وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، بجلده وشعره وشرفه ونسبه ،
وهو الذي يقول :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرَى ،
مَقَالَتَهُ كَالشَّهَدِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالغَيْبِ مَا ثَوَّرَ عَلَى نُفْرَةِ الدَّجْرِ ،
يُسْرَكَ بِأَدِيهِ وَتَحْتَ أَدِيهِ نَمِيمَةٌ غَشَّ تَبْتَرَى عَقَبَ الظَّهْرِ ،
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ مِنْ أَلِغْلٍ وَالْبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ ،
فَرَشَنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدِ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مِنْ بَرِيشٍ وَلَا يَبْرَى .

وهو الذي يقول : ونافر رجلاً من بني سليم ، ثم أحد بني زعب بن
مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضت له . فانصرف عنها هو
والسلمي ليس معهما غيرها ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالي ، يا أخاه .
بني سليم قال : أبعثُ إليك به ؛ قال : فمن لي بذلك إذا فُتني به ؟ قال : أنا .

قال: كلا، والذي نفس سُوَيْدٍ بيده، لانفارقني حتى أوتى بمالي، فأخذنا
فضرب به الأرض، ثم أوقفه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف،
فلم يزل عنده حتى بعثت إليه مُسَلِّمٌ بالذي له، فقال في ذلك:

لَا تَحْسَبْنِي يَا بَنَ زُرْعَةَ بْنِ مَالِكٍ كَمَنْ كُنْتُ تُرْدِي بِالْغُيُوبِ وَتَحْتَلُّ
تَحَوَّلَتْ قِرْنَانَا إِذْ صُرِعَتْ بَعْرَةٌ كَذَلِكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوَّلَ
ضَرَبْتُ بِهِ إِبْطَ الشَّمَالِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَدَهُ هُوَ أَسْفَلَ
فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ كَانَ يَقُولُهَا .

فعمدني له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به، فدعاه إلى الله
وإلى الإسلام، فقال له سُوَيْدٌ: ففعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم: وما الذي معك؟ قال مجلَّةٌ لقمان - يعني حكمة لقمان .
فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اعرضها عليّ فعرّضها عليه، فقال له:
إن هذا الكلامُ حسنٌ، والذي معي أفضلُ من هذا، قرآنُ أنزله الله تعالى عليّ،
هو هُدًى ونور . فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى
الإسلام، فلم يَبْعد منه، وقال: إن هذا القولُ حسنٌ . ثم انصرف عنه، فقدم
المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخَزْرَجُ، فإني كان رجالٌ من قومه
ليقولون: إنا لنراه قد قُتل وهو مُسلمٌ . وكان قُتلُه قبل يوم بُعث .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحَصِين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن مُعَاذ عن محمود بن لبيد ، قال : لما قَدِمَ أبو الحَيْسِر ، أنسُ بن رافع ، مكةَ ومعه فِثْيَةٌ من نبي عَبدِ الأشْهَل ، فيهم إياس بن مُعَاذ ، يلتَمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخُزْجِ ، سَمِعَ بهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذلك ؟ قال : أنا رسولُ الله بعثني إلى العباد ، أَدْعُوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس ابن مُعَاذ ، وكان غلاماً حَدِثنا : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فمأخذ أبو الحيسر ، أنسُ بن رافع ، حَفَنَةٌ من تراب البطحاء ، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعَاذ ، وقال : دَعْنَا منك ، فَلَمَمَرِي . لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعَاثَ بين الأوس والخُزْجِ .

قال : ثم لم يلبث إياس بن مُعَاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني مَنْ حَضَرَهُ من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعون به هَلَلُ الله تعالى ويكبره . ويحمده ويُسَبِّحُه حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً ، لقد كان اشتد شعر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

.....

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه ، وإعزاز نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإيجاز مواعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في الموسم الذي لقيه فيه النَّفَرُ من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كلِّ موسم . فبينما هو عند العقبة أتى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أم من موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون ؟ قالوا : بل . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوثاً الآن ، قد أظل زمانه ، ننبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تملّموا والله إنه للنبيّ الذي توعدّكم به يهود ، فلا تسبّوكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولاقوم بينهم إيمان العداوة

والشر ما بينهم ، فمسي أن يجتمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فنذعوهم إلى
أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجتمعهم الله عليه
فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ،
وقد آمنوا وصدّقوا .

أسماء الخزرجيين الذين اتقوا بالرسول عند العقبة

قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذكر لي : ستة نفر من الخزرج ، منهم من
بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن
الخبزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زُرارة بن عدس بن عبيد
ابن ثعلبة بن غم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث
ابن رفاعة بن سواد بن مالك بن غم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفران
قال ابن هشام : وعفران بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن غم
ابن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن
عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن
العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بن الأزرق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن ساردة بن يزيد
ابن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة
ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة :
عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بنى عبید بن عدی بن غنم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبد الله
ابن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبید .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاهم إلى الإسلام حتى فتنا فيهم ، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلا وفيها
ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسندكر السبب في تسميتها بالطائف ، وأن الدمون !! رجل من الصديق
من حضر موت نزلها ، فقال لأهلها . ألا ابني لكم حائطا يطيف ببلدتكم
فيناه ، فسميت : الطائف ، وقيل غير ذلك مما سندكره .

وقوله : فيذئرها عليه ، قد فسره ابن هشام ، وأنشد :

ذُرُّوا لقتلي عامرٍ وتعضبوا

وفي الحديث لما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال :
ذئير النساء على أزواجهن ، وفسره أبو عبيد بالشُّوز على الأزواج ، وأنشد
البيت الذي أنشده ابن هشام ، ومعنى كلامهما واحد .

وذكر مالقي من أشراف ثقيف ، وذكر موسى بن عقبة زيادةً في الحديث
حين أغرَّوا به سفهاءهم ، قال : وكان يمشى بين سباطين منهم ، فكلموا نَقَلُوا
قدما ، رَجَمُوا عَرَاقِيْبَهُ بالحجارة ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وذكر التَّيْمِيُّ
كما ذكر ابن عقبة ، وزاد قال : كان إذا أذَلَّقْتَهُ^(١) الحجارة ، قعد إلى الأرض ،
فيأخذون بِعَضِدِيهِ^(٢) ، فيقيمونه فإذا مشى رَجَمَوْهُ ، وهم يضحكون حتى انتهى
إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحاق من حائط عُتْبَةَ وشَيْبَةَ .

قال ابن إسحاق : فجلس إلى ظل حَبَلَةٍ ، والحَبَلَةُ الكَرْمَةُ ، اشتق اسمها
من الحَبْل ، لأنها تحمل بالعنب ، ولذلك فتح حَمْلُ الشجرة والنخلة ، فقيل :
حَمْلٌ بفتح الحاء تشبيها بحَمْلِ المرأة ، وقد يقال فيه : حَمِلَ بالكسر تشبيها بالحَمْلِ
الذي على الظهر^(٣) ، ومن قال في الكرمة حَبَلَةٌ بسكون الباء ، فليس بالمعروف ،

(١) في النهاية لابن الأثير : « في حديث ما عز : فلما أذَلَّقْتَهُ الحجارة جمر
وفر ، أى بلغب منه منتهى الجهد حتى قلق . »

(٢) فيها أربع لغات : كسر الضاد وضهها وسكونها مع فتح العين ، وبضم
العين مع سكون الضاد

(٣) في إصلاح المنطق لابن السكيت : الحمل - بفتح الحاء - ما كان في بطن ،
أو على رأس شجرة ، وجمعه أحمال ، والحمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر
أو رأس

وقد قال أبو الحسن بن كيسان في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع حَبَلِ الحَبَلَةِ^(١)، إنه بيع العنب قبل أن يطيب ، كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه ، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث ، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه - وقد قيل له : قسمها على الذين افتتحوها - فقال : والله لأدعئها حتى يجاهد بها حَبَلِ الحَبَلَةِ ، يريد : أولادها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال ، والقول الذي ذكره أبو الحسن في حَبَلِ الحَبَلَةِ وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخولُ الماء في الحَبَلَةِ ، حتى قالوا فيه أقوالاً كلها هباء ، فمنهم من قال : إنما قال الحَبَلَةُ لأنها بهيمة أو جنيينة ، ومنهم من قال : دخلت للجماعة ، ومنهم من قال : للمبالغة ، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله : حَبَلِ الحَبَلَةِ ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني ، وتبطل أيضاً على من قال أراد : معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم ، وإنما النكتة في ذلك أن الحَبَلِ مادام حَبَلًا لا يدري : أذكرُ هو أم أنثى ، لم يُسمَّ حَبَلًا ، فإذا كانت أنثى ، وبلغت حد الحمل ، فعجلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه ، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة ، فعبر عنه بالحَبَلَةِ ، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع حَبَلِ الجَنِينَةِ التي كانت حَبَلًا لا يعرف ماهي ، ثم عرف بعد الوضع ، وكذلك في الأدميين ، فإذا لا يقال لها : حَبَلَةٌ إلا بعد المعرفة بأنها أنثى ،

(١) في القاموس : الحَبَلَةُ - بضم الحاء - الكرم أو أصل من أصوله ، والحبل محرّكة : شجر العنب ، وربما سكن

وعند ذكر الحبل الثاني لأن هذه الأثى قبل أن تحبل ، وهي صغيرة : رِخْلِي ، وتسمى أيضا حائلا وأشباه ذلك ، وقد زال عنها أسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حملها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التي كانت فيها حبلا فُرقق بين اللفظين بتاء التانيث ، وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الأثى بالتاء دون اللفظ الذى لا يُدرى ما هو : أذكر أم أنتى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لا يقدر قدره فى البلاغة إلا هالم بجوهر الكلام .

نور الله ووجهه

فصل : وذكر دعاءه - عليه السلام - عند الشدة ، وقوله : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ويُسأل عن النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ، أما الوجه إذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة ، فهو ينقسم فى الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل ، كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ فالطلب فى هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد الفامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يُرِكَ وَجْهَهُ ، فأفاد قوله : بوجهك ها هنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هُراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لا تنفد إلا تأكيدها للكلام ،

وهذا قولٌ من غلظ طبعه وبعُد بالعُجْمَة عن فهم البلاغَة قلبه وكذلك قال هو
ومن قلّده في قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن : ٢٧ أى
يبقى ربك ، وكلّ شىء هالك إلا وجهه ، أى : إلا إياه ، فعلى هذا قد خلا ذكره ،
الوجه من حِكْمَة ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم ،
ولكن هذا هو الموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به ما ظهر إلى
القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة ما ظهر من الشىء
سمعقولا كان أو محسوسا ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أى :
الظاهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب ما ظهر إلى بصرك منه ، والبصائر
اللتحيط بأوصاف جلاله ، وما يظهر لها من ذلك أقل مما يفيب عنها ، وهو
الظاهر والباطن - تعالى وجلّ - وكذلك فى الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه
إنما هو نظر إلى ما يرون من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب
دونهم ، وما لا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام ﴾ الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ لما كانت السموات والأرض ، قد أظهرت من
قدرته وسلطانه ، ما أظهرت أخير تعالى أن فناءها لا يُغيّر ما علم من سلطانه وظهر
إلى البصائر من جلاله ، فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها ، وهو باق بعد
فنائها كما كان فى القِدم ، فهو ذو الجلال والإكرام ، قال الحسن : معناه : تجلّل
بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعري فذهب فى معنى الوجه
إلى ما ذهب فيه من معنى العين والليد ، وأنها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة
(م ٤ — الروض الائق ج ٤)

العقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عَجْمَةٌ أيضاً فإنه نزل بلسان عربي مبين ، فقد فهمته العرب لما نزل بلسانها ، وليس في لغتها أن الوجبة صفة ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر في معنى هذه الآي التي احتجج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شكاً ولا تشبيهاً ، فلم يستفسر أحدٌ منهم رسول الله عليه السلام ، ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس ^(١) ، ولا الكافر في ذلك

(١) كلامه هنا جيد ، ولقد سألت الصحابة عن المحيض ، والانفال واليتامى ، والقتال في الشهر الحرام ، وعن الخمر والميسر ، وعمما ينفقون ، وعن غير ذلك كما بين كتاب الله ، والمتدبر لما أثبتته القرآن من أسئلتهم لا يجد من بينها سؤالاً عن عين الله أو وجهه أو يديه مما يؤكد أنهم آمنوا بأن الله سبحانه كل هذا الذي ذكر في القرآن ، وأنهم آمنوا بأن ما يضاف إلى الخلاق لا يمكن أن يكون مشبهاً لما يضاف إلى الخلق ، لأن الله يقول (ليس كمثله شيء) ولأن العقل الصحيح يحيل ذلك

أما الأشعري فهو على بن إسماعيل بن إسحاق وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ أو ٢٦٠ هـ وقد أقام على دين المعتزلة قرابة أربعين عاماً ، ثم غاب عن الناس مدة خمسة عشر يوماً ، ثم خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة ، فصعد على منبره ونادى بصوت جهورى : أنا فلان بن فلان ، اشهدوا على أني كنت على غير دين الإسلام ، وأنى قد أسلمت الساعة . وأنى تائب عما كنت أقول بالاعتزال ، ثم نزل ، ومضى يؤلف الكتب ضد المعتزلة والرافضة والجهمية والخواارج ، ولكن كان لا يزال يعاني مسأمن الاعتزال بدا في تأويله لبعض الصفات فكان مذهبه مزيجاً من آراء المعتزلة وآراء المحدثين ، ثم انتهى به الأمر إلى تأييد مذهب أهل السنة في الصفات . وإليك ما انتهى إليه أمره في أمر الصفات الإلهية : د إن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم ==

== أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا من القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار ، ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : (لما خلقت بيدي) وأنكروا أن يكون له عين مع قوله (تجرى بأعيننا) ، (ولتصنع على عني)

وبعد أن أصدر حكمه على مؤولة الصفات ومعطتها بالزيغ قال : • فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فمرفرنا قولكم الذي به تقولون ودبائتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقوله به ، ودبائتنا التي تدين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، ثم فصل معتقده تفصيلاً واضحاً ، ورد في قوة على مؤولة الصفات ، وإليك بعض ما قاله : • فن سألنا ، فقال : أتقولون : إن الله سبحانه وجهاً ؟ قيل له نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون . وقد دل على ذلك قول الله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإن سئلنا : أتقولون إن الله يدين ؟ قيل نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : (يد الله فوق أيديهم) وقال عز وجل : (لما خلقت بيدي) وقال عز وجل : (بل يدها مبسوطتان) الخ . وقد ذكر كل هذا في كتابه الإبانة تحت هذا العنوان • باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين ، كما فصل معتقده في كتابه (مقالات الإسلاميين ، وقد ورد معتقده في كتاب الإبانة من ص ٧ إلى ص ٤١ وهو مطبوع سنة ١٣٤٨ . أما في مقالات الإسلاميين فقد ورد في ص ٣٣٠ وما بعدها ١٠ من طبع النهضة . وانظر أيضاً تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري للإمام ابن عسكاز فقد فصل ما ذكره الأشعري في الإبانة ، وانظر كتاب الصفات الإلهية ، فقد استقصيت فيه القول عن الصفات عن ==

الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا في قوله تعالى : ﴿إنكم

أكثر أئمة الأشاعرة كالباقلاني والجويني وابن فورك والرازي والغزالي .
هذا وقد فصل الإمام الجليل ابن القيم آراء المؤولة والمعطلة في الصفات
كتابها الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة ط السلفية سنة ١٣٤٨ وإليك بعض
ما ذكره باختصار « وجه الرب جل جلاله حيث ورد في الكتاب والسنة ،
فليس بمجاز بل على حقيقته ، واختلاف المعطلون في جهة التجوز في هذا فقالت
طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : وبقي ربك . . وقالت فرقة أخرى منهم
الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه ، وقالت
فرقة : ثوابه ، وجزاؤه ، فجعله مؤلأ مخلوقا منفصلا ، قالوا : لأن المراد هو
الثواب ، وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها ، ثم ذكر
الإمام ابن القيم مارد به عثمان بن سعيد الدرامي على بشر المريسي فقال : ولما فرغ
المريسي من إنكار اليبدين ونفيهما عن الله أقبل قبل وجهه الله ذى الجلال والإكرام ،
لينفيه عنه ، كما نفى عنه اليبدين ، فلم يدع غاية في إنكار وجهه الله ذى الجلال
والإكرام والجنود به حتى ادعى أن وجهه الله الذى وصفه بأنه ذو الجلال
والإكرام مخلوق ، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقه يتوجه بها إليه ، وثواب
ولانعام مخلوق يثيب به العامل ، وزعم أنه قبلة الله ، وقبلة الله لاشك مخلوقه .
ثم ذكر بالتفصيل مارد به الدرامي على المريسي لإثبات أن الله وجهها حقيقة
لا مجازا ستة وعشرين وجها منها : أن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وجميع
أهل السنة والحديث والائمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على
أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي « ص »
والصحابه : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فروى مسلم في صحيحه بإسناده
عن النبي « ص » ، في قوله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه
الله تعالى ، فن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ولا سيما إذا أنكر
الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد ص ١٧٤ وما بعدها ص ٢ الصواعق
المرسله ،

وما تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿ الأنبياء : ٩٨ ولا قال أحدٌ منهم :
يزعم محمد أن الله ما يشبهه شيء من خلقه ، ثم يُثبت له وجها ويدين إلى غير
ذلك فدل على أنهم لم يَرَوْا في الآية إشكالا ، وتلقَّوا معانيها على غير التشبيه ،
وعرفوا من سَمَانَةِ الكلام ، ومَلاحة الاستعارة أنه مُعْجِزٌ ، فلم يَتَعَاطَوْا له
مُعارضة ، ولا توهَّوا فيه مُناقضة ، وقد أملينا في معنى اليدين واليمين مسألة
بديعة جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النورُ فعِبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية ، وبه أشرقت
الظلمات ، أى أشرقت محلها وهى القلوب التى كانت فيها ظلماتُ الجهالة
والشكوك ، فاستنارت القلوبُ بنور الله ، وقد قال المفسرون فى قوله تعالى :
﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ أى : مَثَلُ نُورِهِ فى قلب فى المؤمن كَمِشْكَاةٍ ، فهو إذا
نور الإيمان والعرفة : المَجْلَى لكل ظلمةٍ وشك ، قال كعب : المِشْكَاةُ
مَثَلٌ لِقَهْمِهِ ، والمصباحُ مَثَلٌ للسانه ، والزجاجة : مَثَلٌ لصدْرِهِ ، أو لقلبه أى :
قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أَعُوذُ بنور وجهك ، ولو قال : بنورك
لحسن ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته
وإلى فضله ورحمته بفضله ورحمته ، وقد تكون الظلماتُ هاهنا أيضاً الظلماتُ
المحسوسة وإشراقها جلالها على خالقها ، وكذلك الأنوار المحسوسة ، الكلُّ
دالٌّ عليه فهو نور النور ، أى : مظهره مُنَوَّرُ الظلمات ، أى جاعلها نوراً
فى حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى (١) .

(١) الله نور : رد الإهام ابن القيم على من زعم أن هذا الاسم مجاز فى كتابه =

== والصواعق، ردا عظيما، ولإليك بعض ما ذكره « إن النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الاسم بما تلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه في أسمائه الحسنی .. ومحال أن يسمى نفسه نورا، وليس له نور ولاصفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون عليما قديرا سميعا بصيرا، ولا علم له ولا قدرة بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لشبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعاً فتمين الأول، ثم يقول: « إن النبي «ص» لما سأله أبوذر هل رأيت ربك، قال: « نور أنى أراه، رواه مسلم في صحيحه، وفي الحديث قولان: أحدهما: أن معناه: ثم نور، أى: فهناك نور منغى رؤيته، ويدل على هذا المعنى شيئان أحدهما: قوله في اللفظ الآخر في الحديث. رأيت نورا، فهذا النور الذى رآه، هو الذى حال بينه وبين رؤية الذات. الثانى: قوله فى حديث أبى موسى: « إن الله لا ينام، ولا يفتنى له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، رواه مسلم فى صحيحه .. المعنى الثانى فى الحديث أنه سبحانه نور، فلا يمكنى رؤيته، لأن نوره الذى لو كشف الحجاب عنه لأحرقت السموات والأرض وما بينهما ما مانع من رؤيته، فإن كان المراد هو المعنى الثانى، فظاهر، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان نور الحجاب مانعا من ذاته، فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب، بل الحجاب إنما استنار بنوره، فإن نور السموات إذا كان من نور وجهه — كما قال عبد الله بن مسعود — فنور الحجاب الذى فوق السموات أولى أن يكون من نوره، وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور؟ هذا أبين المحال، وعلى هذا، فلا تناقض بين قوله: «ص»: رأيت نورا، وبين قوله: « نور أنى أراه، فإن المنفى مكافئة للرؤية الذات المقدسة، والمثبت: رؤية ما ظهر من نور الذات، ثم يقول: « ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أن النبي «ص» كان يقول إذا قام من الليل: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، الحديث وهو يقتضى أن كونه =

== نور السموات والأرض مغاير لكونه رب السموات والأرض ، ومعلوم أن إصلاحه السموات والأرض بالأنوار وهدايته لمن فيها هي ربوبيته ، فدل على أن معنى كونه نور السموات والأرض أمر وراء ربوبيتهما ، ثم ذكر ما نقله ابن فورك عن مذهب الأشعري في هذا ، فقال : « إن المشهور من مذهبه - يعنى مذهب الأشعري - بأن الله سبحانه نور لا كالأنوار حقيقة لا بمعنى أنه هاد ، وعلى ذلك نص - أى الأشعري - في كتاب التوحيد في باب مفرد لذلك تكلم فيه على المعزلة ، إذ تأولوا ذلك على معنى أنه هاد ، فقال : إن سألت عن الله عز وجل أنور هو ؟ قيل له : كلامك يحتمل وجهين إن كنت تريد أنه نور يتجزأ يجوز عليه الزيادة والنقصان ، فلا وهذه صفة النور الخلق ، وإن كنت تريد معنى ما قاله الله سبحانه : (الله نور السموات والأرض) فأنه سبحانه نور السموات والأرض على ما قال ، فإن قال : فما معنى قولك : نور ؟ قيل له : قد أخبرناك ما معنى النور الخلق ، وما معنى النور الخالق ، وهو سبحانه الذى ليس كمثله شئ ، ومن تعدى أن يقول : الله نور ، فقد تعدى إلى غير سبيل المؤمنين ، لأن الله لم يكن يسمى نفسه لعباده بما ليس هو به ، فإن قال لا أعرف النور إلا هذا النور المسمى المتجزى ، قيل له : فإن كان لا يكون نور إلا كذلك ، فكذلك لا يكون شيئاً إلا وحكمه حكم ذلك الشئ ، ثم قال ابن فورك : فإذا قال الله عز وجل : إني نور ، قلت : أنا هو نور على ما قال سبحانه وتعالى ، وقلت أنت ليس هو نوراً ، فمن المثبت له على الحقيقة : أنا أو أنت ؟ وكيف يتبين الحق فيه إلا من جهة ما أخبر الله سبحانه ، والدافع لما قال الله كافر بالله ، ثم ذكر ابن القيم ما يأتي : « وقال أبو بكر بن العربي : قد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور على ستة أقوال ، الأول : معناه : هاد ، قاله ابن عباس ، والثاني معناه : منور ، قاله ابن مسعود . : . والثالث ، مزين ، وهو يرجع إلى معنى منور قاله أنى بن كعب ، الرابع : أنه ظاهر ، الخامس : ذو النور . السادس : أنه نور لا كالأنوار ، قاله أبو الحسن الأشعري قال : وقالت المعزلة : لا يقال له نور إلا بإضافة ، قال : الصحيح عندنا أنه نور ، لا كالأنوار ، لأنه حقيقة ، ==

فهر عِدَّاس

فصل : و ذكر خبر عِدَّاس غلام عُثْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنِي رَيْمَةَ حِينَ جَاءَ بِالْقِطْفِ مِنْ عِنْدِهَا إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، وَفِيهِ قَبُولُ هَدِيَّةِ الْمُشْرِكِ ، وَأَنْ لَا يَتَوَرَّعَ عَنْ طَعَامِهِ ، وَسَيَأْتِي اسْتِقْصَاءُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَزَادَ التَّيْمِيُّ فِيهَا أَنَّ عِدَّاسًا حِينَ سَمِعَهُ يَذْكُرُ يُونُسَ بْنَ مَتَّى قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْهَا يَعْنِي : نَيْتَوِي (١) ، وَمَا فِيهَا عَشْرَةٌ يَعْرِفُونَ : مَا مَتَّى ، فَمَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ أَنْتَ مَتَّى ، وَأَنْتَ أُمِّي ، وَفِي أُمَّةٍ أُمَّيَّةٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : هُوَ أَخِي ، كَانَ نَبِيًّا ، وَأَنَا نَبِيٌّ ، وَذَكَرُوا أَيْضًا أَنَّ عِدَّاسًا لَمَّا أَرَادَ سَيْدَاهُ الْخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ أَصْرَاهُ بِالْخُرُوجِ مَعَهُمَا فَقَالَ لهُمَا : أَقْتَالُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيْتَهُ بِحَانِطٍ - كَمَا تَرِيدَانِ ، وَاللَّهِ مَا تَقُومُ لَهُ الْجِبَالُ ، فَقَالَا لَهُ : وَيَنْحَكَ يَا عِدَّاسُ : قَدْ سَجَرَكَ بِلِسَانِهِ ، وَعِنْدَ مَا لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، مَا لَقِيَ ، وَدَعَا بِالْدَعَاءِ (٢) الْمَتَّقِمِ ، نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيْلُ وَمَعَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ

وَالْعُدُولِ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى أَنَّهُ هَادٍ وَمُنُورٌ ، وَمَا شَبَّهَ ذَلِكَ هُوَ مَجَازٌ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ لَا يَبْصَحُ ، ثُمَّ ضَعَفَ مَا نَقَلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، لِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ - رَاجِعُ الْجُزْمِ الثَّانِي مِنَ الصَّوَابِقِ الْمُرْسَلَةِ مِنْ ص ٢٨٨ إِلَى ص ٢٠٥ .

(١) تروى بضم النون أيضا والفتح أشهر والخشني .

(٢) لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبراني عن عبد الله بن جعفر .

عليك من أحدٍ؟ فقال: لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرَّضتُ نفسي على ابن عبدِ يالِيلِ بن عبدِ كَلالٍ، فلم يجِبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي، وأنا مهموم، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بقرنِ الثَّعَالِبِ^(١)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملكَ الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملكُ الجبال، فسَلَّمَ عَلَيَّ فقال: يا محمد ذلك لك، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً. هكذا قال في الحديث: ابن عبدِ كَلالٍ، وهو خلاف مانسبه ابن إسحاق.

عن نصيبين:

فصل: وذَكَرَ حديث وفد جنِّ نصيبين، وما أنزل الله فيهم، وقد أُملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفاً من أخبارهم وبيننا هنالك أسماءهم، ونصيبين مدينة بالشام أتت عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: رفعت إلى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها، وينضُر شجرها، ويطيب ثمرها أو قال: ويكثر ثمرها، وتقدم في أسمائهم ما ذكره، ابن دُرَيْدٍ. قال: هم: منشى وماشى وشاصر وماصر والأحقب، ولم يزد على

(١) هي ميقات أهل نجد تلتقاء مكة على يوم وليلة.

تسمية هؤلاء ، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم ، وفي الصحيح أن الذي أذن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجن ليلة الجن شجرة ، وأنهم سألوه الزاد ، فقال :
« كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدهم . أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعر
علف لدوابهم . زاد ابن سلام في تفسيره أن البعر يعود خضراً لدوابهم ،
شم نهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يستنجى بالعظم والروث ، وقال :
إنه زاد إخوانكم من الجن ، ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه : « كل
عظم ذكر اسم الله عليه » ، ولفظه في كتاب أبي داود : « كل عظم لم يذكر اسم الله
عليه » ، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود ، وقال بعض العلماء
برواية مسلم في الجن المؤمنين ، والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم ، وهذا
قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكروه الإطالة ، وفي هذا رد على من
زعم أن الجن لا يأكل ولا يشرب ، وتأولوا قوله - عليه السلام - إن الشيطان
يأكل بيماله ، ويشرب بيماله على غير ظاهره ، وهم ثلاثة أصناف كما جاء
في حديث آخر : صنف على صور الحيات ، وصنف على صور الكلاب سود
وصنف ريح طيارة أو قال : هفافة ذووا أجنحة ، وزاد بعض الرواة في
الحديث : وصنف يحلون ويضعنون ، وهم السمالي ، ولعل هذا الصنف الطيار
هو الذي لا يأكل ، ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله أعلم . وروينا في
حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبي بكر بن العربي بسنده إلى جابر بن
عبد الله ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشي إذ جاءت حية ،
فقامت إلى جنبه ، وأذنت فإها من أذنه ، وكانت تناجيه ، أو نحو هذا ، فقال
« النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فانصرفت ، قال جابر : فسألته ، فأخبرني أنه

رجل من الجن ، وأنه قال له : مُرْ أَمَتَكَ لَا يَسْتَجِوَا بِالرُّوْثِ ، وَلَا بِالرَّمَّةِ ،
خَانَ اللَّهُ جَعَلَ لَنَا فِي ذَلِكَ رِزْقًا .

ذَكَرَ عَرَصَهُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ :

فصل : وَذَكَرَ عَرَضَهُ نَفْسَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْقَبَائِلِ ، لِيُؤْمِنُوا بِهِ ،
وَلِيَنْصُرُوهُ قَبِيلَةَ قَبِيلَةً ، فَذَكَرَ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَاسْمَ حَنِيفَةَ : أَنَّثَالُ بْنُ جُلَيْمٍ ، وَجُلَيْمٌ :
تَصْنِيرُ اللَّجْمِ ، وَهِيَ دُوَيْبَةُ ، قَالَ قَطْرُبٌ ، وَأَنْشَدَ :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرْوِ سَ إِلَى سَبَّةٍ مِثْلُ جَجْرِ اللَّجْمِ

ابن صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَسَمِيَ حَنِيفَةً لِخَنَفِ كَانَ فِي رَجُلِيهِ ،
وَقِيلَ : بِلِ حَنِيفَةَ أَمَمٌ ، وَهِيَ بِنْتُ كَاهِلِ بْنِ أَسَدٍ عُرِفُوا بِهَا ، وَهُمْ أَهْلُ الْيَامَةِ ،
وَأَصْحَابُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، وَقَدْ أَمَلِينَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ سَبَبَ نَزْوَلِهِمْ
لِلْإِمَامَةِ وَأَوَّلَ مَنْ نَزَلَهَا مِنْهُمْ .

وَذَكَرَ بَيْحَرَةَ بْنِ فِرَاسِ الْعَامِرِيِّ ، وَقَوْلَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَأَفْنُهِدُ نُحُورَنَا ، لِلْعَرَبِ دُونَكَ . نُهُدِ أَيُّ : نَجْعَلُهَا هَدَفًا لِسَهَامِهِمْ ،
وَإِلْتِهَادًا : الْفَرَضُ .

وَذَكَرَ قَوْلَ الشَّيْخِ : هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ ، أَيُّ : تَدَارُكٌ ، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنْ
مَنْ : تَلَا فَيُتْمَعُ ، وَهَلْ لَدُنَا بِهَا مِنْ مَطْلَبٍ : مِثْلُ ضَرْبِ لِسَافَاتِهِ مِنْهَا ،
وَأَصْلُهُ : مِنْ ذُنَابِي الطَّائِرِ : إِذَا أَفَلَّتْ مِنَ الْجِبَالَةِ ، فَطَلَبْتُ الْأَخْذَ بِذُنَابَاهُ ،
وَقَالَ : مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِيُّ قَطْ أَيُّ : مَا ادَّعَى النَّبُوَّةَ كَاذِبًا أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلِ

عرضه نفسه علي كندة :

فصل : وذكر عرضه نفسه علي كندة ، وهم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن ميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ^(١) علي أحد الأقوال بين النسابين في كندة ، وسمى كندة لأنه كند أباه ، أي عقه^(٢) ، وسمى ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً ، فهم بنو مرتع ابن ثور ، وقد قيل إن ثوراً هو مرتع ، وكندة أبوه^(٣) .

في هذا الكتاب تنمة لفائده

فصل : وذكر غير ابن إسحاق ما لم يذكر ابن إسحاق مما رأيت إملاء بعضه في هذا الكتاب تنمة لفائده . ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرضه .

(١) نسب ثور في جهمرة ابن حزم هكذا : وهؤلاء بنو كندة ، وهو ثور ابن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ص ٣٩٤ ، ٣٩٩ وهو في فلائد الجمان للقلقشندي . أبي العباس أحمد بن علي ص ٧١ كما في الجهمرة .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : ومن قبائل زيد بن كهلان : كندة ، وهو كندى ، واسمه : ثور وكندة من قولهم : كند نعمة الله عز وجل ، أي كفرها ، ومن قول الله جل ثناؤه : إن الإنسان لربه لكنود ص ٣٦٢ وقال صاحب حجة ، وسمى كندة لأنه كند أباه أي كفر نعمته ص ٧١ فلائد الجمان .

(٣) في جهمرة ابن حزم ، ولد كندة بن عفير : معاوية وأشرس ، ثم يقول : من بطون كندة : معاوية ووهب وبيدار والرائش بطون كبار ، وهم بنو الحارث ابن معاوية بن ثور بن مرتع ، وهو عمرو بن معاوية بن كندة ، ص ٣٩٩ وعلى هذا يكون مرتع هو ابن ابن كندة .

تتفسه على بنى ذهل بن تغلبية ، ثم على بنى شيان بن تغلبية ، فذكر الخطابي
وقاسم^(١) جميعا ما كان من كلام أبي بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلي زاد
قاسم تسكلة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم ، فإنها مما تليق بهذا الكتاب
نقال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر ، فسلم
قال على : وكان أبو بكر مُقَدِّمًا في كل خير ، فقال يَمِّنُ القومُ ، فقالوا : من
شَيَّبان بن تغلبية ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
يا أبي أنت وأمي ، هؤلاء غُرَّرَ في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهاني بن
قبيصة ، ومثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ؛ وكان مفروق بن عمرو قد
غلبهم جمالا وإسانا^(٢) وكانت له غديرتان تسقطان على ترابتيه^(٣) ، وكان أدنى
القوم مجلسا من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مفروق
إنا لنزيد على الألف ، وإن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر : كيف المنعة

(١) ذكر الزرقاني في شرحه على المواهب ص ٣٠٩ ج ١ شرح المواهب أن
هذا الحديث أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس . وقرأ
في الأمالى صفحتي ٢٨٤ ج ٢ ، ص ٢٥ ج ٣ الأمالى ٢ وفي حاشية الاشتقاق بقلم
الاستاذ عبد السلام هارون : « بخط مغلطى : دغفل هذا لقي النبي عليه السلام ،
وهو ابن ثلاث وستين سنة قاله البخارى . وقال : لا يعرف له إدراك النبي عليه
السلام وتابعه على القول جماعة منهم : ابن حبان والزهرى وابن سعد وابن أبي
حاتم ، والعسكرى . ص ٣٥١ الاشتقاق .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ ، وفيه عن هاني : وكان شرفيا عظيم القدر .
وكان نصرانيا ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة .

(٣) التربة : واحدة التراب ، وهي عظام الصدر .

فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد ، ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر: كيف الحزب؟
بيدكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غَضَبًا لحين نلتقى ، وإنا
لأشد ما نكون لقاءً حين نفضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على
اللقاح^(١) ، والنصر من عند الله ، يُدِيلنا مرّةً ويُدِيل علينا ، لعلك أخو قريش؟
فقال أبكر أو قد بلغكم أنه رسول الله ، فهاهو ذا ، فقال مفروق : قد بلغنا
أنه يذكر ذلك ، فإلى م تدعو إليه يا أخا قريش ؟ فتقدم رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وأنى رسولُ الله ، وإلى أن تُؤوؤوني ، وتُنصروني ، فإن قريشا قد ظهرت
على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني
الحميد ، فقال مفروق : وإلى م تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم
وإيآهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي
حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعلقون) الأنعام : ١٥١
فقال مفروق : وإلى م تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله - صلى الله
عليه سلم - (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ النحل : ٩٠ فقال
مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،
والله لقد أفلك قوم كذبوك ، وظاهروا عليك ، وكأنه أراد أن يشركه

(١) اللقاح : الإبل .

في الكلام هاني بن قبيصة ، فقال : وهذا هاني بن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا ، فقال هاني : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تره كنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي ، وقلة نظير في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائها قوم نكروا أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع وترجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى ، فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا ، وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ، والجواب : هو جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ، واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ، ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صرّان اليمامة والسماوة^(١) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ما هذان الصرّان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبيه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهد أخذنا علينا كسرى أن لا يُحدث حدثا ولا يُزوي مُحدثنا ، وإني أرى هذا

(١) في النهاية لابن الأثير ، وإنما نزلنا الصرّين ، وهو الصواب ، ثم قال اليمامة والسماوة ، وقال عن المصري : وهو الماء المجتمع ، وذكرها مرة أخرى في مادة صير ، وفي حديث عرضه على القبائل : قال له المثنى بن حارثة : إنا نزلنا بين صيرين : اليمامة والسماوة . فقال رسول الله ص : : وما هذان الصيران ؟ فقال : مياه العرب ، وأنهار كسرى الصير : الماء الذي يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى : بين صيرتين وهي فعلة منه ، ويروى بين صرّين تسمية صرى . وقد تقدم النهاية مادة صرى وصير لابن الأثير . والصواب : السادة ، وهي بادية بين الكوفة والسياء . أدماة لكلب .

الأمر الذي تدعوننا إليه هو مما تسكره الملوك ، فإن أحببت أن نُؤويك
وننصرك مما يلي مياها العرب ، فَعَلْنَا فَعَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
ما أَسَأْتُمْ فِي الرَّدِّ ، إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ ، وَإِنْ دِينَ اللَّهُ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ
مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبِثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَوْرَثَكُمْ اللَّهُ أَرْضَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَيَفْرَشَكُمْ نِسَاءَهُمْ ، أُنْسَبِحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَهُ ، فَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ
كَسْرِيكٍ : اللَّهُمَّ لَكَ ذَا ، فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ يَا أَبَا حَسَنِ أَيْةُ أَخْلَاقٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مَا أَشْرَفَهَا بِهَا يَدْفَعُ اللَّهُ بِأَسْ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَبِهَا يَتَحَاجَزُونَ
فِيمَا بَيْنَهُمْ قَالَ : ثُمَّ دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسِ الْأَوْسِ وَانْتَحَزَجَ ، فَسَأَلْنَا حَتَّى بَايَعُوا
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانُوا صُدُقَاءَ صُبْرَاءَ ، وَرَوَى فِي حَدِيثٍ مُسْتَدْرِكٍ
إِلَى طَارِقٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ : رَأَيْتُهُ بِسُوقِ
ذِي الْمَجَازِ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ ، يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
تَفْلِحُوا ، وَخَلَفَهُ رَجُلٌ لَهُ غَدِيرَتَانِ يَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى أَذَى كَعْبِيَّةً ، يَقُولُ :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هُوَ غَلَامٌ
عَبْدُ الْمُطَّابِ ، قُلْتُ وَمَنْ الرَّجُلُ يَرْجُمُهُ ؟ فَقِيلَ لِي : هُوَ عَمْرُو عَبْدِ الْعَزْمِيِّ أَبُو لَهَبٍ ،
وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ . خَرَجَ الدَّارُ قُطْنِي ، وَوَقَعَ أَيْضًا فِي السَّيْرَةِ مِنْ رِوَايَةِ
يُونُسَ .

حديث سويد بن صامت:

فصل: ذكر حديث سويد بن صامت وشعره ، وفي الشعر:

وبالغيب ماثورٌ على مُعزّةِ النَّحْرِ

يعنى السيف ، وماثورٌ: من الأثر وهو: فرند^(١) السيف ، ويقال فيه:

أثر وأثر. قال الشاعر:

جلاها الصَّيْعُولُونَ فَأَخْضَوْهَا

خِفَاقًا كُلِّهَا يَتَّقِي بَأْثُرِ^(٢)

أراد: يتقى ، وسوءٌ يدٌ: هو: السكامل ، وهو ابن الصلت بن جوط

(١) جوهر السيف ووشيه والسيف نفسه

(٢) البيت أنشده عيسى بن عمر لخفاف بن ندبة .

وقبل البيت:

ولم أرقبهم حياً لقاها أقاموا بين قاصية وحجر

رماح متقف حملت نصالا يلحن كأنهن نجوم بدر

انظر ص ١٢٥ ج ٢ الامالى للقالى ط ٢ ، ص ٧٥٢ سمط اللالى للقالى

والمعنى: إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه ، فلم يتمكن من النظر إليها

فذلك اتقاؤها بأثرها والاصمعى لا يعرف فى الأثر إلا الفتح يقال: سيف ماثور

أى فى متنه أثر ، وقيل هو الذى يقال إنه يعمله الجن ، وليس من الأثر الذى هو

الفرند . قال ابن سيدة: وعندى أن الماثور مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو على

فى المفتود الذى هو الجبان

(م - ه الروض الأنف ج ٤)

ابن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس^(١) وأمه آتيلي بنت عمرو التجارية أخت سلمى بنت عمرو [بن زيد بن لبيد بن خدش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج أم عبد المطلب ابن هاشم ، فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب ، وبنت سويد هي أم عاتكة أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب ، فهو جدّها للأمها واسم أمها: زينب، وقيل: جليسة بنت سويد، هكذا ذكره الزبير بن أبي بكر^(٢).

ذكر مجده لقمان :

فصل : وذكر مجلة لقمان ، وهي الصحيفة ، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة ، أما الجلالة فمن صفة الخلق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال في الخلق جلال وجملة وأنشد :

(١) نسيه في جمهرة ابن حزم هكذا : « سويد بن الصامت بن خالد بن عطية ابن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوسى ، وقد تقدم نسيه في السيرة كما ذكر ابن حزم ، ولكن فيها حوط بالحاء المهملة ، وفي الإصابة : سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسى ذكره ابن شاهين وقال : شك في إسلامه ، وقال أبو عمر : أنا أشك فيه كما شك غيرى . . ويعلق ابن حجر على ما روى ابن إسحاق بقوله : فإن صح ما قالوا لم يعد في الصحابة لأنه لم يلق النبي . ص ، مؤمن .

(٢) يقول الخشني في شرح السيرة ص ١١٧ عن بني زعب لأنها بفتح الزاى وضمتها وكسرهما والعين المهملة . وزغب بالزاء المكسورة والغين المعجمة قيده الدارقطني ، وذكر أن الطبري حكاه كذلك

فَلَاذَا جَلَالٍ هَبْنَهُ لِحِلَّةٍ لَلَّاقَةٍ وَلَاذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يَثْرُكُنَّ لِلْفَقْرِ (١)

وَلَقَمَانُ كَانَ نَوِييَا مِنْ أَهْلِ أُبَيْلَةَ وَهُوَ لَقَمَانُ بْنُ عَنَقَاءَ بْنِ سُرُورٍ (٢) فِيمَا ذَكَرُوا
وَابْنَهُ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ ثَارَانُ فِيمَا ذَكَرَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ ، وَقَدْ قِيلَ
فِي اسْمِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَابْنُ بَلْقَمَانَ بْنِ عَادِ الْحَمَيْرِيِّ .

ذَكَرَ قَدُومُ أَبِي الْحَيْسَرِ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ قَدُومُ أَبِي الْحَيْسَرِ أَنَّهُ بَنَى رَافِعُ بْنُ يَطْلُبِ الْحَلْفِ ، وَذَلِكَ

(١) الْبَيْتُ لِهَدْبَةَ بْنِ خَشْرَمِ بْنِ كَرَزٍ : بَنَى حَجْرُ بْنُ أَبِي حِيَمَةَ السَّكَّانِيَّ صَاحِبَ
الْعَزَى وَسَادَتَهَا أَحَدُ بَنِي سَعْدِ هَذِيمٍ مِنْ قَضَاعَةَ . وَهَدْبَةُ : شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ يَكْنَى
أَبَا عَمِيرٍ : وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

رَأَيْتُ أَحَالَ الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَاسَفَ رَيْسِي بِهِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَالْأَرْضُ كَمَنْ صَالِحٌ قَدْ تَكَمَّاتٌ عَلَيْهِ فَوَارَتْهُ بِكَمَا عَاةَ الْقَفْرِ
وَيُرَوَّى الْبَيْتُ الْأَوَّلُ هَكَذَا :

أَلَا يَا قَوْمَ النَّوَابِ وَاللِّدْهَرِ وَاللَّحْرِ يَأْتِي حَتْفَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
انظُرْ ص ٢٤٦ ح ١ الْأَمَالِيُّ لِلْقَالِي ط ٢ ، ص ٥٥٦ ، ٦٣٩ سَمَطُ الْأَلِيِّ لِلْبَكْرِيِّ
وَمَرَجَعُ السَّهْبِيِّ فِي هَذَا هُوَ الْأَمَالِيُّ ، وَرَأَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الْجَلَالَ لَا يُقَالُ
إِلَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَقَدْ يُقَالُ :

وَيُعَقَّبُ الْبَكْرِيُّ فِي السَّمَطِ عَلَى رَأْيِ الْقَالِي فِي كَلِمَةِ مَجْلَةٍ بَفَتْحِ الْجِيمِ : إِنَّمَا هُوَ
مَجْلَةٌ — بِكَسْرِ الْجِيمِ . قَالَ أَبُو عبيدة : كُلُّ كِتَابٍ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجْلَةٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ ،
وَقَدْ رَوَى غَيْرُهُ فِيهِ الْفَتْحُ

(٢) فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : سَدُوسٌ ، وَفِيهِ يَذْكَرُ أَنَّ الْأَكْثَرِينَ مِنَ
السَّلَفِ عَلَى أَنَّ لَقَمَانَ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نَبْوَةٍ . وَفِيهِ فِي غَيْرِهِ تَفْصِيلَاتٌ
كَثِيرَةٌ عَنْهُ .

بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وهي حرب بُعثت المذكورة ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صنَادِيدهم وأشرفهم ، وبُعث اسم أرضٍ بها عرفت ^(١) .

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسما لهم في الجاهية ، حتى سماهم الله به في الإسلام ، وهم : بنو الأوس والخزرج ، والخزرج : الريح الباردة ^(٢) وقال بعضهم : وهي الجنوبُ خاصةً ، ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في التيم جمع : تيمى وهو من باب : رومي وروم ، لأن الأوس هي العطيّة أو العوض ، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام ، ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن جازئة الطائي وغيره

(١) يقول الخشنى د ويروى هنا : بغاث بالغين المعجمة أيضاً ، ويصرف ولا يصرّف ، ويقول البكري في معجم ما استعجم د ذكر عن الخليل : بغاث ولم يسمع من غيره ،

هذا ويقال إن القبائل التي عرض نفسه عليها أيام المواسم هي بنو عامر وغسان وبنو فزارة ، وبنو مرة وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عيس ، وبنو نصر ، وثلعة بن عكابة ، وكندة ، وكنب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة وقيس ابن الخطيم ، وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع د هكذا في إمتاع الأسباع لتقى الدين أحمد بن علي لمقرئى د ط ١٠ ص ١٩٤١ ص ٣٠ ، وفيه أنه بدأ بكندة ، ثم أتى كلباً ثم بنى حنيفة ، ثم بنى عامر .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : الخزرج : الريح العاصف ص ٤٣٧ .

وكذلك ، أوس^(١) وأويس : الذئب قال الراجز :

يَالَيْتَ شِعْرِي عَنْهُ وَالْأَمْرُ عَمَّمِ ما فعل اليوم أويسُ بالغمِّ^(٢)

وأبوهم^(٣) حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغظريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي] ، وهو أيضاً :
والدُّخْرَاعَةَ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَأَمَمٌ^(٤) : قَبِيلَةُ بِنْتِ كَاهِلِ بْنِ عُدْرَةَ قُضَاعِيَّةٌ
ويقال : هِيَ بِنْتُ جَفْنَةَ ، وَاسْمُهُ غَلْبَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ ، وَقِيلَ : بِنْتُ سَمِيعِ^(٥)
ابن الهون بن خزيمه بن مدركة ، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة .
والأنصار : جمع ناصر على غير قياس في جمع فاعل^(٦) ، ولكن على

(١) أوس بن حارثة بن لام رأس طيء ، عاش — كما قيل — مائتي سنة ،
وهناك أوس بن حجر الشاعر الجاهلي ، وأوس بن حذيفة من فرسان ثقيف الذي
أدرك الإسلام وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن المعلبي ، وأوس
مغراء وأوس مناة الحنيك من خثعم ، ولكن هناك الأوس من صعاب بن همام .

(٢) البيت للهدلي ، وهو في اللسان :

يَالَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ ، وَالْأَمْرُ أَمَمِ ما فعل اليوم أويس في الغم

(٣) أي والد الأوس والخزرج .

(٤) أي أم الأوس والخزرج ، ونسبها في جمهرة ابن حزم هكذا . وقيلة
بنت الأرمم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء ، ص ٣١٢ ط ١ والزيادة
التي زدتها من الجمهرة .

(٥) اسمه في نسب قریش . يثع .

(٦) إذا كان فاعل وصفا دالا على غريزة وسجية أو أمر فطري فإنه يجمع

تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالأسم على تقدير حذفها : مُثَلَّثِي
والثلاثي يجمع على أفعال ، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد
وأشهاد .

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لِلنَّفَرِ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَمِنْ مَوْلَى
يهود أنتم أى من حلفائهم ، والمولى يجمع : الحليف وابن العم والمعتق والمعتق
لأنه مفعَلٌ من الولاية ، وجاء على وزن مفعَل ، لأنه مَفْرَعٌ ومَلْجَأٌ لَوْلِيَّهِ جَاءَ
على وزن ماهو في معناه .

وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بَيْعَةَ النِّسَاءِ ، وقد ذكر
الله تعالى بَيْعَةَ النِّسَاءِ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ : (يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ
شَيْئًا) الممتحنة ٢٣١ الآية ، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على انتقال ،
وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق ، فإذا أقررن بِالسَّتِّمِ
قَالَ : قَدْ بَايَعْتِكُنَّ ، ومامت يده يد امرأة في مبايعة^(١) كذلك قالت

على فعلاء مثل شاعر وشعراء ، وعافل وعقلاء ، وكذلك إذا كان دالا على ما يشبه
الفريزة والسجينة في طول بقائها مثل صالح وصلحاء ، وإذا كان فاعل دالا على
وصف يدل على آفة طارئة من ألم أو عيب ، أو نقص ، أو موت جمع على فعلى
مثل هالك وهلكي .

(١) في حديث رواه البخاري عن عائشة أنها قالت : وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ
يَدُهُ امْرَأَةً فِي الْمُبَايَعَةِ قَطُّ ، مَا يَبَايِعُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ : قَدْ بَايَعْتِكُنَّ عَلَى ذَلِكَ ،
وفي حديث آخر رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حديث سفيان
ابن عيينة ، والنسائي أيضا من حديث الثوري ومالك بن أنس كلهم عن محمد

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العامُ المُقبِلُ واتيَّ الموسمُ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ،
فلقوه بالعقبة ؛ وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
على بيعة النساء ، وذلك قيل أن مُقتضى عليهم الحرب .

منهم من بنى النجَّار ، ثم بنى مالك بن النجَّار : أسعدُ بن زرارة بن عدس
ابن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعوف ،
ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجَّار ،
وهما ابنا عمراء .

عائشة ، وقد روى أنها كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوبٍ ، وهو قول
عامر الشعبي ، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره ، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر
محمد بن الحسن المقرئ النقاش في صفة بيعة النساء وجهاً ثالثاً أورد فيه آثاراً ،
وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغمس يده في إناء وتغمس المرأة
يدها فيه عند المبايعة ، فيكون ذلك عقداً للبيعة ، وإيس هذا بالشهور ، ولا هو
عند أهل الحديث بالثبوت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره في رواية عن
يونس عن أبان بن أبي صالح ، وذكر أنساب الذين بايعوه ، وسنعيده في بيعة
العقبة وغزاة بدر ، وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج إليه بقول الله .

ابن المنكدر ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، لا تعرفه إلا من حديث محمد
ابن المنكدر . في هذا الحديث ورد قلنا يا رسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال إنى
لا أصافح النساء ، إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة .

ومن بنى زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر
ابن زريق ، وذو كوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخجد بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ذو كوان ، مهاجري أنصاري ،
ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى غم بن عوف بن عمرو بن
عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم
ابن فهر بن ثعلبة بن غم ؛ وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزاعة
ابن أصرم بن عمرو بن عمارة ، من بنى غصينة ، من بنى ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم
الرجل دفعوا له سهمًا ، وقالوا له : قو قل به بيثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القواقل : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من
بنى العجلان بن زيد بن غم بن سالم : العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك
ابن العجلان .

ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم
ابن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غم بن سلمة : عقبة بن عامر
ابن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غم بن كعب بن سلمة قطبة بن عامر بن حديدة بن
عمرو بن غم بن سواد .

رجال العقبة من الأوس

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني
عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :
أبو الهيثم بن التيمّان ، واسمه مالك .
قال ابن هشام : التيمّان : يخفف ويثقل ، كقوله ميت وميّت .

رجال العقبة الأولى من بني عمرو

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة .

بيعة العقبة

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن (أبي) مرثد
ابن عبد الله اليزني ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي ، عن عبادة بن
الصامت ، قال : كنت فيمن حصر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلا ،
فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض
الحرب ، على أن لا نُشرك بالله شيئا ، ولا نَسرق ، ولا نَزني ، ولا نقتل
أولادنا ، ولا نأنيّ بهتانَ نفتربه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعضيه في
معروف . فان وَفَّيتم فلكم الجنة . وإن غَشَّيتم من ذلك شيئا فأمرُكم إلى الله
عزَّ وجلَّ إن شاء هدَّب وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق وذكر ابنُ شهاب الزهريّ ، عن عائذ الله بن عبد الله

أَخْوَلَانِي أَبِي إِدْرِيسَ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ قَالَ : بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بَهْمَتَانِ نَقْتَرِبَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ وَقَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ فَأَخَذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ كِفَّارَةٌ لَهُ ، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ .

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يُسَمَّى الْمُقَرَّبَى بِالْمَدِينَةِ : مُصَعبٌ . وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس ، أبي أمية .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمَّه بعضهم .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمية بن سهل بن حنيف ، عن أبيه أبي أمية ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبي ،

كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجتُ به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة ، أسعد بن زُرارة . قال : فكثرت حيناً على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي تعجز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زُرارة ؟ قال : فخرجت به في يوم الجمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبت ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال : أي بُني ، كان أول من جَمَعَ بنا بالدينة في هَزَم النَّبِيت ، من حرّة بني بياضة ، يقال له : نَقِيع الخَضِمَات ، قال قات : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

إسلام سعد بن معاذ وأسيّد بن حضير

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زُرارة خرج بمُصَعب بن عمير يريد به دار بني عبدة الأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر .

قال ابن هشام : واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس - قالوا : على بئر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيّد بن حضير ، يومئذ سيّداً لقومهما من بني عبدة الأشهل ، وكلاهما مُشرك على دين قومه ، فلما سمعا به

قال سعد بن معاذٍ لأسيّد بن حُضَيْرٍ: لا أباك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهمهما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتمك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال : فأخذ أسيّد بن حُضَيْرٍ حرّبتة ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زُرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكله . قال : فوقف عليهما مُتَشَمِّئًا ، فقال : ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلسُ فنسمع ، فإن رضيتَ أمرًا قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ماتكره ؟ قال : أنصفت ، ثم ركز حرّبتة وجلس إليهما ، فكلمه مُصعَبُ بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يدكر عنهما : والله لعرّفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله ، ثم قال : ما أحسنَ هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى . فقام فاعنسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حرّبتة وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيّدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندهم ، فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كآمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت .

.

وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالته، ليخفروك قال: فقام سعد مُغضباً مبادراً، تحوفاً للذي ذكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رأها سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره — وقد قال أسعد بن زُرارة لمصعب بن عمير: أي مُصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان — قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبيلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما نكره؟ قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالوا: فعرفنا والله في وجه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسبُّله؛ ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: نتغسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن خضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعملون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة؛ قال: فإن

.....

كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أُنسى في دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما
ومسلمة ، ورجع أسعد ومُصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو
الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء
مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ،
وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن
الأسلت ، وهو صيفي ، وكان شاعراً لهم قائدا يستمعون منه ويطيعون ، فوقف
بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف
الناس فيه من أمره :

أَرَبَّ النَّاسِ أَشْيَاءُ أَلَمَّتْ يُبَلِّغُ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالذَّلُولِ
أَرَبَّ النَّاسِ أَمَا إِذْ ضَلَلْنَا فَيَسِّرْنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلَا رَبَّنَا كُنَّا يَهُودًا وَمَا دِينَ الْيَهُودِ بَدَى شُكُولِ
وَلَوْلَا رَبَّنَا كُنَّا نَعَصَارَى مَعَ الرَّهْبَانِ فِي جَبَلِ الْجَلِيلِ
وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَقِيقًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقِ الْهَدَى تَرْسُفُ مُدْعَنَاتِ مَكْشِفَةَ الْعَنَاكِبِ فِي الْجُلُولِ

قال ابن هشام : أنشدني قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله :
مكشفة العناكب في الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مُضْعَب بن عُمَيْر رَجَعَ إلى مكة ، وخرج مَنْ
خرج من الأنصار المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشُّرك ، حتى
قَدِمُوا مكة ، فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام
التَّشْرِيق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لِنَبِيِّهِ ، وإعزاز
الإسلام وأهله ، وإذلال الشُّرك وأهله .

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحاق : حدثني مَعْبُد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن
القَيْن ، أخو بني سامة ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ،
حدثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان كعبٌ ممن شهد العقبة وبايع رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا من المُشْرِكِينَ ، وقد صلَّينا
وقَفَّينا ، ومعنا البراء بن معرور ، سيِّدنا وكبيرنا ، فلما وَجَّهنا لِسَفَرِنَا ،
وخرَجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إني قد رأيت رأياً ، فوالله
ما أذرى ، أنوافقوني عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قد رأيت أن لا أدع
هذه البَيْتِيَّةَ مني بظَهْرٍ ، يعني : الكعبة ، وأن أصِلَّ إليها . قال : قلنا ، والله
ما بلغنا أن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه .
قال : فقال : إني لصلِّ إليها قال : قلنا له : لكننا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت
الصلاة صلَّينا إلى الشام ، وصلّى إلى الكعبة ، حتى قَدِمنا مكة . قال : وقد

كنا عينا عليه ماصنع ، وأنى إلا الإقامة على ذلك . فلما قَدِمنا مكة قال لى :
يا ابن أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما
صنعتُ فى سفرى هذا ، فإنه والله لقد وَقَعَ فى نفسى منه شىءٌ ، لِمَا رأيتُ من
خِلافِكُم إِبَّأى فيه . قال : نخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكنَّا لا نعرفه ، ولم نَرَه قَبْل ذلك فلقمينا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل
تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم — قال : وقد كنَّا
نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلنا المسجد
فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ ،
ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ معه ، فسأمتنا ثم جلسنا إليه . فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟
قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيّد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال :
فوالله ما أنسى قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم . فقال
البراء بن معرور : يانبي الله ، إني خرجتُ فى سفرى هذا ، وقد هدانى الله
للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعل هذه التبيّة متى بظهر ، فصليتُ إليها ، وقد
خالفتنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شىءٌ ، فماذا ترى يا رسول الله ؟
قال : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى
الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عَوْنُ بن أَيوب الأنصاري :

وَمِنَّا الْمُصَلِّي أَوَّلَ النَّاسِ مُقْبِلًا عَلَى كَعْبَةِ الرَّحْمَنِ بَيْنَ الشَّاعِرِ

يَعْنِي الْبَرَاءَ بن مَعْرُورٍ . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثني معبد بن كعب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بن مالك حَدَّثَهُ ، قَالَ كَعْبُ : ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْحِجِّ ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَقْبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ . قَالَ : فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحِجِّ ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا ، وَمَعْنَا عَبْدُ اللَّهِ بن عمرو بن حَرَامِ بن جَابِرٍ ، سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا ، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا ، أَخَذَنَا مَعْنَا ، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعْنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا ، فَكَلَّمَنَا وَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا جَابِرٍ ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا ، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا ، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَظْبًا لِلنَّارِ غَدًا ، ثُمَّ دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبَرْنَا بِمِعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَايَا الْعَقْبَةِ . قَالَ : فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعْنَا الْعَقْبَةَ ، وَكَانَ نَقِيبًا .

أمر أتان في البيعة

قال : فَمِنَّمَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا ، حَتَّى إِذَا مَضَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَتَسَلَّلُ تَسَلَّلَ الْقَطَا

مُسْتَحْفِين ، حتى اجتمعنا في الشَّعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساءنا نُسَيِّمُهُ بِنْتِ كَعْب ، أمَّ عُمَارَةَ ، إحدى نساء بني مازن ابن النجَّار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابتى ، إحدى نساء بني سلمة ، وهى أم مَنِيْع .

العباس والأنصار

قال : فاجتمعنا في الشَّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعهُ العباسُ بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحبُّ أن يحضُرَ أمرَ ابن أخيه ويتوثقَ له . فلما جلس كان أولَ متكلِّمِ العباسِ بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج - قال ، وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار ، الخزرج ، خزرجهما وأوسهما - : إن محمداً منَّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم ، والألحوقَ بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وأقون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وماحمَلْتُم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسَلِّمونه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده . قال ، فقلنا له ، قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله . فخذْ لنفسك ولربِّك ما أحببت .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

قال ، فتكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، ثم قال ، أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال، فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال، نعم، والذي بعثك بالحق،
لننعمتك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله، فجنح والله أهل الجروب،
وأهل الخلقة، ورتناها كبراً [عن كابر]. قال، فاعترض القول، والبراء يكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن النيهان فقال يا رسول الله، إن
بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنما قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن
فعلنا ذلك، ثم أظهرت الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني،
أحارب من حاربتهم، وأسلم من سالمهم . .
قال ابن هشام. ويقال: الهدم الهدم : أي ذمتي وحرمتي
حرمتكم .

قال كعب: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرجوا إلى منكم
اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر
نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس .

أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة

النقباء من الخزرج

قال ابن هشام: من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن
محمد بن إسحاق الملقبي - : أبو أمامة أسعد بن زُرارة بن عدس بن عبيد بن
ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وهو: تميم الله بن ثعلبة عمرو بن الخزرج
[بن حارثة]، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن

.

أمرىء القيس بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
ابن الخزرج، وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة امرىء القيس بن عمرو بن
امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
ابن الخزرج، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن
عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج؛ والبراء بن معرور بن
صخر بن خذساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غم بن كعب بن سامة
ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، وعبدالله
ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غم بن كعب بن سامة
ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، وعبادة
ابن الصامت بن قيس بن أضرم بن فهر بن ثعلبة بن غم بن سالم بن عوف
ابن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف
ابن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة
ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمقدر
ابن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن
الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام: ويقال: ابن
خنيس.

النقباء من الأوس

ومن الأوس أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرِ بنِ سِمَاكِ بنِ عَتِيكِ بنِ رَافِعِ بنِ امرئ القيس بن زَيْدِ بنِ عبدِ الأشهل [بنِ جُشَمِ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ ابنِ عمرو بنِ مالكِ بنِ الأوسِ بنِ حارثة] ، وسعدُ بنِ خَيْثَمَةَ بنِ الحارثِ بنِ مالكِ بنِ كَعْبِ بنِ النَّحَّاطِ بنِ كَعْبِ بنِ حارثة بنِ غَنَمِ بنِ السَّلَمِ بنِ امرئ القيس [بنِ ثعلبة بنِ عمرو بنِ عوف] بنِ مالكِ بنِ الأوسِ [ابنِ حارثة] ورِفاعَةُ ابنِ عبدِ المُنذِرِ بنِ زبیرِ بنِ زیدِ بنِ أميَّةِ بنِ زیدِ بنِ مالكِ بنِ عوفِ بنِ عمرو ابنِ عوفِ بنِ مالكِ بنِ الأوسِ .

شعر كعب بن مالك عن النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التميمي ، ولا يعدون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

أبلغ أبيعاً أنه قال رأيه	وحان غداة الشعب والحين واقع
أبي الله ما منتك نفسك لانه	بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا	بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبين في حشد أمر تريده	وألّب وجمع كل ما أنت جامع
ودونك فاعلم أن نقض عهدنا	أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما	وأسعد أباه عليك ورافع

.....

وَسَعْدُ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمُنْذِرٌ لِأَنْفِكَ إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ جَادِعٌ
 وَمَا بِنُ رَبِيعٌ إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ بِمُسْلِمِهِ لَا يَطْمَعُنُ سَمَّ طَامِعٍ
 وَأَيْضًا فَلَا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السَّمُّ نَاقِعٌ
 وَفَاءٌ بِهِ وَالْقَوَقَلِيُّ بْنُ صَامَتٍ بِمَنْدُوحَةَ عَمَّا تَحَاوَلُ يَافِعٌ
 أَبُو هَيْثَمٌ أَيْضًا وَفِيَّ بِمِثْلِهَا وَفَاءٌ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعَهْدِ خَانِعٌ
 وَمَا بِنُ حُضَيْرٌ إِنْ أُرِدْتَ بِمَطْمَعٍ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أُخْحُوقَةَ الْغَيِّ نَازِعٌ؟
 وَسَعْدُ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ ضَرُوحٌ لَمَّا حَاوَلْتَ مِ الْأَمْرِ مَانِعٌ
 أَوْلَاكَ نَجُومٌ لَا يُعْجَبُكَ مِنْهُمْ عَلَيْكَ بِنَجَسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَامِعٌ

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التميمي ، ولم يذكر رفاة .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للثقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عباد للخرزج قبل المبايعة

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن الزوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخرزج ، هل تدرؤن علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترؤن أنفسكم إذا نهكت أموالكم

.....

مُصِيبَةٍ ، وَأَشْرَأُ فُكْمَ قِتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ ، فَمِنَ الْآنَ ، فَهُوَ وَاللَّهُ - إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَنْفُونَ لَهُ بِمَا دَعَاؤُهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَخُذُوهُ ، فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
قُولُوا : فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ
يَارَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا؟ قَالَ : الْجَنَّةُ . قَالُوا : أَبْسُطْ يَدَكَ ، فَبَسَطَ
يَدَهُ فَبَايَعُوهُ .

وَأَمَّا عَصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فَقَالَ : وَاللَّهُ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيَشُدَّ
الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْنَاقِهِمْ .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيُوْخِرَ الْقَوْمَ تِلْكَ
الَّيْلَةَ ، رَجَاءُ أَنْ يَحْضُرَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَيَكُونُ أَقْوَى لِأَمْرِ
الْقَوْمِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَىِّ ذَلِكَ كَانَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : سَأَلُوا : امْرَأَةً مِنْ خِزَاعَةَ ، وَهِيَ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ
الْحَارِثِ .

أول صحابى ضرب على يد الرسول

في بيعة العقبة الثانية

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبُنُو النُّجَّارِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أَمَامَةَ ، أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ،
كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ : بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ
بِْنِ التَّيْهَانِ .

قال ابن إسحاق: قال الزهري: حدثني معبد بن كعب بن مالك، فحدثني في حديثه، عن أخيه عبد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور، ثم بايع بعد الفوم.

الشیطان وبيعة العقبة

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة: بأنفذ صوت سمته قط: يا أهل الجلباب - والجلباب: المنازل - هل لكم في مذمم والضباة معه، قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أرب العقبة، هذا ابن أرب - قال ابن هشام: ويقال ابن أرب استمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك.

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار

قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا إلى رحالكم. قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بمنك بالحق: إن شئت لنميلن على أهل مني غداً بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نؤمر بذلك، وإن كنتم ارجعوا إلى رحالكم. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فتمننا عليها حتى أصبحنا.

مجادلة جلة قريش للأنصار في شأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا :
يا معشر الخزرج ، لانه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه
من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، ولانه والله ما من حى من العرب
أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك
من مشركي قومنا يخلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . قال :
وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ،
وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه نعلان له جديدان .
قال : فقلت له كلمة — كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا — يا أبا جابر ،
أما تستطيع أن تتخذ ، وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعلني هذا الفتى من
قريش ؟ قال : قسمها الحارث ، فخلعها من رجليه ثم رمى بهما إلى ، وقال :
والله لتنقملنهما . قال : يقول : أبو جابر : مه ، أحذلت والله الفتى ، فاردد
إليه نعليه . قال : قلت لا : والله لا أردّهما ، فألّ والله صالح ، لئن صدق الغال
لأسلمته .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي بكر : أنهم أتوا عبد الله بن
أبي بن سؤل ، فقلوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا
الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا على بمنثل هذا ، وما علمته كان . قال :
فانصرفوا عنه .

قریش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال : وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِثِّي ، فَتَمَنَّطَسَ الْقَوْمُ الْخَبَرَ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ كَانَ ،
مُخْرَجًا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ ، فَأَدْرَكَوْا سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ بِأَذَاخِرِ ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو ،
أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَكِلَاهِمَا كَانَ نَقِيبًا . فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ
الْقَوْمَ ، وَأَمَّا سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ ، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِسِنِّ رَحْلِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا
بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ ، وَيَجِدُونَهُ ، بِجُمَّتِهِ ، وَكَانَ ذَا شَعْرِ كَثِيرٍ .

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِنِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَاعَ عَلِيٌّ نَفَرْتُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ
رَجُلٌ وَضِيءٌ أبيضٌ ، شَعْشَاعٌ ، حَلَوٌ مِنَ الرِّجَالِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الطَّوِيلُ
الْحَسَنُ قَالَ رُوْبَةُ : يَمْطُوهُ مِنْ شَعْشَاعٍ غَيْرِ مُودِنٍ . يَعْنِي عُنُقَ الْبُهَيْرِ غَيْرِ قَصِيرٍ يَقُولُ
مُودِنُ الْيَدِ أَيْ : نَاقِصُ الْيَدِ يَمْطُوهُ مِنَ السَّيْرِ شَعْشَاعٌ : حَلَوٌ مِنَ الرِّجَالِ .

قال : قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ ، فَعِنْدَ هَذَا ،
قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَمَّكَمَنِي لِكَلْمَةٍ شَدِيدَةٍ . قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي ، لَا وَاللَّهِ
مَاعِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِنِي أَيْدِيهِمْ يَسْجُبُونَنِي إِذْ أَوْى لِي
رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : وَيَمْحَكَ ! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ
جَوَارٌ وَلَا عَهْدٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَجِيرَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ
ابْنِ عَدِيٍّ بِنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ تِجَارَةً ، وَأَمْنَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظَلَمَهُمْ بِيَلَادِي ،

.....

ولاحث ابن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك !
فاهتِف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال . ففعلتُ ، وخرج ذلك
الرجلُ إليهما ، فوجدَهما في المسجدِ عند السكبية ، فقال لهما : إن رجلاً من
الخنزرج الآن يُضرب بالأبطح ليهتِف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما ،
جواراً ، قالوا : مَنْ هو ؟ قال سعد بن عُبادة ، قال : صدق والله ، إن كان ليُجبر
لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده : قال : فجاء فخلصا سعداً من أيديهم ،
فانطلق . وكان الذي لَسَكَمَ سعداً ، سُهَيْلُ بن عمرو ، أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ .
قال ابن هشام : وكان الرجلُ الذي أوى إليه ، أبا البختريُّ بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّلُ شعر قبيل في الهجرة بيتين ، قالها ضَرَارُ
ابن الخطَّاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر :

تداركتَ سعداً عَنوَةً فأخذته وكان شفاءً لو تداركتَ مُندراً
ولو نلتَهُ طُلَّتْ هناك جِراحُهُ وكانت حَرِيًّا أن يُهانَ ويهدراً
قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقاً أن يُهانَ ويهدراً

قال ابن إسحاق : فأجابه حَسَّان بن ثابت فيهما فقال ،

لستَ إلى سعدٍ ولا الرءِ مُندِرٍ إذا ما مطايا القومِ أصبحنَ ضُمراً
فلولا أبو وهبٍ لَمَرَّتْ قصادُ على شرفِ البرِّفَاءِ يهوينَ حُمُرا

أَتَفْخُرُ بِالسَّكَّانِ لَمَّا لَبِسْتَهُ وقد تلبس الأنباط رِبْطاً مُعَصِّراً
فَلَا تَكُ كَالْوَسَّانِ يَحْمِلُ أَنَّهُ بَقْرِيَّةٌ كِنْسَرِيٌّ أَوْ بَقْرِيَّةٌ فَيُصَصِّرُ
وَلَانَكَ كَالسَّكَلَى وَكَانَتْ بِعَزَلٍ عن الشُّكْلِ لَوْ كَانَ الْفُؤَادَ تَفَكَّرَا
وَلَانَكَ كَالشَّاةِ الَّتِي كَانَ حَتْفُهَا بِحَفْرِ ذِرَاعَيْهَا فَلَمْ تَرْضَ مُحْفَرَا
وَلَانَكَ كَالْعَاوِي فَاقْبَلْ نَحْرَهُ ولم يخشهُ سَهْمًا مِنَ الذَّبْلِ مُضْمَرَا
فَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ نَحْوَنَا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا

وذكر في أنساب المبايعين له في العقبية الأولى في بني سلمة منهم : سادرة
ابن يزيد بن جشم ، وتزيد بنتماء منقوطة باثنتين من فوق ، ولا يعرف في العرب
تزيد إلا هذا ، وتزيد بن الحاف بن قضاة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب
التزيدية ، وأما سلمة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سمي بالسلمة واحدة
السلم ، وهي الحجارة ، قال الشاعر :

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبُنِي يَرْمِي وَرَائِي بِالسَّهْمِ وَالسَّلْمَةِ (١)

وفي جعفي : سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جعفي وفي جهينة سلمة

(١) في اللسان : أنشد أبو عبيد في السلمة :

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبُنِي يَرْمِي وَرَائِي بِالسَّهْمِ وَالسَّلْمَةِ
وَأَرَادَ : وَالسَّلْمَةَ ، وَهِيَ مِنْ لَفَاتِ حَمِيرٍ قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ هُوَ : الْبَجِيرُ بْنُ عَفَةَ
الطَّائِي ، قَالَ : وَصَوَابُهُ :

وإن مولاي ذذ يعاتبني لا احنة عنده ، ولا جرمة
ينصرق منك غير معتذر يرمي ورائي بالسهم والسلمة

ابن نصر بن غطفان قاله ابن حبيب النسابة^(١) وفي الصحابة عمرو بن سلمة أبو بريدة الجرهمي الذي أمّ قومه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفي الرواة عبدالله بن سلمة وينسب إلى بني سلمة هؤلاء سلمى بالفتح ، كما ينسب إلى بني سلمة ، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم : السلمات ، يقال لأحدهم سلمة الخبير ، والآخر سلمة الشرّ ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سلمية بياء في دؤس ، وهم بنو سلمية بن مالك بن قهم بن غم بن دؤس ، وسليمة هذا هو أخو جديمة الأبرش ، وهو الذي قتل أخاه مالكاً بسهم^(٢) قتل خطأ ، ويقال في النسب إليه : سلمى أيضاً وهو النياس ، وقد قيل : سلمى كما قيل في عميرة عميرة .

وذكر بني جدارة من بني النجار ، وجدارة وخدّارة : أخوان ، وغيره

(١) في القاموس : دؤس بنو سلمة بطن من الانصار ، وابن كهلاء في بجميلة ، وابن الحارث في كندة ، وابن عمرو بن ذهل وابن غطفان بن قيس ، وعميرة بن خفاف بن سلمة ، وعبدالله بن سلمة البدرى الأحدي ، وعمرو بن سلمة الحمداني ، وعبدالله بن سلمة المرادي وأخطأ الجوهرى في قوله : وليس سلمة في العرب غير بطن الانصار ، وذكر أيضاً في الصحابة سلمة بن حنظلة السحيمي وابن قيس الجرهمي .

(٢) في الاشتقاق : وسليمة الذي رمى أباه بسهم ، فقتله وله يقول مالك .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
ويروى : استبد . وفي مادة سدّد في اللسان يذكر ابن برى أنه رآه في شعر
عقيل بن علفة يقول في ابنة عمّلس حين رماه بسهم ، ونسبه الجاحظ في البيان
والتيبين ص ٢٣١ - ٣ إلى معد بن أوس انظر ص ٤٩٧ ، ٥٤٣ الاشتقاق
لابن دريد ط ٤ السنة المحمدية ص ٢٦٨

يقول في جِدَارَة : خُدَّارَة بانحاء المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق ، وهو أشبه بالصَّواب لأنه أخو خِدْرَة^(١) وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّةً بعضها من بعض .

وذكر القَوَاقِلَ وهم بنو عمرو بن غَمِّ بن مالك ، وذكروا تسميتهم القَوَاقِلَ ، وأن ذلك لقولهم إذا أجازوا أحدا : قَوَّ قِلَ حَيْثُ شئت ، وفي الأنصار : القَوَاقِلَ والجَعَادِرُ^(٢) وهما بطنان من الأوس ، وسبب تسميتهما : واحد في المعنى ، أما الجَعَادِرُ فكانوا إذا أجازوا أحدا أعطوه سَمًّا ، وقالوا له : جَعَدِرْ به حيث شئت ، كما كانت القَوَاقِلُ^(٣) تفعل ، وهم بنو زيد ، بن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَةَ [بن زيد] يقال لهم كسر الذهب ، وهما جميعاً من الأوس .
قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدةً مُقَابَلَةً بين الجَعَادِرِ^(٤) والكسر
متى تدع في الزيد بن زيد بن مالك وزيد بن عمرو تأيها عِزَّةُ الخُفْرِ

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهَانِ ، ولم ينسبه ، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ، ولا في غزوة بدر ، وهو مالك بن التَّيْهَانِ ، واسم التَّيْهَانِ أيضاً مالكُ

(١) انظر ص ٤٥٥ الاشتقاق ط السنة المحمدية .

(٢) في الاشتقاق : د ومرة ، وهم الجعادرة ، ص ٤٣٧ وقد جمعهم ابن دريد بطنان من الأوس وكذلك ابن حزم ص ٣٣٥ أما القَوَاقِلَ ، فهم من الخزرج .

(٣) القوالة عند ابن دريد : التغلغل في الشيء والدخول فيه ص ٤٥٦ .

(٤) الجعادرة هم بنو مرة بن مالك بن الأوس .

ابن عَتِيكَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَمِ بْنِ عَامِرِ بْنِ زَعْرُونَ^(١) ، بْنِ جِشْمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ حَلِيفِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ كَانَ أَحَدَ الثَّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا ، وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ ، فَأُصْحِحَ مَا قِيلَ فِيهِ لِأَنَّهُ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍِّّ صَفِيٍّ^(٢) ، وَقُتِلَ فِيهَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَحْسَبُ ابْنَ إِسْحَاقَ وَابْنَ هِشَامَ تَرَكََا نَسَبَهُ عَلَى جَلَالَتِهِ فِي الْأَنْصَارِ وَشَهْرِهِ . هَذِهِ الْمَشَاهِدُ كُلُّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِاخْتِلَافِ فِيهِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ فِي شَعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ حِينَ أَضَافَ أَبُو الْهِثَمِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَنْزِلِهِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ ، فَذَبَحَ لَهُمْ عَنَاقًا^(٣) وَأَتَاهُمْ بِقَنْوٍ مِنْ رُطَبِ الْحَدِيثِ بَطُولُهُ ، فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ فِي ذَلِكَ :

فَلَمْ أُرْكَ لِإِسْلَامِ عِزًّا لِأَهْلِهِ وَلَا مِثْلَ أَضْيَافِ الْأَرَاثِيِّ مَعَشْرًا

فَجَعَلَهُ إِرْشِيًّا كَاتِرِي ، وَالْأَرَاثِيَّ مَنْسُوبًا إِلَى إِرَاشَةٍ فِي خِزْأَةٍ ، أَوْ إِلَى إِرَاشِ بْنِ حِلْيَانَ بْنِ الْعَوْثِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَهْوَأَنْصَارِيٌّ بِالْحِلْفِ أُمَّ بِالنَّسَبِ الْمَذْكُورِ ، قَبْلَ هَذَا ، وَنَقَلْتَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي عُمَرَ فِي الْأَسْتِيعَابِ ، وَقَدْ قِيلَ : لِأَنَّهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : زَعُونَ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْإِصَابَةِ وَنَسَبُهُ فِيهَا كَمَا فِي الرَّوْضِ وَفِي الْإِصَابَةِ : وَالرَّوَايَاتُ عَنْ أَبِي الْهِثَمِ كُلُّهَا فِيهَا نَظَرٌ ، وَلَيْسَتْ تَأْتِي مِنْ وَجْهِ يَثْبُتُ .

(٢) وَهَذَا سَاقَهُ أَبُو بَشْرٍ الدُّوَلَابِيُّ مِنْ طَرِيقِ صَالِحِ بْنِ الْوَجِيهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ بَدِيلٍ وَآخَرُونَ . وَصَفَيْنِ أَرْضَ فَوْقَ بَالِسَ بِمَقْدَارِ نِصْفِ مَرْحَلَةٍ ، وَهِيَ غَرْبِي الْفَرَاتِ بِهَا كَانَتْ الرَّقْمَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَبَالِسُ هِيَ أَوْلَادُ مَدَنِ الشَّامِ مِنَ الْعِرَاقِ وَهِيَ فِرْضَةُ الْفَرَاتِ لِأَهْلِ الشَّامِ

(٣) الْعِنَاقُ : الْإِثْمُ مِنْ وَلَدِ الْمَعَزِ

بلويٌّ من بنى إراشة بن فاران بن عمرو بن بليّ ، والهيثم في اللغة : فرخُ
[النَّسرِ ، أو] العقاب ، والهيثم أيضاً ضربٌ من العشب فيما ذكر أبو حنيفة ،
وبه سمي الرجل هيثماً أو بالمعنى الأول وأنشد :

رَعَتْ بِقَرَانِ الْحَزْنِ رَوْضًا مَنُورًا عَمِيماً مِنَ الظَّلَاعِ وَالْهَيْثَمِ الْجَعْدِ

ذكر بيعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء
ألا يشرقوا ، ولا يزنوا إلى آخر الآية ، وقيل في قوله عز وجل خبرا عن
بيعة النساء : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيهْتَانٍ ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها ، وليس منه ،
وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجمعة ونحوها ، والأول
يشبه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَعْصِيكَ
فِي مَعْرُوفٍ ﴾ أنه النوح ، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال ، فدل على
ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البيهتان بإلحاق الولد بالرجل ،
وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهن يعني : الكذب وعيب الناس
بما ليس فيهم ، وأرجلهم يعني : المشى في معصية ، ولا يعصينك في معروف ،
أي : في خير تأمرهن به ، والمعروف : اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف
حسنة ولم تنكره القلوب ، وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن
إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال : وَلَا تَفْشُشْنَ
أزواجكن ، قالت : إحداهن وماغش أزواجنا فقال : أن تأخذني من ماله

فَتُحَاكِي بِهِ غَيْرَهُ (١).

هجرة مصعب بن عمير

فصل : وذكر هجرة مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وهو الْمُقْرِيُّ ، وهو أول من سُمِّيَ بهذا ، أعنى الْمُقْرِيُّ ؛ يُكْنَى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الكلف به ، وكان يبيت وقب الحليس (٢) عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ، وعليه فروة قد رفعها ، فيبكي لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط منفضياً عليها ، وكان بنوها ينحشون فإها يشجار (٣) ، وهو عود فيصبشون فيه الحساء لثلاث موت ، وسندكر اسمها ونسبها عند ذكره في البدرين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكره ، فيقول : مارأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدي . وذكر أيضاً بإسناد له ، قال : كان

(١) في حديث رواه أحمد بسنده عن سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) القعب : القدح الضخم الجافي ، والحليس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ، ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(٣) أصله : عود يجعل في فم الجدى لثلاث يرضع . وحديث بكاء الرسول وص حين كان يرى مصعباً رواه الترمذي بسند فيه ضعف .

(م ٧ - الروض الأنف ج ٤)

مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا وَسِنًّا وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحْبَابَانِهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ أَغْطَرُ أَهْلِ مَكَّةَ يَلْبَسُ الْخُضْرَ مِيًّا مِنْ النَّعَالِ (١)

وَذَكَرَ أَنَّ مَنَزَلَهُ كَانَ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، مَنَزَلٌ بَفَتْحِ الزَّيِّ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ مَنَزَلِ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ ، فَهُوَ بِالْفَتْحِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمَصْدَرَ ، وَلَمْ يُرِدِ الْمَسْكَانَ ، وَكَذَلِكَ قِيمَةُ الشَّيْخِ أَبُو بَجْرٍ بَفَتْحِ الزَّيِّ ، وَأَمَّا أُمُّ قَيْسِ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَجْرَةِ بَنِي أَسَدٍ ، فَاسْمُهَا أَمْنَةُ وَهِيَ أُخْتُ عَكَاشَةَ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْتُ فِي الْمَوْطَأِ وَأَنَّهَا أَتَتْ بَابْنَ لَهَا صَغِيرًا لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أول صحفة :

فصل : وذكر أول من جَمَعَ بالمدينة ، وهو أبو أمّامة ، وذكر غيره أن أول من جَمَعَ بهم مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ قَدَّمَ بَعْدَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ مَنْ جَمَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمَكَّةَ لِحُطْبِ وَذَكَرَ وَبَشَّرَ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَضَّ عَلَى اتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ كَثَبُ بْنُ لُؤَيٍّ (٢) وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَمَى الْعَرُوبَةَ الْجُمُعَةَ ، وَمَعْنَى الْعَرُوبَةِ الرَّحْمَةُ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهَا فِيمَا حَكَى الزُّبَيْرُ بْنُ بِنكَارٍ ، فَيَخْطُبُهُمْ ، فَيَقُولُ : أَمَا بَعْدَ فَاعَلَمُوا وَتَعَالَمُوا إِنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ مَهَادَةٌ ،

(١) نسبة إلى حضرموت ، وهي نعال ملسنة .

(٢) وسبق تعليق على ذلك .

والجبالُ أوتناد، والسماءُ بناء، والنجومُ سما^(١)، ثم يأمرهم بصلَّةِ الرَّحِمِ، ويبشرهم بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم^(٢)، ويقول: حَرَّمُكُمْ يَا قَوْمَ عِظْمُوه، فسيكون له نبياً عظيماً، ويخرج منه نبيٌّ كريم، ثم يقول في شعر ذكره:

على غَمَلَةٍ يَأْتِي النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ فيخبر أخباراً صَدُوقٌ خَيْرُهَا
صُرُوفٌ رَأَيْنَاهَا تُقَلِّبُ أَهْلَهَا لها عَقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا
ثم يقول:

بِالْيَتَنِيِّ شَاهِدٌ فَجَوَاءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تَبَعْنِي الْحَقَّ خِذْلَانَا^(٣)
وأما أول من جمع في الإسلام فهو مَنْ ذَكَرْنَا.

نقبح الخضمات:

وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هَزَمِ النَّبِيَّتِ فِي بَقِيعِ
يقال له بَقِيعِ الخُضَمَاتِ. بَقِيعٌ بالبَاءِ وَجَدْتَهُ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَجْرٍ، وَكَذَلِكَ

(١) هكذا بالأصل، ولم أهدد إلى صوابها.

(٢) النبي نفسه لم يكن حتى ليلة المبعث يعرف شيئاً عن نبوته. يجوز أن نفهم على فرض صحة النقل - أنه كان يبشرهم بمبعث نبي، ويقول عنه الجاحظ «ومن الخطباء القدماء: كعب بن لؤي، وكان يخطب على العرب عامة، ويحضر كنانة على البر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب إلى عام الفيل، ص ٣٥ ج١ البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) في الأصل: لجراء، وهو خطأ. وللحكمة روايتان إحداهما: لجواء أي: معنى، ونجواء، والمد للضرورة وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أي دعوته السر. وقد سبق التعليق على البيت في الجزء الأول.

وجده في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم من أسماء البقع أنه نقيع بالنون ، ذكره في باب النون والقاف ^(١) ، وقال : هَزَم النَّبَيْت : جَبَلٌ على بريد من المدينة ، وفي غريب الحديث : أنه عليه السلام حَمَى غرز النقيع . قال الخطابي : النقيعُ : القاعُ ، وَالقَرَزُ شبه الثَّام ^(٢) وسيأتي تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ومعنى الخَضَمَاتِ من الخَضْم ، وهو الأكل باقِم كله ، وَالقَضْمُ بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل الياَس ، وَالخَضْمُ : أكل الرطب ، فكأنه جمع خَضَمَة ، وهي الماشية التي تَخَضْم ، فكأنه سمى بذلك لخضب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما ببيع الخَبِجِيَّةِ بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره في سُنَنِ أَبِي داوُد ^(٣) : وَالخَبِجِيَّةُ : شَجَرَةٌ عُرِفَ بِهَا .

الجمعة :

فصل : وتجميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم وكانت تسمى العَرُوبِيَّة - كان عن هِدَايَةِ من الله تعالى لهم

(١) يقول الخشنى في شرح السيرة عن نقيع الخضيمات : ووقع في الرواية هنا بالباء والنون ، والصواب بالنون ، وهو موضع يستنقع فيه الماء ، والنقيع : البئر ص ١١٨ . وهو في معجم ياقوت : نقيع . وكذلك صاحب المراصد .

(٢) في القاموس عن الغرز : ضرب من الثمام أو نباته كنبات الإذخر من شر المرعى .

(٣) رواه في باب الركاذ بسنده عن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وخلاصته أن المقداد وجد ببيع الخبيجة حجرا وجد به عدة دنائير ، وأن النبي دعا له بالبركة فيها بعد أن علم أنه لم يهوا إلى الحجر بيديه .

قبل أن يؤثروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة : أضاءته اليهود والنصارى ، وهذا كرم الله إليه .

ذكر الكشي ، وهو عبد بن حميد قال : نا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يتقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموا الجمعة ، قال الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فهلم ، فلنجعل يوما يجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلي ونشكر ، أو كما قالوا ، فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم العزوبة ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العزوبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ، فصلى بهم يومئذ ركعتين ، فذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاة فتغذوا وتمشوا من شاة ، وذلك لفلتهم ، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الجمعة : ٩ .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه ، فيبعد أن يكون فعلهم ذلك عن غير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم ، فقد روى الدار أقطبي عن عثمان ابن أحمد بن السماك ، قال : نا أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ، قال : نا محمد ابن عبد الله أبو زيد آمدني ، قال : نا المنيرة بن عبد الرحمن ، قال : حدثني مالك بن الزهري عن عبید الله بن عبید الله عن ابن عباس ، قال : أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله

عليه سلم - أن يجمع بمكة ، ولا يبدى لهم ، فكتب إلى مضعب بن عمير :
أما بعد : فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسببتهم ، فاجمعوا نساءكم
وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى
الله بركعتين قال : فأول من جمع : مضعب بن عمير ، حتى قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فجمع عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى
قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أضلته اليهود والنصارى ، وهذا كمن الله إليه
فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أمرُوا بيوم من الأسبوع ، يعظمون الله فيه ،
ويتفرغون لعبادته ، فاخترُوا من قبَل أنفسهم السبت فألزموه في شرعهم ،
كذلك النصارى أمرُوا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع ، فاخترُوا من قبَل
أنفسهم الأحد ، فألزموه شرعاً لهم .

قال المؤلف : وكان اليهود إنما اختاروا السبت ، لأنهم اعتقدوه اليوم
السابع ، ثم زادوا الكفرهم أن الله استراح فيه ، تعالى الله عن قولهم ، لأن بدء
الخلق عندهم الأحد ، وآخر الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة ، وهو
أيضاً مذهب النصارى ، فاخترُوا الأحد ، لأنه أول الأيام في زعمهم ،
وقد شهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للفريقين بإضلال اليوم ، وقال
في صحيح مسلم إن الله خلق التربة يوم السبت ، فبين أن أول الأيام التي خلق
الله فيها الخلق السبت ، وآخر الأيام الستة إذا الخميس ، وكذلك قال ابن
إسحاق فيما ذكر عنه الطبري ، وفي الأثر أن يوم الجمعة سُمي الجمعة ، لأنه
يجمع فيه خلق آدم ، روى ذلك عن سلمان وغيره ، وقد قدمنا في حديث

الكَشَى أَنْ الْأَنْصَارَ سَمَّوْهُ جُمَعَةً لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ ، فَهَدَاهُمْ اللَّهُ إِلَى التَّسْمِيَةِ ،
وَهَدَاهُمْ إِلَى اخْتِيَارِ الْيَوْمِ ، وَمُوَافَقَةِ الْحِكْمَةِ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَدَأَ فِيهِ خَلْقَ آدَمَ
وَجَمَلَ فِيهِ بَدْءَ هَذَا الْجِنْسِ ، وَهُوَ الْبَشَرُ ، وَجَمَلَ فِيهِ أَيْضًا فَنَاءَهُمْ
وَاقْتِضَاءَهُمْ إِذْ فِيهِ تَقْوَمُ السَّاعَةُ ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ ذِكْرٍ وَعِبَادَةٍ ، لِأَنَّهُ
تَذَكُّرَةٌ بِالْمَبْدَأِ ، وَتَذَكُّرَةٌ بِالْمَعَادِ ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُّوا الْبَيْعَ ﴾ الْجُمُعَةِ : ٩ وَخَصَّ الْبَيْعَ لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُذَكَّرُ بِالْيَوْمِ الَّذِي
لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِدْلَةٌ مَعَهُ أَنَّهُ وَثَرٌ لِلْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَهُ فِي الْأَصْحَحِ مِنَ الْقَوْلِ ،
وَاللَّهُ يَحِبُّ الْوَثَرَ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَكَانَ مِنْ هُدَى اللَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ أَلْهِمُوا
إِلَيْهِ ثُمَّ أَقْرَبُوا عَلَيْهِ لَمَّا وَافَقُوا الْحِكْمَةَ فِيهِ ، فَهَمَّ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
كَأَنَّ الْقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي اخْتَارُوهُ سَابِقٌ لِمَا اخْتَارَتْهُ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى ، وَمَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سُورَةَ السَّجْدَةِ فِي صَبْحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنِ
أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ الْبَطِينُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كِلَاهِمَا عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَوَاهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَيْضًا عُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ذَكَرَهُ الْبَزَارُ ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْعَمَالِ لَهُ عَنِ الْأَحْوَصِ ، وَرَوَاهُ أَيْضًا
عَنِ ابْنِ الْأَحْوَصِ ، وَعَنْ عَلْقَمَةَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ السَّيِّئَاتِ الْأَيَّامِ وَاتِّبَاعِهَا بِذِكْرِ خَلْقِ آدَمَ مِنْ طِينٍ ،
وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَنْبِيْهُهَا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَتَذَكُّرَةٌ لِلْغُلُوبِ

بهذه الموعظة (١) :

(١) أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام ابن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع. اليهود غدا، والنصارى بعد غد، لفظ البخارى، وفى لفظ لمسلم: أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضى بينهم قبل الخلاق، والمسلم لا يطمئن قلبه فيما يتعلق بالعبادة إلا لما نقل نقلاً صحيحاً يغمر القلب بالسكينة: والروح بالولاء له، ولن تطمئن نفس مسلم إلى أن الجمعة كانت صلاة ابتدئها بالانصار من عندهم. والقارىء المتدبر لآية الجمعة فى سورة الجمعة يؤمن أن صلاة الجمعة مفرضة من عند الله، لا من عند الانصار، ولا من عند النبي «ص»، فالنبي لا يفرض أمراً، وإنما الذى يفرض هو ربنا سبحانه وتعالى.

أما زعم اليهود عن السبت، فقد ورد عندهم فى سفر التكوين ما يأتى :
« فأكملت السموات والأرض، وكل جندها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع، وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا »
الإصحاح الثانى الفقرات: ١، ٢، ٣، والقرآن الكريم يدفع زورهم هذا بأنه بهتان أثيم. وتدبر قول الله سبحانه (ولقد خلقنا الساعات والأرض، وما بينهما فى ستة أيام، وما مسنا من لغوب) ق: ٢٨ واللغوب: التعب والاعياء، هكذا اليهود لا يسكن حقدهم إلا أن يسبوا الله جل جلاله. ثم تدبر عن أيام الخلق هذه الآية البينة: (قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين، وتجعلون

وأما قراءته : ﴿ هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ فى الركة الثانية ، فلما فيها من ذكر السعى وشكر الله لهم عليه يقول : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ مع ما فى أولها من ذكر بدء خلق الإنسان ، وأنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً ، وقد قال فى يوم الجمعة ﴿ فَاسْتَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فنبه بقراءته إياها على التأهب للسعى المشكور عليه والله أعلم ، ألا ترى أنه كان كثيراً ما يقرأ فى صلاة الجمعة أيضاً يهمل أناك حديث العاشية ، وذلك أن فيها : ﴿ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴾ كما فى سورة الجمعة ، ﴿ فَاسْتَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فَاسْتَحَبَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يقرأ فى الثانية ما فيه

له أنداداً ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء ، وهى دخان ، فقال لها ، وللأرض : أنتيا طوعاً أو كرهاً قالنا آمينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وخفضنا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت : ٩ - ١٢ هذا هو الهدى الذى يتلألا فيه الحق ، يشرق منه نور الله . وأما حديث أبى هريرة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيدي ، فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ، أما هذا فقد رواه مسلم والنسائى فى كتابيهما من حديث ابن جريج ، وهو - كما قيل - من غرائب الصحيح ، وقد علله البخارى فى التاريخ ، فقال رواه بعضهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأبار ١١ وهنا تتجلى لنا حكمة الهداية الإلهية فى قول سبجانه : (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً) الكهف : ٢١ فلا يجوز لمسلم أن يقول عن خلق السموات والأرض شيئاً غير ما قال الله سبحانه .

رضاهم بسعيهم للأمر به في السورة الأولى .

لفظ الجمعة :

ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع ، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَةٌ وفُعْلَةٌ لأنه في معنى فُرْبَةٌ ، وفُرْبَةٌ والعرب تأتي بلفظ الكلمة على وزن ما هو في معناها ، وقالوا : عُمَرَةٌ ، فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام ، وبنوه على فُعْلَةٌ لأنها وُصِّلَتْ وفُرْبَةٌ إلى الله ، ولهذا الأصل فروغ في كلام العرب ، ونظائر لهذين الأسمين يُقِيمُنَا تَبِعُهُ عَمَانِحْنِ بِسَيْلِهِ ، وفيما قَدَّمَ مَاهُو أ كَثْرَ مِنْ لَمَجَّةٍ دَلَّةٌ ، وقالوا في الجمعة جَمَعَ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ كما قالوا عَيَّدَ إِذَا شَهِدَ الْعِيدَ ، وَعَرَّفَ إِذَا شَهِدَ عَرَفَةَ ، ولا يقال في غير الْجُمُعَةِ إِلا جَمَعَ بِالتَّخْفِيفِ ، وفي البخاري : أول من عَرَّفَ بِالْبَصْرَةِ : ابنُ عَبَّاسٍ ، والتعريف إنما هو بِمَرَّاتٍ ، فكيف بالبصرة ، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إذا صلى العصر يوم عَرَفَةَ أَخَذَ فِي الدُّعَاءِ ، والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس ، كما يفعل أهلُ عَرَفَةَ (١) .

أيام الأسبوع :

وليس في تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال : إن أول الأسبوع : الأحد وسابعها السبت ، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة ، وإنما كانت أسماؤها في اللغة القديمة شِيَارَ وَأَوَّلَ وَأَهْرُونَ وَجُبَّارَ وَدُبَّارَ وَمُونِسُ وَالْعَرُوبَةُ (٢) ، وأسماؤها بالسريانية قبل هذا (١) وفيها أيضاً جمعه إذ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال رجل همزة لمزة ضحكة .

(٢) سبق الكلام عنها . وقد جمعها الشاعر في قوله :

أومل أن أعيش . وأن يومى بأول ، أو بأهون أو جبّار
أو التالى : دبار ، فإن أفته فؤفس أو عروبة أو شيار

أبو جاد هُوَز حُطَّى إلى آخرها، ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد، لقاننا: هي تسمية صادقة على المسمى بها، ولكنه لم يذكر حنبا إلا الجُمعة والسَّبْت، وليس من المُشْتَقَّة من العَدَدِ، ولم يُسَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين إلى سائرهما إلا حاكيا للغة قومه لا مُتَبَدِّئًا لتسميتهما، ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعا لهم، وإلا فقد قدمنا ما ورد في الصحيح من قوله عليه السلام: إن الله خلق التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ والجبال يوم الأحد، الحديث، والمعجب من الطَّبْرِيِّ على تَبَجْرِهِ في العلم كيف خالف مقتضى

أراد: فبمؤنس، وترك صرفه على اللغة القديمة، وإن شئت جعلته على لغة من رأى ترك صرف ما ينصرف... قال أبو موسى الحامض: قلت لأبي العباس: هذا الشعر موضوع، قال: لم؟ قلت: لأن مؤنسا وجبارا ودبارا وشيارا تنصرف، وقد ترك صرفها، فقال: هذا جائز في الكلام فكيف في الشعر؟ وقال اللحاني: كان أبو زياد وأبو الجراح يقولان: مضت الجمعة بما فيها، فيوحدان ويؤنثان، وكانا يقولان: مضى السبت بما فيه فيوحدان ويذكران، وكذلك الأحد، ثم اختلفا فيما بعد، فكان أبو زياد يقول: مضى الاثنان بما فيه وكذلك يفعل في الثلاثاء والأربعاء والخميس. أما أبو الجراح فكان يقول: مضى الاثنان بما فيهما، ومضى الثلاثاء بما فيهن، ومضى الأربعاء بما فيهن، ومضى الخميس بما فيهن، فيجمع ويؤنث يخرج ذلك مخرج العدد. اللسان مادة جمع وعرب.

(١) ورد ذكر الجمعة مرة واحدة في القرآن في سورة الجمعة الآية رقم ٩، أما السبت فذكرت مرات في القرآن في البقرة والنساء والاعراف والنحل، وجاء الفعل: يسبتون مرة واحدة في الاعراف.

هذا الحديث ، وأغتنق في الرد على ابن إسحاق وغيره ، ومعال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويوم الجمعة سادس لا وتر وإنما الوتر في قولهم يوم السبت مع مائت من قوله عليه السلام : أضلّهُ اليهودُ والنصارى ، وهذا كم الله إليه ، وما احتج به بالطبري^(١) من حديث آخر ، فليس في الصحة كالذي قدمناه ، وقد يمكن فيه التأويل أيضا ، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى في تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بإنشاء هذا الجنس ومبدهه ، كما قدمنا ، ولما فيه أيضا من التذكرة بأحدية الله سبحانه ، وانفراده قبل الخلق بنفسه ، فإك إذا كنت في الجمعة ، وتفكرت في كل جمعة قبله حتى يترقى وهُك إلى الجمعة التي خلِق فيها أبوك آدم ثم فكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة ،

(١) اختلاف لأطائل تحته . ولنتدبر معا ما ذكرت به من قبل من قول الله سبحانه (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم) هذا وقد ورد في سفر التكوين أول أسفار التوراة كما يقول النصارى واليهود ، أن الله خلق الليل والنهار في اليوم الأول ، وخلق السماء في اليوم الثاني ، وخلق الأرض بنباتها وشجرها في اليوم الثالث ، وخلق أنوار السماء ونجومها في اليوم الرابع ، وخلق ما في البحر من زحافات ، وما في الأرض من طير ، وكل ذوات الأنفس الحية - ما عدا الإنسان - في اليوم الخامس ، ثم عمل وحوش الأرض وبهائها ودباباتها ، ثم قال « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهتنا ، فيتمسكون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكر و أنثى خلقهم ، كل هذا في اليوم السادس ، ثم يقول السفر ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فلنتدبر ما يروى لنا من غير القرآن ، فقد يكون من هذه الأسفار ، ونحن لا ندري .

وجدت في كل يومٍ منها جنساً من المخلوقات موجوداً إلى السَّبْتِ ، ثم انقطع وهُمُك فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبتَ وجوداً إلا للواحد الصَّمدِ الوتر ، فقد ذكَّرت الجمعة مَنْ تَفَكَّرَ بَوحدانيةِ الله وأوَّليته ، فوجب أن يُؤكِّد في هذا اليوم توحيدُ القلب للربِّ بالذِّكر له ، كما قال تعالى : ﴿ فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ الجمعة . وأن يتأكَّد ذلك الذِّكرُ بالعمل ، وذلك بأن يكون العملُ مشاكلاً لمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع في مسجدٍ واحدٍ من المساجد ، وإلى إمامٍ واحدٍ من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكِّر بوحدايةِ الله تعالى وبقائه ، فيشاكل العملُ القول ، والقول المعتقد ، فتأمل هذه الأغراض بقلبك ، فإنها تذكرةٌ بالحق ، وقد زدنا على ما شرطنا في أول الكتاب معاني لم تكن هنالك ، وعدنا بها ، ولكن الكلام يفتح بعضه باب بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السَّعدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلاف المَخالفِ

فحَسِبوا أنه يريد بالسَّعدين : القبيلتين سعد هُدَيم من قُضاعة ، وسعد بن

زَيْد مَنَاة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فِيَا سَعْدَ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا
وَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْخَزْرَجِيِّنَ الْفَطَارِفِ
أَجِيْبَا إِلَى دَاعِي الْهَدْيِ ، وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ (١)
فَعَلِمُوا حَيْثُذَ أَنَّهُ يَرِيدُ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

هل يغسل الكافر إذا أسلم ؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مُصْعَبِ بْنِ مُعْمِرٍ لهما بذلك ، فذلك
السُّنَّةُ فِي كُلِّ كَافِرٍ يَسْلَمُ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي نِيَّةِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بَاغْتِسَالِهِ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ يَنْوِي بِهِ رَفْعَ الْجَنَابَةِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَنْوِي التَّعَبُّدَ ، وَلَا حُكْمَ
لِلْجَنَابَةِ فِي حَقِّهِ ، لِأَنَّ مَعْنَى الْأَمْرِ بِهِ اسْتِبَاحَةُ الصَّلَاةِ ، وَالْكَافِرُ لَا يُصَلِّي ،
وَإِنْ كَانَ مَخْطَبًا فِي أَصْحَابِ الْقَوْلَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ مُشْرُوطٌ بِالْإِيمَانِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ
الْإِيمَانُ - وَهُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ - فَأَجْدِرُ أَنْ يَكُونَ - الشَّرْطُ الثَّانِي - وَهُوَ
الغسل من الجنابة غير مُقَيَّدٍ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا أَسْلَمَ هَدَمَ الْإِسْلَامُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، فَلَمْ
يَجِبْ عَلَيْهِ لِإِعَادَةِ صَلَاةٍ مَضَتْ ، وَإِذَا سَقَطَتِ الصَّلَاةُ سَقَطَتْ عَنْهُ شُرُوطُهَا ،
وَاسْتَأْنَفَ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ ، فَتَجِبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ مِنْ حِينَ يَسْلَمُ بِشُرُوطِ

(١) هذا الصَّاحِحُ أَوْ الْهَاتِفُ هُوَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ ، وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ
الْبَارِي عَنِ السَّعْدِيِّنَ ، وَإِيَاهُمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ ، ثُمَّ رَوَى الْبَيْتَ : فَإِنْ يَسْلَمُ
ص ٩٧ فَتَحِ الْبَارِي > ٧ وَبَعْدَ الْبَيْتِ الْآخِيرِ :

فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهَدْيِ جَنَّانٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رِفَارِفِ
وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الْاَوْسَطِ وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْهُ فِي الصَّحِيحِ

أدائها من وضوء وغسل من جنابة ، إذا أُجْتَنِبَ بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سنة لأفريضة وليس عندي بالبين لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ . وحكم النجاسة إنما يُرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة ؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشرك ، والحكم المعلل بالصفة مرتبط بها فإذا ارتفع حكم الشرك بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلم جنبا ، ثم بال فالطهور من الجنابة ، يرفع عنه حكم الحَدَث الأصغر ، وهو حَدَثُ الوُضُوءِ ، لأن الطهارة الصغرى داخلة في الكبرى ، وتطهره من تنجيس الشرك بإيمانه هو أيضاً بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغي أن تكون مُغْنِيَةً عنها ، كما كانت الطهارة من الجنابة مُغْنِيَةً عن الطهارة من الحَدَث ، إذ ليست واحدة من هذه الطهارات مزيلة لغير نجاسة فيها ، فينبغي بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبد ، والحكم بأنه غير فرض تحكم والله أعلم ، غير أن الترمذى خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذى : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر إذا أسلم أن يغتسل ، ويغسل ثيابه ، فقال : يستحبون ، وجعلها مسألة استحباب .

من شرح شعر ابن الأَسَلْتِ :

فصل : وذكر شعر أبي قيس بن الأَسَلْتِ ، وفيه قوله :

ولولا ربنا كُنا يهوداً وما دين اليهود بنى سُكُول

أراد جمع : شَكْلٌ ، وشَكْلُ الشَّيْءِ - بالفتح ^(١) - هو مثله ، والشَّكْلُ بالكسر الدَّلُّ والحُسْنُ ، فكانه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أى : ليس له نظير في الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائي :

وقلت : أخی ، قالوا : أخٌ من قرآبِيةٍ فقلت لهم : إن الشُّكُولَ أقاربُ
قربى في رأبي ودينى ومذهبي وإن باعدتنا في الخطوب المناسب
وقال فيه : مع الرهبان في جبَلِ الجليل . الجليلُ بالجمِ الثَّامَ ، وهذا الجبل
من جبال الشام معروف بهذا الاسم ^(٢) .

ذكر البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعب بن مالك حين حجَّ في نفرٍ من قومه مع البراء بن معرورٍ ، فكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وكان البراء يصل إلى الكعبة

(١) في القاموس أنه يكسر أيضاً

(٢) في المراصد : جبل الجليل : في ساحل الشام تمتد إلى قرب مصر . قيل هو جبل يقبل من الحجاز ، فاكان بفلسطين فهو جبل الخمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق : لبنان وبحمص : سنير . وفي قاموس الدكتور بوست : أن الجليل كانت القسم الشمالي لفلسطين ، ويحدها من الشمال نهر القاسمية ، ومن الشرق : الأردن وبحر الجليل ، ومن الجنوب : السامرة ، ومن الغرب فينيقية الممتدة من الكوامل إلى صور ، وكانت الجليل قسمين العليا ويسكنها السوريون والفينيقيون ، والعرب ، والسفلى ، فكانت بقرب بحر طبرية ، وكان يسكنها أسباط إسكروزيبولون وغيرهم .

الحديث - إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قد كنت على قبلة
لو صبرت إليها ففقه قوله : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى ؛
لأنه كان متأولاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفي الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي
بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت
المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً^(١) ، فعلى هذا

(١) روى البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر
شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة
للعصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل من كان صلى معه ، فرعى أهل المسجد ، وهم
راكعون ، قال : أشهد بالله : لقد صليت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل
مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة ، قبل أن تحول
قبل البيت رجالا فقتلوا لم ندر ما تقول فيهم ، فأنزل الله : (وما كان الله ليضيع
إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) . أقول : لعل الراوى يريد أنه بهذا الجزء
من الآية اطمأن كل امرئ مسلم إلى هذا المعنى ، أو لعله أراد الآية كلها ، إذ
لا يعقل تأخر جزء من آية هذا شأنه وارتباطه الوثيق بما قبله عن جزئه الأول
المتتم لمعناه . وقد انفرد البخارى به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه
آخر وورد في البخارى أيضاً ، بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء
جاء فقال : أنزل الله على النبي قرآنا أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، فتوجهوا
إلى الكعبة ، وأخرجه مسلم أيضاً . وإليك ما قاله ابن كثير في تفسيره ، وقد جاء
في هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله - صلى الله

يكون في القبلة نَسْخَانُ نَسْخِ سُنَّةِ بَسْنَةَ ، ونسخ سُنَّةِ بقرآن ، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبال بيت المقدس ، وجعل السكبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعا لم يبين توجُّهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له في الآية الناسخة : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ

عليه وسلم - أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان يصلى بين الركنين ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والجمهور ، ثم اختلف هؤلاء ، هل كان الأمر به بالقرآن ، أو بغيره ؟ على قواين ، وحكى القرطبي في تفسيره . . . أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى السكبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ، فخطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس ، فأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ، . . . ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى أنها الظهر . . . وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ، وقد صلى ركعتين من الظهر ، وذلك في مسجد بنى سلبية ، فسمى مسجد القبلتين : وفي حديث نويلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك ، وهم في صلاة الظهر ، قال : فتحولت الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النجدي ، وأما أهل قباء ، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين ، وهي محمولة للجمع بين التي تروى أنها صلاة العصر ، وبين التي تروى أنها صلاة الصبح . . .

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿ البقرة: ١٥٠: أى: من أى جهة جئت إلى الصلاة ،
وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مُسْتَقْدِرًا لبيت المقدس ، أو لم تكن ،
لأنه كان بمكة يتحرّى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه ،
وتدبر قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ ﴾ وقال لأُمَّته :
﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ولم يقل : حينما خَرَجْتُمْ ، وذلك
أنه كان عليه السلام إمام المسلمين ، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلي بهم ،
وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدى به فأفاد ذكرُ الخروج في خاصّته
في هذا المعنى ، ولم يكن حكم غيره هكذا ، يقتضى الخروج ، ولاسيما النساء ،
ومن لاجتماعه عليه ، وكرر البارى تعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث
آيات ، لأن المُنْكَرِينَ لتحويل القبلة ، كانوا ثلاثة أصنافٍ من الناس اليهود ،
لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم ، وأهل الرِّيب والنِّفاق اشتد
إنكارهم له أنه كان أول نسخ نزل ، وكفار قُرَيْش قالوا : ندِم محمد على فراق
ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قِبَلْتَنَا ، وكانوا قبل ذلك يحنّجون عليه ،
فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبلة
إبراهيم وإسماعيل ، وآثر عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى
الكعبة ﴿ لَثَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حِجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ البقرة: ١٥٠
على الاستثناء المنقطع ، أى: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون (١)

(١) يرى بعض المفسرين أنه غير منقطع ، لأن هذا لا يرد في الكلام البليغ
الفصيح ، يقول البيضاوى عن الاستثناء هنا : إلا الذين ظلموا منهم استثناء من
الناس ، أى لثلا يكون لاحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون

وقال سبحانه: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ١٤٧ أى: من الذين شكوا وامتروا، ومعنى: الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام، هو الحق الذى كان عليه الأنبياء قبلك فلا تمترفى ذلك وقال: ﴿وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق﴾ البقرة: ١٤٤ وقال: ﴿وإن فريقا منهم ليكتمون الحق﴾ وهم يعلمون﴾ البقرة: ١٤٦ أى يكتمون ما علموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء، وروى أبو داود السنجرى فى كتاب الفاسخ والمنسوخ له وهو فى روايتنا عنه بسند رفيع حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربى قال: أنا أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أيوب اللبزار، قال: أنا أبو على بن شاذان قال: أنا أبو بكر الفقيه النجار أحمد بن

ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه، وحبا لبلده، أو: بداله فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم، وسمى هذه حجة كقوله تعالى: (حجتهم داخضة عند ربهم) لأنهم يسوقون مساقها وقيل: الحجة بمعنى الاحتجاج، وقيل: الاستثناء للمبالغة فى نفي الحجة رأسا . . . وقرئ: (إلا الذين ظلموا منهم) على أنه استثناء بحرف التثنية،: وفى تفسير الجلالين: «إلا الذين ظلموا منهم بالعناد، فإنهم يقولون: ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه، والاستثناء متصل، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء، ويقول ابن كثير: «إلا الذين ظلموا منهم يعنى: مشركى قريش، ووجه بعضهم حجة الظلمة — وهى داخضة — أن قالوا: هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم، فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم، فلم يرجع عنه؟ والجواب: أن الله تعالى اختار له التوجه إلى البيت المقدس أولا لما له تعالى فى ذلك من الحكمة، فأطاع ربه تعالى فى ذلك، ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم، وهى الكعبة، فامتثل أمر الله فى ذلك أيضاً،

سُلَيْمَانَ عَنْهُ ، قَالَ : نَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : نَا عَنبَسَةَ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ
قَالَ : كَانَ سَالِمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا يَعْظُمُ إِلَّا بِلِيَاءِ كَمَا يَعْظُمُهَا أَهْلُ بَيْتِهِ ، قَالَ : فَسَرَتْ
مَعَهُ ، وَهُوَ وَلى عَهْدٍ ، قَالَ : وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ سَالِمَانُ : وَهُوَ
جَالِسٌ فِيهِ : وَاللَّهِ إِنْ فِي هَذِهِ الْقِبْلَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى لَمَجَبَّأً ،
قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ لَأَقْرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَقْرَأَ التَّوْرَةَ ، فَلَمْ يَجِدْهَا فِي الْيَهُودِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ،
وَلَكِنْ تَابَوْتُ السَّكِينَةَ كَانَ عَلَى الصَّخْرَةِ ، فَلَمَّا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ رَفَعَهُ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الصَّخْرَةِ عَنْ مُشَاوَرَةٍ مِنْهُمْ ، وَرَوَى
أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا أَنَّ يَهُودِيًّا خَاصِمَ أَبَا الْعَالِيَةِ فِي الْقِبْلَةِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ :
إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَصَلِّي عِنْدَ الصَّخْرَةِ ، وَيَسْتَقْبِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، فَكَانَتْ
السَّكْبَةُ قِبْلَةً ، وَكَانَتْ الصَّخْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ الْيَهُودِيُّ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَسْجِدُ
صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : فَإِنِّي صَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِ صَالِحٍ
وَقِبْلَتُهُ السَّكْبَةُ ، وَأَخْبَرَ أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّهُ رَأَى مَسْجِدَ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقِبْلَتَهُ
السَّكْبَةَ ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ لِجَبْرِيلَ :
وَدِدْتُ أَنْ اللَّهُ حَوَّلَنِي عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ ، فَيَقُولُ لَهُ جَبْرِيلُ : إِمَّا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ ،
وَرَوَى غَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُدْنِيهِمْ بِصَرِّهِ إِذَا عَرَّجَ إِلَى السَّمَاءِ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَأْمُرَهُ
بِالتَّوَجُّهِ إِلَى السَّكْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾
الآية : البقرة ١٤٤ .

أم عمارة وأم منيع في بيعة العقبة الأخرى :

وذكر بيعة العقبة ، وذكر عدّة أصحاب بيعة العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وهما : أم عمارة وهي نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وباشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلمة ، فقطعت يدها ، وجرحت اثنا عشر جرحا ، ثم عاشت بعد ذلك دهرًا ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لتستشفى لهم ، فتمسح بيدها الشلاء على العليل ، وتدعوه له ، فقلّ ما مسحت بيدها ذا عاهة إلا برى .^(١)

والأخرى : أسماء بنت عمرو أم منيع ، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويروى أن أم عمارة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أرى كلّ شيء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾^(٢) الآية .

(١) المسلم يدين بأن الشفاء بيد الله وحده . تدبر ما قص الله عن إبراهيم من قوله : (وإذا مرضت فهو يشفين) وليس من أسباب الشفاء أن تمسح امرأة بيدها جسم إنسان ، ولكن من أسبابه الدعاء ، وما أحل الله من دواء يصفه الطبيب .

(٢) المشهور - كما روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير - أن أم سلمة وضى الله عنها هي التي قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن ، كما يذكر الرجال ؟ فنزلت الآية .

قول البراء بن معرور :

وذكر قول البراء بن معرور ، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا ، أراد : نساءنا ، والعرب تكفي عن المرأة بالإزار ، وتكفي أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسها كما قال :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبَهًا إِلَّا الْمَعَامَ الْمُفْرَأَ (١)
أى : بأبدان خفاف ، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جميعا ، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذي كتب إلى عمر من الغزو يذكره بأهله :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةَ إِزَارِي
قال : الإزار : كناية عن الأهل ، وهو في موضع نصب بالإغراء أى :
احفظ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه فداء لك نفسى ، وهذا القول هو الرضى في العربية ، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب ، لأنه أضر المبتدأ ، وأضر الفعل الناصب للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو :

قَلَانِصَنَا هَذَاكَ اللَّهُ مَهْلًا شَغِلْنَا عَنْكَ زَمَنَ الْحِصَارِ (٢)

(١) البيت ليل الأخيلىة ص ٩٢٢ سمط اللالى .

(٢) أصل القصة أن نفيلة الأكبر الأشجعى - وكنيته أبو المنهال - كتب إلى عمر أبياتا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليا على مدينتهم يخرج الجوارى

إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو ، فيعقلن ، ويقول : لا يمشی فی العقال
إلا الحصان ، فر بما وقعت ، فتكشفت ، وكان اسم هذا الرجل جمعة بن عبد الله
السلي ، فقال ما ذكر السهيلي وبمدهما :

فما قلص وجدن معقات قفا سلع بمختلف النجار
قلائص من بني كعب بن عمرو وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلن جمعة من سليم غوى يمتحنى سقط العذاري
يعقلن أبيض شيطمي وبئس معقل الذود الخيار
وفي وفاة الوفا للسمهودي : « من بني سعد بن بكر ، أو أسلم ، بدلا بما ذكر

في البيت الثالث :

وكنى بالقلاص عن النساء ، ونصها على الإغراء ، فلما وقف عمر - رضي
الله عنه - على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة
معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه ، فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له
في دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فسكان إذا رآه عمر
توعده ، فقال :

أكل الدهر جمعة مستحق أبا حفص لثتم أو وعيد
فما أنا بالبريء براه عذر ولا بالخالع الرسن الشرود
وقول جمعة : فدا لك الخ : أي أهلي ونفسي . وقال الجرمي : يريد بالإزار
ههنا : المرأة . والقصة مشهورة ، وقد رويت لغيره ، ورواها الأمدى فقال
عن جمعة : كان غزلا صاحب نساء يمدثن ويضحكن ، ويمازحن ، فيكن
يحتمن عنده ، فيأخذ المرأة فيعقلها ، ثم يأمرها أن تمشي فتتعث ، فتقع ،
فتكشف ، فيتأضحكن من ذلك إلخ وقد ذكر ابن حجر ترجمته في الإصابة
في القسم الثالث فيمن أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم يرد أنه رأى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم . ونفيلة في الإصابة : بقيلة الأكبر الأشجعي من بني بكر
ابن أشجع ، وهو بقاف مصغر ، ذكره الأمدى في حرف الموحدة . وقال الزبير
ابن بكار : سميت العتي بصحفة ، فيقول : نفيلة ، وقد شهد نفيلة أو بقيلة
القنادسية مع عمر . أنظر اللسان مادة أزر ، والإصابة ترجمة بقيلة ، وجمعة ح .

فَنَصَبَ قَلَانِصًا بِالْإِضْمَارِ الَّذِي جَعَلَهُ الْفَارِسِيُّ نَاصِبًا لِلْإِزَارِ .

ترجمة البراء :

وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ يُكْنَى أَبُو بَشْرٍ بَابْنِهِ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي أَكَلَ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ ^(١) ، فَمَاتَ وَمَعْرُورٌ اسْمُ
أَبِيهِ ، مَعْنَاهُ : مَقْصُودٌ يُقَالُ : عَرَّهُ وَاعْتَرَّه إِذَا قَصَدَ ^(٢) ، وَالْبَرَاءُ هَذَا مِنْ صَلَّى
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى قَبْرِهِ ^(٣) بَعْدَ مَوْتِهِ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا ، وَفِي
هَذَا الْحَدِيثِ الصَّلَاةُ عَلَى الْقَبْرِ ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ سِتِّ طُرُقٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَذَكَرَهَا كُلُّهَا أَبُو عُمَرَ فِي التَّمِيدِ ، وَزَادَ
ثَلَاثَ طُرُقٍ لَمْ يَذْكُرْهَا ابْنُ حَنْبَلٍ ، فَهِيَ إِذَا تُرْوَى مِنْ - تَسَعِ طُرُقٍ أَعْنَى أَنْ -
تَسْمَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَوَوْا صَلَاتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامِ عَلَى الْقَبْرِ ، فَمِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَنْسُ
ابْنُ مَالِكٍ وَبُرَيْدَةُ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَامِرُ بْنُ قُتَيْبَةَ وَأَبُو قَتَادَةَ
الْأَنْصَارِيُّ ، وَسَهْلُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَحَدِيثُهُ مُرْسَلٌ ، وَأَصْحَابُ
إِسْنَادِ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ .

والهدم الهدم

وَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْمَبَايِعِينَ لَهُ : بِلِ الدَّمِ الدَّمُ
وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْهَدْمُ بَفَتْحِ الدَّالِ . قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : كَانَتْ

(١) شهد بشر العقبة وبدراً وما بعدها ، ومات بعد خيبر .

(٢) في اللسان : عره يعره عرا واعتره ، واعتربه : إذا أتاه ، فطلب معرفته .

(٣) هذا لأنه مات - كما قيل - قبل قدوم النبي وص ، بشهر .

العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمي دمك وهذمي هذمك ، أى :
ما هدمت من الدماء ، هدمته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللذم اللذم والهدم
الهدم ، وأنشد :

ثم الحقى . بهدى ولدى

فَاللَّذْمُ : جمع لادم ، وهم أهله الذين يَلْتَدِمُونَ عليه إذا مات ، وهو من
لذمت صدره : إذا ضربته . والهدم قال ابن هشام : الحُرْمَةُ ، وإنما كنى عن
حُرْمَةِ الرجل وأهله بالهدم ، لأنهم كانوا أهل نُجْمَةٍ وارتحال ، ولهم بيوت
يستخفونها يوم ظعنهم ، فكلموا ظعنوا هدموها ، والهدم بمعنى المهدوم
كالتقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما
حوى ، ثم قال : هدمى هدمك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك
وأنشد يعقوب :

تمضى إذا زجرت عن سواقٍ قدما كأنها هدمٌ فى الجفْرِ مُنْقَاضٌ^(١)

(١) إذا حركت دال الهدم ، فهى القبر ، فيكون المعنى : أقبر حيث
تقبرون ، وقيل : هو المنزل : أى منزل لكم : منزلى ، وبالفتح أيضاً والسكون :
إهدار دم القتل ، فيكون المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دمي وإن
أهدر دمكم ، فقد أهدر دمي لاستحكام الألفة . وفسرها ابن الاعراب عند
التحريك بقوله : إن ظلمتم فقد ظلمت ، فسر أبو عبيدة : اللدم اللدم والهدم
الهدم بقوله : حرمتى مع حرمتكم ، وبيتى مع بيتكم ، وفسر الحقى بهدمى
ولدى بقوله : بأصلى وموضعى ، وفسر أبو الهيثم : اللدم اللدم الخ بقوله إن قتلتى
إنسان طلبت بدى كما تطلب بدم وليك ، ومن هدم لى عزا وشرقا فقد هدمه

من ولي النقباء :

فصل : وذكر الاثني عشر نقيباً ، وشعر كعب فيهم إلى آخره ، وليس فيه مايشكل ، وإنما جعلهم عليه السلام اثني عشر نقيباً اقتداءً بقوله تعالى في قوم موسى ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ وقد سمينا أولئك النقباء بأسمائهم (١) في كتاب التعريف والإعلام ، فليُنظر هنالك .

منك ، وكل من قتل ولي ، فقد قتل وليك ، ومن أراد هدمك ، فقد قصدني بذلك . وقال الأزهرى : ومن رواه الهدم الهدم والحزم بسكون الذال - فهو على قول الخليف : تطلب بدى ، وأنا أطلب بدمك ، وما هدمت من الدماء هدمت أى : ما عفوت عنه ، وأهدرتة ، فقد عفوت عنه ، وتركته . وقال الفراء : عن دخول أل على الهدم والدم والدم : والعرب تدخل الالف واللام اللتين للتعريف على الاسم ، فتقومان مقام الإضافة كقول الله عز وجل : (فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى) . . . أى : الجحيم مأواه ، أما الزجاج فقدرها بقوله فإن الجحيم هى المأوى له . وقال ابن الاثير فى رواية الدم الدم : هو أن يدر دم القتل المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دى . ويرى ابن الاعرابى فى اللدم أنها الحرم جمع لادم فالمعنى : حرمكم : حرمى . ويقول أبو عبيدة : اللدم : الحرم . جمع لادم سمى نساء الرجل وحرمه لدماً لأنهن يلتدمن عليه إذا مات . . . واللدم : ضرب المرأة صدرها وقيل : الاطم والضرب بشىء ثقيل انظر اللسان والنهاية لابن الاثير فى مادى : لدم وهدم

(١) فى نسب عبدالله بن رواحة ، زدت ثعلبة ، والاغر من الجمهرة لابن حزم ص ٣٤٤ ط ١ ومن الإصابة : لقب امرؤ القيس بأنه الاغر وفى نسب سعد بن عبادة يقول الخشنى ص ١١٩ ابن حزيمة بدلا من خزيمة وقال : بالحاء المهملة المفتوحة والزاء المكسورة هو الصواب كذا قيده الدارقطنى . وورد كذلك فى ص ٢٦٩ من المجد لمحمد بن حبيب : وفى نسب رافع بن مالك

وروى عن الزُّهْرِي أَنَّهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِمُ النِّقْبَاءُ : لَا يَبْغِضُنَّ أَحَدَكُمْ فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا أَوْسَرُ ، وَجَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَنْبِهِ يَشِيرُ إِلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَرَوَى فِي المَعْيِطِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ النِّقْبَاءِ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ مَالِكٌ : وَكُنْتُ أَعْجَبُ كَيْفَ جَاءَ هَذَا رَجُلَانِ مِنْ قَبِيلَةٍ ، وَرَجُلٌ مِنْ أُخْرَى حَتَّى حُدِّثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَأَنَّ جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي وَلَّاهُمْ ، وَأَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِمْ .

ابن العجلان زادت جمرة ابن حزم بعد زريق : بن عامر بن زريق ، وفي نسب رفاعة ابن زبير ، وهي في الإصابة والجمهرة : زر ص ٣١٤ وفي إمتاع الأسماع : زبير وفي بعض نسخ السيرة : زبير ، وقد اختلف في اسمه فقيل ، بشير وقيل مروان وقيل يشير ، وكنيته : أبو لبابة

وسقطت . مالك التي قبل : ابن الأوس من الإصابة ، كما سقط من نسبه في الجمهرة بن عمرو ، عوف . ومازده في السيرة من الأنساب أخذته من كتاب المجد لابن حبيب ص ٢٦٨ وما بعدها . وإليك ما شرح به الحشني بعض كلمات قصيدة كعب بن مالك : قال رأيه : بطل . فلا ترعين أي لا تبعين ، ألب : جمع . جادع : قاطع ، إخفاره : نقض عهده ، نافع : ثابت ، بندوقحة : بمتسع ، يافع : موضع مرتفع ، ومن رواه : باقع فعناه : بعيد وهو مأخوذ من بقع الأرض ، وخانع : مقر متدال . ضروح : مانع ودافع عن نفسه من قولهم : ضرحت الدابة برجلها إذا ضربتها . وهنا لك بين القصيدة في ابن هشام وبينها في المجد بعض اختلافات يسيرة . ففي البيت الثالث : أضالنا أي أضاء لنا بدلا من : بدالنا . ولا ترعين بدلا من : لا ترغبين . ولا تطمعنك المطامع بدلا من : لا يطمعننك مطامع . ومن ألحيه خانع بدلا من : العهد خانع . وم الأمر صانع بدلا من م الأمر مانع . وإن يقبك بدلا من : لا يقبك .

تفسير بعض ما وقع في وجرته

وذكر أن الشيطان صَرَخَ من رأس العقبة بأنفذ صوت . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع في الأمهات ، وأصلحناه عن القاضي أبي الوليد : بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد ، وقد مضى في حديث عمر مع السكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتا ماسمعت أنفذ منه ، وفي الصحيح : أن الله تعالى يَحْشُرُ الخلق يوم القيامة في صَرْدَحٍ ^(١) واحد ، فَيَنْفُذُهُمُ البصرُ ويسمعهم الداعي وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان في الأصل .

وقوله : يا أهل الجبَابِجِ ، يعني : منازل مني ، وأصله : أن الأوعية من الأدم كالزَّبِيلِ ونحوه يسمى : جَبَجِبَةً ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجبَابِجِ ، هذا أَرَبُ الْعَقْبَةِ ، هذا ابن أَرَبِ . قال ابن هشام : ويقال : ابن أَرَبِ كذا تقيد في هذا الموضع أَرَبُ الْعَقْبَةِ وقال ابن ماكولا : أم كُرْز بنت الأَرَبِ بن عمرو بن بكيل بن همدان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، وقال : لا يعرف الأَرَبُ في الأسماء إلا هذا ، وأَرَبُ الْعَقْبَةِ ، وهو اسم شيطان ، ووقع في هذه النسخة في غزوة أحدٍ لَأَرَبِ الْعَقْبَةِ بكسر الهمزة وسكون الزاي ، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له

(١) صردح وصدراج : المكان المستوي

حين رأى رجلاً طوله شبران على بردعة رجليه [فأخذ السوط فأتاه] ، فقال : ما أنت ؟ فقال أرب ، قال : وما أرب ؟ قال : رجل من الجن ؛ فضربه على رأسه بعود السوط ، حتى باص ، أي هرب ، وقال يعقوب في الألفاظ : الأرب : القصير . وحديث ابن الزبير ذكره العثبي في الغريب ، فأنه أعلم أى اللفظين أصح ؟ وابن أرب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعلاً من الإرب^(١) أيضاً ، والأرب : البخيل ، وأرب : اسم ربح من الرياح الأربع^(٢) ، والأرب الفزع أيضاً^(٣) ، والأرب : الرجل المتقارب المشى^(٤) ، وهو على وزن أفعل ، قاله صاحب العين ، ويحتمل أن يكون ابن أرب من هذا أيضاً ، وأما البخيل فأرب على وزن فعيل لأن يعقوب حكى في الألفاظ : امرأة أربية^(٥)

(١) الإرب في اللسان في مادة أرب فتكون على وزن فعل : ومعناها اللثيم والدقيق المفاصل الضاوى يكون ضميلاً . والإرب من الرجال : القصير الغليظ والقصير الدم . وقد جعل اللسان أرب في مادة أرب ، وقال عن الإرب في الحديث : هو الشيطان اسمه ؛ أرب العقبة ، وهو الحية أما عن الأرب في مادة زب ، فهو الكثير الشعر .

(٢) جعلها القاموس واللسان وابن فارس في معجمه في مادة زب فتكون على وزن أفعل ، وقال عنها إنها الجنوب في لغة هذيل : أوهى الريح النكباء التي تجرى بين الصبا والجنوب .

(٣) في مادة زب في القاموس واللسان فوزنها : أفعل .

(٤) هي كالتى قبلها في المادة والوزن .

(٥) جعلها اللسان في مادة زب وهي لزبية فتكون : إفعلة بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتح العين وتضعيف اللام مع فتح ، وهكذا ضبطها اللسان والقاموس ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس : وقال الخليل : الإرب : الدقيق المفاصل ، ويقال هو البخيل ،

ولو كان عن وزن أفعل في المذكر لقليل في المؤنث زَيْبًا إِلَّا أَنْ فَعِيلًا فِي أُبْنِيَّةِ
الْأَسْمَاءِ عَزِيزٍ ، وَقَدْ قَالُوا فِي ضَهْيَاءَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تَحْمِيضُ مِنَ النِّسَاءِ ، فَعَلَى جَعَلُوا
الْهَمْزَةَ زَائِدَةً وَهِيَ عِنْدِي فَعِيلٌ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ فِي قِرَاءَةِ عَاصِمٍ لَامُ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
(يُضَاهُونَ) وَالضَّهْيَاءُ مِنْ هَذَا لِأَنَّهَا تُضَاهِي الرَّجُلَ أَي : تُشَبِّهُهُ وَيُقَالُ فِيهِ : ضَهْيَاءُ (١)
بِالْمَدِّ ، فَلَا إِشْكَالَ فِيهَا لِتَأْنِيثِ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالِ ضَاهَيْتِ بِالْيَاءِ ، وَقَدْ يَجُوزُ

(١) فِي اللِّسَانِ دَوْضِيًّا : فَعَلًا الْهَمْزَةُ زَائِدَةٌ كَمَا زِيدَتْ فِي . شَمَالٍ ، وَغَرَقِي دَوْ
الْبَيْضِ ، قَالَ : وَلَا تَعْلَمُ الْهَمْزَةُ زِيدَتْ غَيْرَ أَوَّلِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ
تَكُونَ الضَّهْيَاءُ بِوِزْنِ الضَّمِيمِ . فَعِيلًا ، وَإِنْ كَانَتْ لِأَنْظِيرِ لَهَا فِي السِّكْلَامِ ، فَقَدْ
قَالُوا : كَنْهَيْلٌ - شَجَرٌ عَظَامٌ - وَلَا نَظِيرَ لَهُ . قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : الضَّهْيَاءُ وَالضَّهْيَاءُ عَلَى
فَعَلَاءَ . . . وَقَالَ بَعْضُهُمُ الضَّهْيَاءُ مَمْدُودٌ الَّتِي لَا تَحْمِيضُ وَهِيَ حَبْلِي . قَالَ ابْنُ جَنِّي :
امْرَأَةٌ ضَهْيَاءٌ وَزَنَاهَا : فَعَلَاءَةٌ لِقَوْلِهِمْ فِي مَعْنَاهَا : ضَهْيَاءٌ . . . وَأَجَازُ أَبُو إِسْحَاقَ
فِي هَمْزَةٍ : ضَهْيَاءَةٌ أَنْ تَكُونَ أَصْلًا ، وَتَكُونَ الْيَاءُ هِيَ الزَّائِدَةُ ، فَعَلَى هَذَا تَكُونَ
السَّكْمَةُ : فَعِيلَةٌ ، وَذَهَبَ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا مِنَ الْإِشْتِقَاقِ حَسَنًا لَوْلَا شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : يُقَالُ : ضَاهَيْتُ زَيْدًا وَضَاهَأْتُ زَيْدًا بِالْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ ، قَالَ :
وَالضَّهْيَاءُ هِيَ الَّتِي لَا تَحْمِيضُ ، وَقِيلَ هِيَ الَّتِي لَا تُدَى لَهَا ، قَالَ فَيَكُونُ ضَهْيَاءَةٌ :
فَعِيلَةٌ مِنْ ضَاهَأْتُ . وَقَالَ ابْنُ جَنِّي عَنْ هَذَا إِنَّهُ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي السِّكْلَامِ
فَعِيلٌ بِمَنْتَحِ الْفَاءِ إِنَّمَا فَعِيلٌ بِكَسْرِهَا نَحْوُ حَذِيمٍ ، وَطَرِيمٍ ، وَغَرِينٍ دَوْ الْقَاطِعِ ،
وَالطَّرِيمُ الْمَسْلُ أَوْ السَّحَابُ الْكَثِيفُ ، وَالغَرِينُ أَوْ الْغَرِينُ : الطَّرِينُ يَحْمَلُهُ السَّيْلُ ،
وغير ذلك ، وَلَمْ يَأْتِ الْقَمَحُ فِي هَذَا الْفَنِّ ثَبْتًا ، إِنَّمَا حَكَاهُ قَوْمٌ شَاذًا . . . وَحَكَى
أَبُو عَمْرٍو : امْرَأَةٌ ضَهْيَاءَةٌ وَضَهْيَاءٌ بِالتَّاءِ وَالْهَاءِ الَّتِي لَا تَطْمُتُ . . . وَهَذَا يَقْتَضِي
أَنْ يَكُونَ الضَّهْيَاءُ مَقْصُورًا . وَقَالَ غَيْرُهُ لِلضَّهْوَاءِ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَمْ تَهْدُ . . . وَالضَّهْيَاءُ
مَقْصُورٌ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا تَنْبَتُ دَوْحِكِي الْجَوْهَرِي أَنَّ الضَّهْيَاءَ مَمْدُودٌ شَجَرٌ ،
وَاحِدَتُهُ : ضَهْيَاءٌ ،

أن يكون أزيب وأزيبَة مثل أرمَل وأرْمَلَة فلا يكون فَعِيلاً . وروى
أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمعنى
صرخ الشيطان ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - هذا أبو لُبَيْنِي ^(١)
قد أُنذِرَ بكم ، فَتَمَرَّقُوا .

تذكير فعيل وتأييدها :

فصل : وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر : قال : وكان
عليه نَعْلَانِ جَدِيدَانِ ، والنعل : مؤنثة ، ولكن لا يقال : جَدِيدَةٌ في الفصيح
من الكلام ، وإنما يُقال : مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ لأنها في معنى مَجْدُودَةٌ أي : مقطوعة ،
فهي من باب كَفَّ خَضِيبٌ ، وامرأة قَتِيلٌ ، قال سيديويه : ومن قال جَدِيدَةٌ ،
فإنما أراد معنى حديثه ، أراد سيديويه أن حديثه ، بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى
مُطَاعِلٍ يدخله التاء في المؤنث ^(٢)

(١) هي - كما في القاموس اسم ابنة إبليس لعنه الله تعالى . . وأبو لبين :
الذَكَر .

(٢) في إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت ما يأتي : تقول :
هذه ملحفة جديد ، وهذه ملحفة خلق ؛ ولا تقل : جديدة ، ولا خلقه ، وإنما قيل
جديد بغير هاء ؛ لأنها في تأويل مجدودة أي : مقطوعة حين قطعها الحائك . . .
وإذا كان فعيل نعمتا لمؤنث ، وهو في تأويل مفعول ، كان بغير هاء نحو : لحية
دهين ، لأنها في تأويل مدهونة ، وكف خضيب ، لأنها في تأويل مخصوبة ،
وملحفة غسيل وامرأة لديغ ، ودابة كسير ، وركية دفين إذا اندفن بعضها ،
وركابا دفن ، وتقول : هذا فرس جواد بهم ، وهذه فرس جواد بهم ، . . . وعين
كحيل ، وناقة بغير إذا شق بطنها عن ولدها ، وامرأة لعين وجريح وقَتِيلٌ ، فإذا

من ألقاب الطويل :

وذكر قول سعد حين أسرته قريش : فأتاني رجل وضيء شعشاع . والشعشاع
والشعشعائي والشعشعان^(١) : الطويل من الرجال ، وكذلك السلمب والمصعب

لم تذكر المرأة قلت : هذه قتيبة بنى فلان ، وكذلك : مررت بقتيلة ، وقد تأتي
فصيحة بالهاء ، وهي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ، ولا يذهب بها
مذهب النعوت ، نحو : النطحة والذبيحة والفريسة وأكلة السبع والجنينة
والعليقة ، وهما البعير يوجهه الرجل مع القوم يمتارون ، فيعطيم دراهم ، ليمتاروا
له معهم عليه . . والمرية من الغنم ، والعليقة : الداهية والفريسة التمر والخلبة جميعا
تجمل للنفساء ، وذكر ابن السكيت غيرها كالنقمة والنخيسة والقظية والتربكة
والنجيرة والبسيصة والرجيمة ص ٣٧٧ ط دار المعارف ١٩٤٩ م وفي أدب
الكاتب لابن قتيبة ، وما كان على فعيل نعمنا للمؤنث ، وهو في تأويل مفعول
كان بغير هاء نحو : كف خضيب وملحفة غسيل ، وربما جاء بالهاء يذهب بها
مذهب النعوت نحو للنطحة والذبيحة والفريسة ، وأكلة السبع . . . وتقول :
هذه ذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول :
هذا وهي حية ، وإنما هي بمنزلة : ضحية ، وكذلك شاة رمي ، وتقول بئس
الرمية الأرنب ، إنما يريد : بئس الشيء مما يرمى الأرنب ، فهذا بمنزلة الذبيحة
خاذا لم يجر فيه مفعول ، فهو بالهاء نحو : مريضة وكبيرة وصغيرة وطريقة ،
وجامت أشياء شاذة قالوا : ناقة سديس وريح خريق ، وكثيبة حصيف ، وإن
كان فعيل في تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو رحيمة وعليمة وكريمة ، ص ٢٨٩
ط أولى ١٣٥٥ م

(١) الزبارة من القاموس . والرجز الذي وردت فيه كلمة شعشاع ، هو
لرؤبة انظر ديوان رؤبة ص ١٦٢ طبع برلين ، ص ١٢٠ شرح السيرة لأخشيبي ،
وقد شرحه بما يأتي : يطوه : يمدده ، يعني : طول عنق البعير ، وغير مودن
أي قصير ويروي : غير . . . وكذلك وقع في رجز رؤبة ، ووقع هنا بالعين
صهولة ، ص ١٢٠ .

وَالشَّوَقَبُ وَ[الشَّرْعَبُ] وَالشَّرْجَبُ وَالخِيقُ وَالشَّوَذِبُ الطَّوِيلُ مَعَ رَقَّةٍ فِي
أَسْمَاءِ كَثِيرَةٍ .

معاني الكلمات : الشَّوَقَبُ : الشَّوَقَبُ وَرَجُلٌ يَشْوَقُ بِنِسْبَةِ رَجُلٍ يَشْوَقُ بِرَجُلٍ .

وقوله أوى إليه رجل أوى رقى له ، يقال أوى أوىة [وأوىة] مأوىة ،

وقوله فَتَنْطَسُ التَّوَمُ الخَيْرُ أَي : أَكثَرُوا البَحْثَ عَنْهُ ، وَالنَّطَسُ ، تَدْقِيقُ

النَّظَرِ . قال الرَّاغِبُ : [رؤبة بن العجاج]

وقد أكون عندها نقريساً طيباً بأدواء النساءِ نطيساً^(١)

وذكر قول ضرار بن الخطاب :

وكان شفاءً وتداركت مُتَذَرّاً

وضرار بن الخطاب : وضرار كان شاعراً قرين وفازت سماء ، ولم يكن في قرين

أشعر منه ، [عبد الله] ثم ابن الزبير بن قيس بن عدي ، وكان جده

مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع ، وهو

رُبْعُ العَنِيمةِ ، وكان أبوم أيام الفجار رئيس بني محارب بن فهر أسلم سران

عام الفتح .

(١) الرجز لرقبة بن العجاج يمدح به أبان بن الوليد البجلي . ورواية

الديوان هكذا :

وقد أكون مرة نطيساً بخبء أدواء الصبا نقريساً

في نسخة من الديوان طبع برلين . ورواه الخنيزي في شرح السيرة كما رواه

السهمي ولكنه ذكر الصبا بدلا من النساء

مولد قصيدة مسان :

وذكر قول حسان يجيبه :

لست إلى عمرو (١) ولا المرء منذرٍ إِذْ مَا مَطَايَا الْقَوْمِ أَصْبَحَتْ نُصْمَرَا

يعنى بعمرو عمرو بن خنيسٍ والد المنذر . يقول : لست إليه ولا إلى ابنه المنذر أى : أنت أقل من ذلك ، والمنذر بن عمرو وهذا يقال له : أَعْنَقَ لِيَمُوتَ (٢) ، هو أحد القباء كما ذكر ابن إسحاق ، وذكر ابن إسحاق فى المواخاة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخى بينه ، وبين أبى ذرِّ الغفارى ، وأنكر ذلك الواقدى محمد بن عمر ، وقال : إنما آخى بينه وبين طلّيب بن عمرو (٣) . قال : وكيف يواخى بينه وبين أبى ذرِّ ، والمواخاة كانت قبل بدر ، وأبو ذر كان إذ ذاك غائبا عن المدينة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بِمَضْمَعِهِمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأفقال : ٧٥] والمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس له غيره ، يرويه عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم ، وعبد المهيمن ضعيف ، وقول حسان :

(١) الذى فى السيرة : لست إلى سعد

(٢) فى الإصابة وكان يلقب بالمعنى ليوت ، وقال موسى بن عقبة فى منازبه ، وهو الذى يقال له أعتق ليوت ، وهو الذى سجد

(٣) وقيل هو : ابن عمير ، أمه : أروى بنت عبد المطلب

ولائك كالشاة التي كان حَتَفُها بِحَفْرِ ذراعِها ، فلم ترض بحفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا: كالباحث عن المُدِيَةِ (١)
وأشُدُّ أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن البحر . [لِإِفْزَ زَدَق] :

وكان يُجِهر الناسَ من سَيفِ مالِكِ فأصبحَ يَبغِي نَفْسَهُ مِن مُجِيرِها

وكان كَمَبْرُ السَّوءِ قامتِ بِظِلْفِها إلى مُدِيَةٍ نَحْتِ الترابِ تُشِيرُها

(١) قال البحترى في حماسته : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعمة ، فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شيء يذبحها به ، فبينما هو يفكر في ذلك ، رأى ذلك يصنع إذ حفرت النجمة بأطلاقها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفة في التراب ، فذبحها بها ، وضرب العرب بها المثل والبيتان بعدهما :
سَتَعَلِمُ عَبْدُ الْقَيْسِ إِنْ زَالَ مَلِكُها عَلَى أَى حَالٍ يَسْتَمِرُّ مَرِيرِها

وهما في البيان والتبيين ص ١٥٩ ج ٣ للجاحظ بتحقيق الأبيات عهد السلام هارون ، وأشدهما أيضا في كتابه الحيوان ، وهما أيضا في ديوان الفرزدق ص ٢٤٩ . ومن معاني قصيدة حسان كما بين الخشنى : البرقاء : موضع . حبر : قبيبة . الربط : الملاحف البيض في واحدتها : ربطة . الانباط : قوم من العجم . والوسنان الزائم . كسرى : ملك للفوس ، وقيصر : ملك الروم . الشكلى : المرأة الفاقدة ولدها . والنحر : الصدر .

قصّة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِموا المدينة أظهروا الإسلامَ بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم ابن كعب بن سلمة ، وكان ابنه مُعَاذ بن عمرو شهيدَ العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجموح سيدياً من سادات بني سلمة ، وشريفاً من أشرفهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب ، يقال له : مَنَاة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذها لها تعظمه وتطهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة : مُعَاذ بن جبل ، وابنه مُعَاذ بن عمرو ، في فتیان منهم مَن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يُدْجِلون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بطن حفرة بني سامة ، وفيها عذر الناس ، مُنكسراً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلسكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يبتسمه ، حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيفه . فإذا أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيفسله ويطهره ويطيبه ، ثم يغدو عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك . فلما كثروا عليه ، استخرجوه من حيث القوّة يوماً ، ففسله ويطهره ويطيبه ، ثم جاء بشيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع ، فهذا السيفُ معاك . فلما أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كتاباً ميثاقاً فقرئوه به بحبل ، ثم القوه في بئر من آبار

سَلَامَةً ، فِيهَا عِذْرٌ مِنْ عِذْرِ النَّاسِ ، ثُمَّ غَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ
الَّذِي كَانَ بِهِ .

إسلام عمرو بن الجموح

نَفَرَ جَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبَيْتِ مُنْكَسَا مَقْرُونا بِكَلْبٍ مَيْتٍ ، فَلَمَّا
رَأَاهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ ، وَكَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَسْلَمَ بِرِضَاةِ اللَّهِ ، وَحَسُنَ
إِسْلَامُهُ . قَالَ حِينَ أَسْلَمَ ، وَعَرَفَ مِنْ اللَّهِ مَا عَرَفَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَنْمَهُ ذَلِكَ
وَمَا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ :

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بَيْتٍ فِي قَرْنٍ
أَفَّ لِمَاكَ إِلَهًا مُسْتَعْدِنَ الْآنَ فَتَشْتَاكَ عَنِ سُوءِ الْعَيْنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنِّ الْوَاهِبِ الرَّزَاقِ دِيَانَ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهِنِ
بِأَحَدِ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُرْتَهِنِ

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ فِي بَيْعَةِ الْحَرْبِ ، حِينَ أُذِنَ لِلَّهِ لِرَسُولِهِ فِي الْقِتَالِ
شُرُوطًا سَوِيَّ شَرْطُهُ عَنْهُمْ فِي الْعَقْبَةِ الْأُولَى ، كَانَتْ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ أُذِنَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَرْبِ ،
فَلَمَّا أُذِنَ لِلَّهِ فِيهَا ، وَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقْبَةِ الْأَخِيرَةِ

على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربّه ، وجعل لهم
على الوفاء بذلك الجفّة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه
الوليد ، عن جده عبادة بن الصامت ، وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب — وكان عبادة من الإثني
عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء — على السمع والطاعة ،
في عُمرنا ويُسرنا ومُنسبنا ومُسكرهنا ، وأثرنا علينا ، وأن لا نتأزع الأمر
أهله ، ما وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني
عبد الأشهل ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أسيد
ابن حضير بن سمالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن
عبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرًا . وأبو الهيثم بن القتيبان ، واسمه مالك ، شهد
بدرًا . وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل ،
شهد بدرًا ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام . ويقال : ابن زعوراء بفتح العين .

قال ابن إسحاق : ومن بني حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو

ابن مالك بن الأوس : طَهَيْرُ بنِ رَافِعِ بنِ عَدِيِّ بنِ زَيْدِ بنِ جُشَمِ بنِ حَارِثَةَ .
وأبو بُرْدَةَ بنِ نِيَارٍ ، واسمه هَانِيءٌ بنِ نِيَارِ بنِ عَمْرٍو بنِ عُبَيْدِ بنِ كِلَابِ بنِ دُهْمَانَ
ابنِ غَنَمِ بنِ ذُبْيَانَ بنِ هُمَيْمِ بنِ كَاهَلِ بنِ ذُهَلِ بنِ دَهْنِ بنِ بِلَالِ بنِ عَمْرٍو بنِ الحَافِ
ابنِ قُضَاعَةَ ، حَلِيفُ لَهُمْ ، شَهِدَ بَدْرًا وَبُهَيْرَ [أو بهير] بنِ الهَيْمِ ، من بني
نَابِي بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حَارِثَةَ . ثلاثة نفر .

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سَعْدُ بنِ خَيْشَمَةَ بنِ الحَارِثِ
ابنِ مَالِكِ بنِ كَعْبِ بنِ النَّحَّاطِ بنِ كَعْبِ بنِ حَارِثَةَ بنِ غَنَمِ بنِ السَّلْمِ بنِ امْرِئِ
القَيْسِ بنِ مَالِكِ بنِ الأَوْسِ ، نَقِيبٌ ، شَهِدَ بَدْرًا ، وَقُتِلَ بِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَهِيدًا .

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق في بني عمرو بن عوف ، وهو من بني
غَنَمِ بنِ السَّلْمِ ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم ، ويكون فيهم
فيُنسَبُ إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد
ابن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدراً . وعبد الله بن جبير بن
الزُّنَمَانَ بنِ أمِيَّةِ بنِ البُرْكَ - واسم البُرْكَ : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو
شَهِدَ بَدْرًا ، وَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
الرَّثَمَةِ ؛ وَيُقَالُ : أمِيَّةُ بنِ البُرْكَ ، فَمَا قَالَ ابنُ هِشَامٍ .

قال ابن إسحاق : ومعن بن عدى بن الجد بن العجلان بن [حارثة]

ابن ضَبَيْعَةَ [بن جِرام] لهم من بَيْلَى ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وعُومِمَ بن ساعدة ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق . خمسة نفر .

فَجِيعَ من شهد الغبقة من الأوس أحدَ عشرَ رجلاً .

وشهداها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني النَّجَّار ، وهو تَيْمٌ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النَّجَّار شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية . ابن أبي سفيان . ومُعَاذُ بن الحارث بن رِفاعَةَ بن سَوادِ بن مالك بن غنم بن مالك بن النَّجَّار ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عَفْرَاءَ . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدرًا وقُتِلَ به شهيداً ، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعفراء - ويقال : رفاعَةَ بن الحارث بن سَوادِ ، فيما قال ابن هشام - وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النَّجَّار . شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأُسْمُدُ بن زُرَّارَةَ بن عُدَّس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَّجَّار ، نقيب ، مات قبل بدرٍ ومسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبْنَى ، وهو أبو أمانة . ستة نفر . ومن بني عمرو بن مَبْدُولٍ - ومَبْدُولُ : عامر بن مالك بن النَّجَّار : سهل بن عتيك

ابن نعمان بن عمرو بن عثيك بن عمرو ، شهيد بدرآ . رجل .
ومن بني عمرو ابن مالك بن النجار ، وهم بنو حديلة - قال ابن هشام :
حديلة : بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبدحارثة بن مالك بن غضب
ابن جشم بن الخزرج - أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو
ابن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك ، شهيد بدرآ . وأبو طلحة ، وهو
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو
ابن مالك ، شهيد بدرآ . رجلان .

ومن بني مازن بن النجار : عيس بن أبي صفصمة ، واسم أبي صفصمة :
عمرو بن زيد بن عوف بن مبدؤل بن عمرو بن غنم بن مازن ، شهيد بدرآ ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جوله على الساقة يومئذ . وعمرو بن غزيرة
ابن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبدؤل بن عمرو بن غنم بن مازن ، والجلان .
الجميع من شهد العقبة من بني النجار أخذ عشر رجلا .

قال ابن هشام : عمرو بن غزيرة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذي
ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزيرة بن عطية بن خنساء .

من شهدها من بلحارث بن الخزرج

قال ابن إسحاق : ومن بلحارث بن الخزرج : سمذ بن الربيع بن عمرو
ابن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن
كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهيد بدرآ ، وقتل يوم أخذ شهيدآ .

وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر]
ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدرًا وقُتل يوم أحد شهيداً
وعبدُ الله بن رواحة [بن ثعلبة] بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس
ابن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ،
شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا
الفتح وما بعده ، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وبشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة ابن
كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو الفحمان ابن يشير شهد بدرًا . وعبدُ الله بن
زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [مناة] بن الحارث بن الخزرج [بن خازنة]
شهد بدرًا ، وهو الذي أرى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم فأمر به . وحلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن
امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
[ابن الخزرج] شهد بدرًا وأحدًا والخندق وقُتل يوم بني قريظة شهيداً ، طرحت
عليه رحي من أطم من أطمها فشد حتمه شدحاً شديداً ، فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - إن له لأجر شهيدين . وعقبه بن عمرو
ابن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحارث [بن الخزرج]
وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سناً ، مات في أيام معاوية ، لم
يشهد بدرًا سبعة نفر .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب

ابن جُشم بن الخزرج : زيادُ بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى
ابن أمية بن بياضة ، شهيد بدرأ . وفزوةُ بن عمرو بن ودقة بن عبيد بن
عامر بن بياضة ، شهيد بدرأ . قال ابن هشام : ويقال ودقة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ،
شهيد بدرأ . ثلاثة نفر .

ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب
ابن جُشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ،
نقيب . وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق [بن
عامر بن زريق بن عبد حارثة] ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان
يقال له : مهاجري أنصاري ؛ شهيد بدرأ وقتل يوم أحد شهيدا . وعباد بن قيس
ابن عامر بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، شهيد بدرأ . والحارث بن
قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق ، وهو أبو خالد شهيد بدرأ .
أربعة نفر .

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جُشم بن
الخزرج ؛ ثم من بني عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : البراء بن
مغرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم ، نقيب ،
وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يدر رسول الله صلى الله

عليه وسلم وشَرَطَ له ، واشترط عليه ، ثم تُوفى قبل مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرًا وأُخْدًا والخندق ، ومات بجيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي سُمِّيَ فيها - وهو الذي قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بنى سلمة : من سيّدكم يا بنى سلمة ؟ فقالوا : الجُدُّ بن قيس ، على بُخْلِهِ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأى داء أكبر من البُخْلِ ! سيّدُ بنى سلِمَةَ الأبيض الجفدِ بشرُ بن البراء بن معرور . وسنان بن صخر بن صخر بن خنساء بن سنان بن عفيد ، شهد بدرًا ، والطَّمِيل بن النعمان خنساء بن سنان ابن عفيد ، شهد بدرًا ، وقُتِل يوم الخندق شهيدًا . ومَعْقِل بن المنذر بن سرح ابن خنساء بن عفيد ، شهد بدرًا . وي زيد بن المنذر بن سرح ابن خنساء بن سنان بن عفيد شهد بدرًا . ومُسْعُودُ بن يزيد بن سبَيْع بن خنساء بن سنان بن عفيد . والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عفيد ، شهد بدرًا ، وي زيد بن خِدَام أو [بن حرام أو خدارة] بن سبَيْع بن خنساء ابن سنان بن عفيد . وجُبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عفيد [بن عدي بن غم بن كعب بن سلمة] ، شهد بدرًا .

قال ابن هشام : ويقال : جبّار بن صخر بن أمية بن خنساء :

قال ابن إسحاق : والطَّمِيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عفيد [وهو ابن عم الطَّمِيل بن النعمان بن خنساء بن سنان] ، شهد بدرًا . أحد عشر رجلًا . ومن بنى سواد بن غم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى كعب بن سواد :

كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن رجل .
ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : سليم بن عمرو بن حديدة
ابن عمرو بن غنم ، شهيد بدرأ . وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ،
شهيد بدرأ . ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ، وهو أبو المنذر ،
شهيد بدرأ . وأبو اليستر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن
غنم [بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة] ، شهيد بدرأ . وصيفي بن
سواد بن عباد بن عمرو بن غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صيفي بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ،
وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بني نابی بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب
ابن سلمة : ثعلبة بن غنمة بن عدی بن نابی ، شهيد بدرأ ، وقُتل بالخطبة
شهيداً . وعمرو بن غنمة بن عدی بن نابی ، وعفيس بن عامر بن عدی بن
نابی ، شهيد بدرأ . وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاة . وخالد بن
عمرو بن عدی بن نابی . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة :
عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، تميم ، شهيد بدرأ ، وقُتل يوم
أحد شهيداً ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن
حرام ، شهيد بدرأ . وثابت بن الجذع - والجذع : ثعلبة بن زيد بن الحارث

ابن حرام - شهد بدرًا ، وُقِتلَ بالطائف شهيدًا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة -
ابن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدرًا . قال ابن هشام : عمير بن الحارث -
ابن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق . وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن القرافير
[أو القرافر] حليف لهم من بني ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ
ابن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن علي بن أسد ، ويقال :
أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وكان في بني سلامة ، شهد بدرًا ،
والمشاهد كلها ومات بعمره ، عام الطاعون بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، وإنما ادعته بنو سلامة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجدي بن
قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلامة
لأمه . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى .
ابن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم بن عوف
ابن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن
فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدرًا والمشاهد كلها .
قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن
عوف بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرى أنصارى وقُتل يوم أحد شهيدا . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزّمة بن أضرم بن عمرو ابن عمارة ، حليف لهم من بنى غصينة من بلي . وعمرو بن الحارث بن لبدة ابن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القوافل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبَيْلى - قال ابن هشام : الحُبَيْلى : سالم بن غنم بن عوف ، وإمام سبي : الحُبَيْلى - لعظم بطنه : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدرًا ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق : وعقبة بن وهب بن كَلْدَة بن الجعد بن هلال بن الحارث ابن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدرًا ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة
ابن ذؤيب بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ،
نقيب ؛ والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدي وُد بن زيد
ابن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرًا وأحدًا ، وقُتل
يوم بدر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كان يقال له :
أعنى ليموت . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة
وسبعون رجلاً وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يوافق النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقرن ،
قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجّار : نُسَيْبَةُ بنت كعب بن عمرو بن عوف بن
مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن النجّار] ، وهي أم عُمارة ، كانت
شهدت الحرب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهدت معها أختها .
وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله بن زيد ،
وابنها حبيب الذي أخذه مُسَيْلِمَةُ الكَذّاب الحنفيّ ، صاحب اليمامة ، فجعل
يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أتشهد أني
رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده ،
لا يزيد على ذلك ، إذا ذُكِر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ،
وإذا ذُكِر له مُسَيْلِمَةُ قال لا أسمع - فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت

الحرب بنفسها . حتى قتل الله مُسَيْلَمَةَ ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ .

ومن بنى سلمة : أم مَنِيح ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابتى ابن عمرو بن سواد بن غَم بن كعب بن سلمة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائِيُّ ، عن محمد بن إسحاق المَطَّلِبِيُّ : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له في الحرب ولم يُحَلَّ له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم ، فهم من بين مَقْتُونٍ في دينه ، ومن بين معذَّبٍ في أيديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم مَنْ بالمدينة ، وفي كل وجه ؛ فلما عَمَّتْ قريش على الله عزَّ وجلَّ ، وردوا عليه بما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وعذبوا ونفوا من عبدهم ووجدته وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عزَّ وجلَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبلى عليهم ، فكانت أول آية

أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما
بلغني عن معروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى ﴿ أَذِنَ
لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَهْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ دَفَعُ اللَّهُ
النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ
إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ،
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ : أي أتى إنما أحلت لهم القتال
لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ،
وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن
المنكر ، يعنى النبي - صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ،
ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ : أي :
حتى لا يفتن مؤمن عن دينه : ﴿ وَيَكُونَ الَّذِينَ يُتَّبَعُونَ ﴾ : أي حتى يعبد الله ،
لا يعبد معه غيره .

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة

قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وبأبيته
هذا الحث من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولبن أتبعه ، وأوى إليهم من
المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ،
ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللخوق

بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً
تأمنون بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
يمنتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

المهاجرون إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وزوجه ، وحديثها عما لقيها

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن
هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة
قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ،
خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله
ابن عمر بن أبي سلمة ، عن جدته أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بميرة ثم سمّاني عليه ،
وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرى ، ثم خرج بي يقودُني بميرة ،
فلما رأته رجالُ بنى المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليّ ، فقالوا
هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها في
البلاد ؟ قالت : ففزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت : وغضب
عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابنتنا

عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنَيَّ سَلَمَةَ بينهم حتى خلموه
يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي
أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرّق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت :
فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنّة
أو قريباً منها حتى مرّ بي رجلٌ من بني عمّي ، أحدُ بني المغيرة ، فرأى ما بي
فرحماني فقال لبني المغيرة : ألا تُخْرِجون هذه المسكينة ، فرّقتُم بينها وبين زوجها
وبين ولدها ! قالت : فقالوا لي : الحقّي بزواجك إن شئتِ . قالت : وردّ
بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابني . قالت : فارتحلتُ ببعيري ثم أخذتُ ابني
فوضعتُه في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معنى أجد
من خلق الله . قالت : فقلت : أتبلّغُ من لقيتُ حتى أقدمَ على زوجي ، حتى
إذا كنتُ بالتمّيم آقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار
فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أميّة ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بللمدينة . قال :
أو مامك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وُبيّ هذا . قال : والله
مالك من مترك ، فأخذ بحِطام البعير ، فانطلق معي يهوى بي ، فوالله ما صحبت
رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ،
ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، فخطّ عنه ، ثم قيده في
الشجرة ، ثم تنحّى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرّواح ، قام إلى
بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني ، وقال : اركبي . فاذا ركبتُ واستويتُ
على بعيري أتى فأخذ بحِطامه ، فقاده ، حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي
حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك

.....

في هذه القرية -- وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله ،
ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فسكنت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب
آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

هجرة عامر وزوجه وهجرة بني جحش

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة :
عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حنمة
ابن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدى بن كعب . ثم عبد الله بن
جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غم بن دودان بن
أحمد بن خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد
ابن جحش ، وهو أبو أحمد - وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البصر ، وكان
يظوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفرعة
بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم -
فعلقت دار بني جحش هجرة ، فربها عتبة بن ربيعة والعباس بن
عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهي دار أبان بن عثمان اليوم
التي بالردم ، وهم مضميدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق
أبوابها يباباً ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ، ثم قال :

وكل دار وإن طالت سلامتها . يوماً سئدر كها النكباء والحبوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُوَادِ الإيَادِي فِي قَصِيدَةٍ لَهُ . وَالْحُوب :

التَّوَجُّع .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ عْتَبَةُ : أَصْبَحْتُ : دَارُ بَنِي جَحْشٍ خَلَاءَ مِنْ أَهْلِهَا
فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَمَا تَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ قُلِّ بْنِ قُلِّ .

قال ابن هشام القُلِّ : الواحد . قال ليبيد بن ربيعة :

سَكَلَتْ بَنِي حَرَقَةَ مَصِيرُهُمْ قُلِّ وَإِنْ أَكْثَرْتُ مِنَ التَّمَدِيدِ

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ : هَذَا عَمَلُ ابْنِ أَخِي هَذَا ، فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ،
وَشَنَّتْ أَمْرَنَا وَقَطَعَ بَيْنَنَا فَكَانَ مَنْزِلُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَعَامِرُ بْنُ
رَبِيعَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ ، عَلِيُّ مَدْيَنَ بْنِ
عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبَرِ بَقْبَاءَ ، فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْسَالًا ، وَكَانَ
بَنُو عَنَمٍ بْنِ دُوَادَانَ أَهْلَ إِسْلَامٍ ، قَدِ أَوْعَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَجْرَةً رَجَلَهُمْ وَنَسَاؤُهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ
ابْنَ جَحْشٍ ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، وَشَجَاعٌ ، وَعَقْبَةُ ، ابْنَا وَهْبٍ وَأَزِيدُ
ابْنَ جُمَيْرَةَ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ ابْنُ حُمَيْرَةَ .

قال ابن إسحاق : وَبَنَاتُهُ ، وَسَمِيْلَةُ بْنُ رُقَيْشٍ ، وَعُمَيْرَةُ بْنُ نَضَلَةَ ،
وَيَزِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ ، وَرُقَيْسُ بْنُ جَابِرٍ ، وَعَمْرُو بْنُ مِحْصَنٍ ، وَمَالِكُ بْنُ عَمْرٍو ،
وَصَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وَتَمْفُفُ بْنُ عَمْرٍو ، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ عُبَيْدٍ ،

وتَمَّام بن عبيدة ، وسَخْبِرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نساءهم : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجُدَامَة بنت جندل ، وأم قيس بنت مِحْصَن ، وأم حبيب بنت ثَمَامَة ، وآمنة [أو أميمة] بنت رُقَيْش ، وسَخْبِرة بنت تميم ، وحنّة بنت جحش .

وقال أبو أحمد بن جحش بن رثاب ، وهو يذكر هجرة بني أسد ابن خزيمه من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد
لنحن الألى كئنا بها، ثم لم نزل
بها خيمت غم بن دودان وابتنت
إلى الله تغدو بين منى وواحد
ومرّوتها بالله برت يمينها
بمكة حتى عاد غثا سمينا
وما إن غدت غنم وخفت قطينها
ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضا :

لما رأتني أم أحمد غاديا
تقول : فإما كنت لابدا فاعلا
فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا
إلى الله وجهى والرسول ومن يقم
بذمة من أخشى بغيبي وأزهب
قيم بنا البلدان ولتأثر يثرب
وما يشا الرحمن فالعبد يركب
إلى الله يوما وجهه لا ينجب

فكم قد تركنا من حميم مُنَاصِح
وناصحة تَبْكِي بَدَمَعٍ وتندب .
ترى أن وَتَرًا نَأْيُنَا عن بلادنا
ونحن نَرَى أَنَّ الرَّغَائِبَ نَطْلُبُ .
دَعَوْتَ بَنِي غَنَمٍ لِحَقِّنْ دِمَائِهِمْ
وللحَقِّ لَمَّا لَاحَ لِلنَّاسِ مَلْحَبُ .
أَجَابُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَمَّا دَعَاهُمْ
إِلَى الْحَقِّ دَاعٍ وَالنَّجَاحَ فَأَوْعِبُوا .
وَكُنَّا وَأَصْحَابَنَا فَارِقُوا الْهُدَى
أَعَانُوا عَلَيْنَا بِالسَّلَاحِ وَأَجْلَبُوا .
كَفَوَجِينِ : أَمَّا مِنْهُمَا فَمُوقِّعٌ
عَلَى الْحَقِّ مَهْدِيٌّ ، وَفَوْجٌ مَعْدَبٌ .
طَغَوْا وَتَمَدَّوا كَذِبَةً وَأَزْلَمَهُمْ
عَنِ الْحَقِّ لِإِبْلِيسِ نَخَابُوا وَخِيَّبُوا .
وَرُعْنَا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَطَابَ وَوَلَاةِ الْحَقِّ مَنَا وَطَيَّبُوا .
تَمَّتْ بِأَرْحَامِ إِلَيْهِمْ قَرِيبَةٌ
وَلَا قَرَبَ بِالْأَرْحَامِ إِذْ لَا تُقَرَّبُ .
فَأَيُّ ابْنِ أُخْتٍ بَعْدَنَا يَا مَنَّاكُمْ
وَأَيَّةَ صِنْهَرٍ بَعْدَ صَهْرِي تُرْقَبُ .
سَتَعَلِمُ يَوْمًا أَيُّنَا إِذْ تَزَالُوا
وَزُبُلُّ أَمْرِ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصُوبُ .

قال ابن هشام : قوله « وَلْتَمَنَّأَ يَثْرَبُ » ، وقوله « إِذْ لَا نَقْرَبُ » ، عن
غير ابن إسحاق . قال ابن هشام : يريد بقوله : « إِذْ » ، إذا ، كقول الله عز وجل :
« إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ » قال أبو النجم العجلي :

ثم جزاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى جَنَاتِ عَدْنِ فِي الْعَالِيِّ وَالْعَلَا

إسلام عمرو بن الجموح وصنمه :

فصل في إسلام عمرو بن الجموح ، وذكر صنمه الذي كان يعبده ، واسمه مناة ، وزنه فعلة من منيت الدم وغيره : إذا صببته ، لأن الدماء كانت تُمنى عنده تقرباً إليه ، ومنه سُميت الأصنام الدثمي ، وفي الحديث : لا والدثمي لا أرى بما تقول بأسا ، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون إليها بقديد والحظ من هذا المطلع ما في قوله تعالى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ النجم ، من الفائدة جعلها ثالثة للثلاث والعزى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدها عمرو ابن الجموح وغيره من قومه ، فهما مناتان ، وإحداها عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبها .

وقوله :

الآن فتنشئك عن سوء العبن

العبن في الرأى يقال عبن رأيه كما يقال سفه نفسه ، فنصبوا ، لأن المعنى : خسر نفسه ، وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا .

وقوله إلهام مستندن من السدانة ، وهي خدمة البيت وتعظيمه .

وقوله ديان الدين : الدين جمع دينة ، وهي العادة ، ويقال لها دين أيضا ، وقال ابن الطائرية ، واسمه يزيد^(٢) :

(١) ولهذا فرما الحسن بقوله : مستذل مستبد .

(٢) اختلف في نسبه ، فهو عند أبي عمرو والشيباني : أبو المكشوح يزيد

أرى سبعة يسعون لوصول كلهم له عند كئلي دينة يستدينها
فألفيت ستمى بينهم حين أو خشوا فما صار لي في القسم إلا ثمنها^(١)

ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان أى هو ديان أهل الأديان ،
ولكن جمعها على الدين ، لأنها مثل ونحل ، كما قالوا في جمع : الحررة : حرار ،
الأنهن في معنى الكرائم والمقاتل ، وكذلك مرائر الشجر ، وإن كانت
الواحدة مرة ، ولكنها في معنى فعيلة ، لأنها عسيرة في الذوق ، وشديدة على
الآكل ، وكريهة إليه .

تفسير بعض الأناساب :

فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حصر العقبة ، وذكر أنسابهم إلا

ابن سلة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
وقيل : إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة ، وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد
بنى سلمة الخير بن قشير ، وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير . يقول
حنه أبو الحسن علي بن عبدالله الطوسي : كان ابن الطيرية شاعرا مطبوعا عاقلا
فصيححا كامل الأدب وافر المروءة لا يمازج ، ولا يطمعن عليه ، والطائرية أمه ، وهي
من بنى طائر بن عزيز بن وائل . وقد ضبطها ابن خلكان بفتح الطاء وسكون التاء ،
وضبط في القاموس واللسان بفتح التاء : وهو من شعراء الحجازة لأبي تمام والبيت
الثاني في اللسان في مادة ثمن .

(١) أو خش القوم : ودوا والسهام في الرماية مرة أخرى ، والثمن : جزء من
الثانية ، وفي اللسان : وسطهم بدلا من : بينهم لأن فعله غالبا يجمع على فعل ،
مثل اغرفة وغرف ، ومذبة ومذبي ، وأما فعائل فمقيس في كل رباعي — اسم
أوصفة — مؤنث لفظيا أو معنويا ثالثة هذه سواء أكانت ألفا أم ياء أم واو أو

أبا الهيثم بن التيهان ، وقد ذكرنا اسمه واسم أبيه ، وما قيل في نسبه في ذكر العقبة الأولى (١).

وذكر قطبة بن عامر ، والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب ، وهي شوكة (٢). مدحرجة فيها ثلاث شويكات ، وهي تشبه حسك السعدان ، وقد بان بنعت أبي حنيفة له أنه الذي نسميه ببلادنا حمص الأمير . والقطبة : طرف النصل .

وذكر ذكوان بن عبد قيس ، ونسبه إلى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن راحة بن غضب بن جشم ، والغضب في اللغة : الشديد الحرارة (٣) ، وجشم ممدول عن جاشم ، وهو من جشمت الأمر [تكلفته على مشقة] كما عدلوا عمر عن عامر (٤) وقد أملينا جزءاً في أسرار ما ينصرف ، وما لا ينصرف .

(١) مازدته في السيرة من نسب معن بن عدى وغيره من الإصابة .
(٢) القطبة ضرب من النبات يذهب جبالا على الأرض طويلا ، وله زهرة صفراء ، وشوكته إذا أحصد ويبس يشق على الناس أن يطموها ، مدحرجة كأنها حصاة . والحسك : نبات له ثمرة خشنة تملق بأصواف الغنم وأوبار الإبل ، ومنه حسك السعدان ، والسعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل ، ومنه : مرعى ، ولا كالسعدان ، وله شوكة تشبه به حلة الثدى . وهذا المثل يضرب للشيء بفضل على أقرانه

(٣) في الاشتقاق : الغضب : الأحمر الغليظ ، والغضبة الصخرة الخشنة ص ٤٦١ .

(٤) في الاشتقاق : ومن قولهم : جشمت إليك هذا الأمر ، أي : تحملته ثقلة ، وجشم البعير : صدره وكلسكه ، ص ٣٥٢ .

شَرَحْنَا فِيهِ فائدة العدل عن فاعل إلى فُعل ، وما حقيقة العَدْلِ وَالْمَقْصُودِ بِهِ ،
وَلَمْ لَمْ يُعَدَّلْ عَنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ ، وَلَمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي الصِّفَاتِ وَلَمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
الصِّفَاتِ إِلَّا فِي مِثْلِ عَامِرٍ وَزَافِرٍ وَقَاتِمٍ ^(١) ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَالِكٍ وَصَالِحٍ وَسَالِمٍ ،
وَلَمْ يَخْصُ فِعْلَ هَذَا الْبِنَاءِ بِالْعَدْلِ إِلَيْهِ ، وَهَلْ عُدِلَ إِلَى بِنَاءِ غَيْرِهِ ، أَمْ لَا وَلَيْمَ مَنَعَ
الْخَفْضُ وَالْتِنُونُ إِذَا كَانَ مَعْدُولًا إِلَى هَذَا الْبِنَاءِ ، فَمِنْ اشْتِقَاقٍ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ
الْأَسْرَارِ فَلْيَنْظُرْهَا هُنَالِكَ ، فَإِنَّ ابْنَ جَنِيٍّ قَدْ حَامَى فِي كِتَابِ الْخَصَائِصِ عَلَى
بَعْضِهَا ، فَمَا وَرَدَ ، وَصَاصًا فَمَا فَتَحَ ^(٢) .

وَذَكَرَ فِي بَنِي بَيَاضَةَ عَمْرَوْنَ بِنَ وَدَافَةَ بِذَلِكَ مُعْجَمَةً ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ :
وَدَافَةَ بِدَالٍ مَهْمَلَةٌ ، وَهُوَ الْأَصْحَحُ ، وَالْوَدَافَةُ : الرَّوْضَةُ النَّاعِمَةُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ،
لِأَنَّهَا تَقَطَّرُ مَاءً مِنْ نَعْمَتِهَا ، وَالْأُدَافُ الذَّكْرُ ، وَأَصْلُهُ : وَدَافٌ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ
الْمَوْضِعَ قَطْرَ الْمَاءِ وَالْمَنَى مِنْهُ ^(٣) ، وَيُقَالُ لِلرَّوْضَةِ النَّاعِمَةِ : الدَّقْرَى ، وَعَمْرُو بْنُ

(١) قَتْمٌ - فِي الْقَامُوسِ - الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ مَعْدُولٌ عَنْ قَاتِمٍ ، وَاجْتِمَاعُ لِلْخَيْرِ
وَالْعِيَالِ ، وَزَفَرٌ : الْأَسَدُ وَالشَّجَاعُ ، وَالْبَحْرُ وَالنَّهْرُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ ، الَّذِي يَجْمَعُ
الْإِتْقَالَ ، أَيْ : الْقَوَى عَلَى حَمْلِ الْقَرْبِ ، وَالْجَلُّ الضَّخْمُ ، وَالْكِتَابِيُّ لِمَخ .
(٢) فَتَحَ الْجُرُ ، فَتَحَ عَيْنِيهِ أَوَّلَ مَا يَفْتَحُ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَصَاصًا الْجُرُ : حَاوَلَ
النَّظَرَ وَلَمَّا تَفْتَحَ عَيْنَاهُ ، وَيُقَالُ : فَتَحْنَا ، وَصَاصَتُمْ : أَبْصَرْنَا الْحَقَّ ،
وَلَمْ تَبْصُرُوهُ .

(٣) الْعِبَارَةُ مَضْطَرِبَةٌ وَلَعَلَّهَا : لِقَطْرِ الْمَاءِ .. الْخ . وَفِي الْقَامُوسِ عَنْ وَدَافٍ :
وَكُفْرَابٍ : الذِّكْرُ لِمَا يَدْفُ مِنْهُ مِنَ الْمَنَى وَغَيْرِهِ ، وَفِي اللِّسَانِ : د وَالْأُدَافُ : الذِّكْرُ
الْقَطْرَاشَةُ الْهَمْزَةُ فِيهِ : بَدَلٌ مِنَ الْوَلَدِ ، وَهُوَ يَمْلِزُ فِيهِ الْبَدَلَ ، إِذْ لَمْ تَسْمَعِهِمْ
قَالُوا : وَدَافٌ . وَفِي الْحَدِيثِ : فِي الْأُدَافِ الدِّيَةُ يَعْنِي الذِّكْرَ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

وَذَقَّةٌ هَذَا هُوَ الْبَيَاضِيُّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ مَالِكٌ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ ، وَلَمْ يُسَمِّهِ مِمَّا
وَفِي الْأَنْصَارِ [مِنْ قِبَائِلِ الْخَزْرَجِ] بَنُو النَّجَّارِ ، وَهُمْ تَنِيْمُ اللَّهِ بْنِ تَمَلْبَةَ مِمَّا
سَمِيَ النَّجَّارَ فِيمَا ذَكَرُوا لِأَنَّهُ نَجَّرَ وَجْهَ رَجُلٍ بِقَدُومٍ وَقِيلَ : كَانَ نَجَّارًا ، وَتَمَلْبَةُ
فِي الْعَرَبِ كَثِيرٌ فِي الرِّجَالِ ، وَقُلٌّ مَا يُسَمُّونَ بِتَمَلْبٍ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْقِيَاسُ
كَمَا يُسَمُّونَ بَنَمِيرٍ وَسَبْعٍ وَذَيْبٍ ^(١) ، وَلَكِنْ التَّمَلْبُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ ، إِذْ يُقَالُ
تَمَلَّبُ الرَّمْحُ ، وَتَمَلَّبُ الْخَوْضُ ^(٢) ، وَهُوَ مَخْرَجُ الْمَاءِ مِنْهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ
حَتَّى قَامَ أَبُو لِبَابَةَ يَسُدُّ تَمَلْبَ مِرْبَدَةَ بَرْدَانَهُ ^(٣) ، فَكَأَنَّهُمْ عَدَّلُوا عَنِ التَّنْسِيمَةِ

سماه بما يقطر منيا مجازا ، وفي اللسان عن الودفة : الودفة — بسكون الدال —
الوديفة : الروضة الناضرة المتخيلة ، وقال أبو حازم : الودفة بفتح الدال —
الروضة الخضراء من نبت .

(١) يقول ابن دريد عن مذاهب العرب في التسمية : « ومنها أن الرجل كان
يخرج من منزله وامرأته تمخض ، فيسمى ابنه بأول ما يلقاه من ذلك ، نحو :
تعلب وتعلبة ، وضب وضبة ، وخزر وضبيعة ، وكلب وكليب ، وحمار وقرد
وخنزير . . . وكذلك أيضا تسمى بأول ما يسبح أو يبرح لها من الطير نحو :
غراب وضرد وما أشبه ذلك ، ص ٦ الاشتقاق ، ولم أجد فيه سوى بطن واحد
من قبائل قضاعة سمي بتعلب بينما وجدت ثمانية عشر سموا بتعلبة وهناك اثنان
وعشرون صحابيا كلهم تسمى باسم تعلبة .

(٢) تعلب الرمح : طرفه الداخل في جبة السنان

(٣) في النهاية لابن الأثير في حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا حتى يقوم
أبو لبابة يسد تعلب مريده بإزاره . المرید : موضع يجفف فيه التمر ، وتعلبة
ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر ، وفي مكان آخر يقول : يعني موضع ثمره .
أنظر مادتي تعلب وربد في النهاية . وفي الروض : يسد تعلب وهو خطأ .

بشعلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثعلبية أحمى لأدراصها^(١) وأغبر على أجرأهم
من الثعلب .

وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبنى سلمة من سيدكم ؟
فقالوا جد بن قيس على بخل فيه ، فقال : وأى داء أكبر من البخل ؟ بل
سيدكم الأبيض الجعد : بشر بن البراء ، وروى عن الزهري وعاصم الشيباني .
أنهما قالوا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام : بل سيدكم عمرو بن الجموح ،
وقال شاعر الأنصار في ذلك :

وقال رسول الله ، والحق قوله كمن قال من آمن تفتنون سيدا
فقالوا له : جد بن قيس على التي تُبخله فيها ، وما كان أسودا
فسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمر وعندنا أن يسودا

ذكر فديج بن سلامة البلوي :

فضل : و ذكر فديج بن سلامة البلوي ، وهو : فديج بن ماء منقوطة .
مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدارقطني وغيره ، وذكره الطبري ،
وقال : شهد العقبة ، ولم يشهد بدر ، وقال : يُكنى أبا رشيد :

وذكر معاذ بن جبل ونسبه إلى أدي بن سعد بن علي أخى سلمة ، وذلك

(١) أدراص جمع درص بفتح الدال وكسرها : ولد القنفذ والأرنب
واليربوع والمارة والهرة ونحوها ، وبالكسر جنين الأتان . وجمع أيضا درصة
ودرسان ، ودروصل وأدرص . والجرو مثلثة - أى بكسر الجيم وفتحها وضمها -
صغير كل شيء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه ج أجر وجرارة وولد الكلب والأسد
ج أجر واجرية وأجراء وجراء .

انفرض عَقِبُ أُدَىٍّ ، وآخِرُ من مات منهم عبدُ الرحمن بن مُعَاذِ بن جَبَلٍ ،
وقد يقال في أُدَىٍّ أيضا : أُذُنٌ في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن مُعَاذَ بن جَبَلٍ مات في طاعونِ عَمَواسَ ، هكذا تقييد في النسخة
عَمَواسَ بسكون الميم ^(١) ، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع :
عَمَواسَ بفتح الميم والعين ، وهي قرية بالشام عُرِفَ الطاعون بها لأنه منها بدأ
وقيل : إنما سُمِّيَ : طاعونِ عَمَواسَ لأنه عَمَّ وآسى أى جعل بمض الناس
أُسْوَةً بعض .

وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحاق
وابن الكلبي ، وقال الطبري فيه خزيمة بتحريك الزاي ، وهو بَلَوِيٌّ من بني
عَمَّارة بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عَمَّارة في العرب إلا هذا ،
كما لا يُعْرَفُ عَمَّارة بكسر العين إلا أُبَيُّ بنِ عَمَّارة الذي يروى حديثا في المسح
على الخفين ، وقد قيل فيه عَمَّارة بضم العين ، وأما سوى هذين فَعَمَّارة بالضم ،
غير أن الدَّارَ قُطَيْبِيٌّ ذكر بن مُحَمَّدٍ بن حبيب عن ابن الكلبي في نسب قضاة :
قال مُدْرِكُ بن عبد الله القَمَمَاقِ بن عَمَّارة بن ذُوَيْدِ بن مالك . وفي النساء عَمَّارة

(١) في المراد : رواه الزمخشري بكسر أوله وكسر ثانيه ، وغيره بفتح أوله
وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس وكانت عمواس قصبتها قديما ،
وهي ضيعة جليلة على ستة أميال من بيت المقدس ، منها كان ابتداء الطاعون
المنسوب إليها في زمن عمر . قيل : مات فيه خمسة وعشرون ألفا ، وفي ياقوت
أن عمواس بكسر العين وسكون الميم .

سبت نافع ، وهى أم محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفى الأنصار خزّمة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير .

وذكر بنى الحُبَيْلى والنسب إليه حُبَيْلى بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس ، والنسب ، وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سَيْبَوِيَه قال فيه : حُبَيْلى بفتح الباء لَمَّا ذكره مع جُدَيْمِيّ فى النسب إلى جَدَيْمَةَ ولم يذكره سيبويه معه ، لأنه على وزنه ؛ ولكن لأنه شاذ مثله فى القياس الذى ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضم ، ذكره أبو عليّ القألى فى البارع ، وقال هكذا تقييد فى النسخ الصحيحة من سيبويه ، وحسبك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الحُبَيْلى بضمّين ، لا يختلفون فى ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيبويه أنه ففتح الباء (١) .

منى أسلم عثمان بن أبي طلحة :

فصل : وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها ، وهو يومئذ

(١) فى القاموس : د الحبلى ، بضم الحاء وسكون الباء وفتح اللام ، لقب سالم بن غنم بن عوف لعظم بطنه من ولده : بنو الحبلى بطن من الأنصار ، وهو حبلى بضم الحاء وسكون الباء - وبضمتين ، وكجهنى ،

وفى الباب لابن الأثير الحبلى بضم الحاء والباء ونقل عن السمعاني ، وذكر سيبويه النحوى : الحبلى بفتح الباء وقال : هو منسوب إلى بنى الحبلى . وقال : الحبلى بضم الحاء وسكون الباء وإمالة اللام لقب سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج بن حارثة قال ابن السكيت : إنما سُمى الحبلى لعظم بطنه . وانظر ص ٥٩٩ الاشتقاق .

(١١ م - الروض الأنف ج ٤)

على كفره ، وإنما أسلم عُثمان في هُدنة الحُدَيْبِيَّة^(١) ، وهاجر قبل الفتح مع خالد ابن الوليد ، وقتل يوم أُحُدٍ إخوته مُسَافِع ، وِكَلاب والحارث ، وأبوهم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرين ويده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وإلى ابن عمه شَيْبَةَ بن أبي عثمان بن أبي طلحة ، وهو جد بنى شَيْبَةَ حَجَبَةَ الكعبة ، واسم أبي طلحة جدم : عبد الله بن عبد العُزَي ، وقُتِل عُثمان رحمه الله شهيدا بأجنادَيْن في أول خلافة عمر .

هجرة بنى جحش :

وذكر هجرة بنى جحش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عُبَيْدُ الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿ فلما قُضِيَ زَيْدُهَا وَطَرًا رَوَّجْنَا كَمَا ﴾ الأحزاب وأم حبيب بنت جحش التي كانت تُسَمَّحَاضُ ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحمئة بنت جحش التي كانت تحت مُصْتَقِب بن عمير ، وكانت تُسَمَّحَاضُ أيضا ، وقد روى أن زينب استحيضت أيضا ، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُسَمَّحَاضُ ، ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قاله أحد والفَلَطُ لا يسلم منه بشر ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ،

(١) بتخفيف الياء الثانية مع فتحها ، وقيل : أهل المدينة يقتلوننا ، وأهل العراق يخففونها .

ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب فمما زَيْنَبَانِ غَلِبَتْ عَلَى إِحْدَاهُمَا الْكُنْيَةُ ، فعلى هذا لا يكون في حديث المَوْطَأِ وَهُمْ وَلَا غَاظَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ . وكان اسم زينب بنت جحش : بَرَّةَ فَسَمَّاها رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَيْنَبَ ، وكذلك زينبُ بنت أم سلمة رَيْبِيَّتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كان اسمها بَرَّةَ ، فسماها زينبَ كأنه كره أن تُزَكِّيَ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا بِهَذَا الْأَسْمِ ، وكان اسم جحش بن رثاب : بَرَّةَ بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا رسول الله لو غيرت اسم أبي ، فإن البُرَّةَ صغيرة ، فقيل : إن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال لها : لو أبوك مُسَلِّمًا لَسَمَّيْتَهُ بِاسْمِ مَنْ أَسْمَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، ولكني قد سميتُه جَحْشًا وَالْجَحْشُ أَكْبَرُ مِنَ الْبُرَّةِ . ذكر هذا الحديث مُسْتَدْرَأً فِي كِتَابِ الْمُتَوَاتِفِ وَالْمُخْتَلَفِ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارِقُطِيُّ .

الشعر الذي تمثل به أبو سفيان :

فصل : ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مرَّ بدار بني جحش
تَحْقِيقُ أَبْوَابُهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

وكل بَيْتٍ وَإِنْ طَالَ سَلَامَتُهُ يوماً ستدركه النَّكْبَاءُ وَالْحُوبُ

كل امرئٍ بِلِقَاءِ الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ كأنه عَرَضٌ لِلْمَوْتِ مَنْصُوبٌ

والشعر لأبي دُوَادِ الْإِيَادِيِّ وَاسْمُهُ : حَنْظَلَةُ بْنُ شَرِيقٍ ، وقيل جارية بن

الحجاج ذكر دار بني جحش ، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالرَّذْمِ ، والرَّذْمُ

حَفَرِ رُدِّمٍ بِالْقَتْلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَسَمِيَ : الرَّدِّمُ ، وَذَلِكَ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ بَنِي
بُجَّحٍ ، وَبَيْنَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرِ ، وَكَانَتْ الذَّبْرَةُ فِيهَا عَلَى بَنِي الْحَارِثِ ، وَلِذَلِكَ
قَالَ عَدُوَّهُمْ ، فَهَمُّ أَفْلٍ قَرِيشٍ عَدُوًّا .

وذكر ابن إسحاق شعر أبي أحمد بن جعش وفيه :

إِلَى اللَّهِ وَجِبِي وَالرَّسُولَ وَمَنْ يُقِمُّ إِلَى اللَّهِ يَوْمًا وَجْهَهُ لَا يُحْيِي

هكذا يروى بكسر الباء على الإفواء، ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة
ويكون تقديره : فَلَا يُحْيِي بِإِضْمَارِ الْفَاءِ فِي مَذْهَبِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَفِي مَذْهَبِ
سَيِّبِيهِ : يَجُوزُ أَيْضًا لَا عَلَى إِضْمَارِ الْفَاءِ ، وَاسْكُنْ عَلَى نِيَّةِ التَّقْدِيمِ لِلْفِعْلِ عَلَى
لِلشَّرْطِ كَمَا أَنْشَدُوا :

إِنَّكَ إِنْ يُفْرَعُ أَخُوكَ تُفْرَعُ^(١)

وهو مع إن أحسن ، لأن التقدير إنك تُفْرَعُ إِنْ يُفْرَعُ أَخُوكَ ،
وَأَنْشَدُوا أَيْضًا :

مَنْ يَقْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهُ^(٢)

(١) البيت لجرير بن عبد الله البجلي ، وقد سبق . وهو في كتاب سيبويه
ص ٤٢٦ - ١ ط أولى والشاهد - فيه كما يقول السيرافي - على مذهب سيبويه :
تقديم تفرع في النية ، وتضمنه الجواب في المعنى . والتقدير : إنك تفرع إن
يفرع أخوك ، وهذا من ضرورة الشعر لأن حرف الشرط قد جزم الأول ،
لحُكْمِ أَنْ يَجْزَمَ الْآخِرُ وَهُوَ عِنْدَ الْمَبْرَدِ عَلَى حَذْفِ الْفَاءِ . وَالْأَقْرَعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .

(٢) هو من شواهد سيبويه أيضاً في الكتاب ص ٤٣٥ - ١ ط ١

على هذا التقدير ، وفي الشعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقرب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسن بعد إذا مع حرف النفي ، وإنما يحسن بعد إذ كقوله سبحانه : ﴿ إذ يقول المنافقون ﴾ ولو قلت : سأتيك إذا تقول كذا ، كان قبيحاً إذا أخرتها ، أو قدمت الفعل لما في إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ الماضي ، تقول : سأتيك إن قام زيد وإذا قام زيد ، ويقبح : سأتيك إن يقيم زيد لأن حرف الشرط إذا أخرج اللفظ ، وإذا ألقى لم يقع الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن في كيف نحو قوله سبحانه ﴿ يُفَفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ لِسِرٍّ بَدِيعٍ لَعَلْنَا نَذْكُرُهُ إِنْ وَجَدْنَا لِشَفَرَتِنَا مَحْزَأً ، وَيَحْسُنُ الْفِعْلُ الْمُسْتَقْبَلُ مَعَ إِذَا بَعْدَ الْقَسَمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثاني : أن إذ بمعنى إذا غير معروف في الكلام ، ولا حكاة تثبت ، وما استشهد به من قول رؤبة ليس على ما ظن إنما معناه : ثم جزاه الله ربى إن جزى ، أى من أجل أن نفعى وجزى عني ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ففاعل جزى : مضمير عائد على الرجل الممدوح ، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيدييه

والشاهد فيه : حذف الفاء من الجواب ضرورة ، والتقدير : فإله يشكره وفي الكتاب : يشكرها ، وزعم الأصمعي أن النحويين غيره ، وأن الرواية : من يفعل الخير ، فالرحمن يشكره .

في سواد الكتاب ، ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ وعليه يحمل قوله سبحانه ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ﴾ وغفل النسوى عما في الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن عاملا في الظرف الماضي ، فصار بمنزلة من يقول : سأتيك اليوم أمس ، وهذا هراء من القول ، وغفلة عما في كتاب سيبويه ، وآتيت شِعْرِي ما يقول في قوله سبحانه : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون : هذا إفكٌ قديم ﴾ فإن جَوَز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد ، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سأتيك ، فكيف إن قلت : غدا فسأتيك ، فكيف إن زدت على هذا وقلت : أمس فسأتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمس ، فهذه فضائح لا غطاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه في قوله سبحانه ﴿ ولو ترى إذ وقفوا ﴾ وكذلك : ﴿ ولو ترى إذ الجرْمون ناكسوا رؤوسهم ﴾ أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطي الاستقبال ؟

قيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر ، وقد قال سبحانه : ﴿ إذ الجرْمون ناكسوا رؤوسهم ﴾ وإنما التقدير : ولو ترى عندهم وحرزهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذا ظرفٌ ماضٍ على أصله ، ولكن بالإضافة إلى حرزهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد للمأينة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالإضافة إلى ما بعده ، والذي يعمده هو مفعول ترى ، وهذا نحو مما يتوهم في قوله سبحانه : ﴿ فانطلقا حتى إذا

رَكِبًا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴿ فَيَتَوَمَّ أَنْ إِذَا هَاهُنَا بِمَعْنَى إِذْ ، لِأَنَّهُ حَدِيثٌ قَدْ مَضَى ،
وَلَيْسَ كَمَا يَتَوَمَّ ، بَلْ هِيَ عَلَى بَابِهَا ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْإِنْتِظَارِ ،
لِأَنَّهُ بَعْدَهُ ، وَالْإِنْتِظَارُ قَبْلَهُ ، وَلَوْلَا حَتَّى ، مَا جَازَ أَنْ يُقَالَ إِلَّا انْطَلَقْنَا إِذْ رَكِبًا ،
وَلَكِنْ مَعْنَى الْغَايَةِ فِي حَتَّى دَلَّ عَلَى أَنَّ الرُّكُوبَ كَانَ بَعْدَ الْإِنْتِظَارِ وَإِذَا كَانَ
بَعْدَهُ ، فَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ مَسَأَلْتُنَا الْجِزْنَ ، وَسُوءَ الْحَالِ الَّذِي
هُوَ مَفْعُولٌ لَتَرَى ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَذْكُورٍ فِي اللَّفْظِ ، فَهُوَ بَعْدَ وَقْتِ الْوُقُوفِ ،
فَوَقْتُ الْوُقُوفِ مَاضٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَدَمِنْ حَذْفٍ ، فَكَذَلِكَ نَقْدَرُ
حَذْفًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ وَنَحْوَهُ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى أَنْ ،
فَلَا يَدُلُّهَا مِنْ تَعَلُّقٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : جُزَيْتُمْ بِهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ ظَلَمْتُمْ ، أَوْ مِنْ أَجْلِ
أَنْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ضَلُّوا .

وَذَكَرَ فِي نِسَاءِ بَنِي جَعْفَرٍ : جُدَامَةٌ بِنْتُ جَعْدَلٍ ، وَأَحْسَبُهُ إِذَا أَرَادَ جُدَامَةَ
بِنْتُ وَهَبِ بْنِ مِحْصِنٍ ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الرُّضَاعِ فِي الْمَوْطَأِ ، وَقَالَ
فِيهَا خَلْفُ بْنُ هِشَامِ الْبَزَارِ : جُدَامَةٌ بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ هَكَذَا ذَكَرَ عَنْهُ مُسْلِمٌ بْنُ
الْحَجَّاجِ ، وَالْمَعْرُوفُ : جُدَامَةٌ بِالذَّالِ (١) ، وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا جُدَامَةٌ بِالْتَشْدِيدِ ،

(١) فِي الْقَامُوسِ : دُجْدَامَةٌ كَثَامَةٌ بِنْتُ وَهَبٍ ، وَبِنْتُ جَعْدَلٍ ، وَبِنْتُ الْحَارِثِ
صَحَابِيَّاتٌ وَهِيَ مَا يَسْتَخْرَجُ مِنَ السَّنْبِلِ بِالْخَشْبِ . وَفِي الْإِصَابَةِ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتُ
جَعْدَلٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهَا : وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي التَّذْيِيلِ أَنَّهَا هِيَ
بِنْتُ وَهَبٍ . . وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَتْ تَحْتِ أَنْبَسِ بْنِ قَتَادَةَ الْإِنصَارِيِّ . كَمَا جَاءَ
فِي الْإِصَابَةِ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتُ وَهَبِ الْأَسَدِيَّةِ : وَيُقَالُ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ رُوتٌ عَنِ النَّبِيِّ
ص ، فِي رِضَاعِ الْحَامِلِ ، رُوتٌ عَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ، أُخْرِجَ حَدِيثُهَا فِي الْمَوْطَأِ ،

والجُدَّامة قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدي .
قال المبارك بن بيد الجبار عن أبي إسحاق البرمكي عن محمد بن زكريا بن جويهر
عن أبي عمر الزاهد المطرز قال : الجُدَّامة : بتشديد الدال طَرْف السَّعْفَة وبها
سميت المرأة ، وكانت جُدَّامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الأنصاري .
وأما جُدَّامة بنت جندل ، فلا تُعرف في آل جحش الأسديين ، ولا في غيرهم ،
ولعله وهمُّ وقع في الكتاب ، وأنها بنت وهب بن مِحْصَن بنت أخي عكاشة ،
ابن مِحْصَن ، كما قدمنا والله أعلم .

وذكر في بنى أسد ثقف بن عمرو ، ويقال فيه : ثقف شهيد هو وأخوه
مدلاج [أو مدالج] بدرًا وقتل يوم أحد شهيدا . وقال موسى بن عقبة قتل يوم
خيبر قتله أسير [بن رزام] اليهودي ^(١) .

وذكر فيهم أم حبيب بنت ثمامة ، وهي بما أغفله أبو عمرو في كتابه ، وأغفل
أيضًا ذكر ثمام بن عبدة ^(٢) ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الحملة
المدكورين من بنى أسد .

ولفظه : عن جدامة الأسدية أنها سمعت النبي ﷺ يقول : لقد هممت أن
أنهى عن الغيلة . ، الحديث ، وفي بعض طرقه عند مسلم : عن جدامة بنت
وهب أخت عكاشة بن وهب قالت : حضرت عند النبي ﷺ ، في أناس ،
وهو يقول : فذكر الحديث . . وأورده ابن مندة بلفظ الموطن في جدامة
ابن جندل .

(١) ويقول الواقدي عن مدلاج إنه شهيد المشاهد كلها ، ومات سنة خمسين
وتبعه ابن عبد البر في ذلك ، الإصابة ، أما ثقف ، فبما قال .
(٢) ترجم ابن حجر لأم حبيب في سطرين فقط ، ولم يترجم لثمام .

وذكر ابن إسحاق في هذه الجملة أربد بن جميرة الأسدي بالجيم ، وقاله ابن هشام: مُحَيْرَة بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكائي وابن هشام ، فقال فيه ابن مُحَيْر بتشديد الياء ، كأنه تصغير حار .

وذكر فيهم مُحْرِز بن نَضَلَة ، ولم يرفع نسبه ، وهو ابن نَضَلَة بن عبد الله ابن مُرَّة بن غنم ^(١) بن دُودَان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل في غزوة ذي قرد شهيداً ^(٢) ، وكان قد شهد بدرًا ، وكان يعرف بالأخزم ، ويقاب : مُهَيَّرَة ، وقال فيه موسى بن عقبة مُحْرِز بن وَهَب ، ولم يقل ابن نَضَلَة .

وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رُقَيْش ، وبعضهم يقول فيه : أربد ولا يصح ، وهو ابن رُقَيْش بن رِثَاب بن يَعْمَر بن كَثِير بن غنم بن دُودَان ، وذكر فيهم رَبِيعَة بن أَكْثَم ، ولم ينسبه وهو ابن أَكْثَم بن سَخْبَرَة بن عمرو ابن نُفَيْر بن عامر بن غنم بن دُودَان بن أَسَد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيراً دَحْدَحًا فُتِل يوم خيبر بالنَّطَاة قتله الحارث اليهودي ^(٣) .

(١) في الإصابة بن مرة بن كثير بن غنم ، وفي إمتاع الاسماع مرة بن كبير بن غنم .

(٢) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر . خرج إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طلب عيينة بن حصن قال حسان :

كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذي قرد وجوه عباد

(٣) نطاة : اسم لأرض خيبر ، وقيل حصن بخيبر أو عين بها يسقى بعض نخيل قراها ، وهي وبثة ، وفي القاموس تطلق أيضاً على حمى خيبر . وبالالف واللام : الشمروخ .

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة الخزومي حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : أتعدتُ ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة [واسمه : عمرو ويلقب ذا الرمحين] ، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غنار ، فوق سرف ، وقلنا : أيثنا لم يصح عندها فقد حبس فليمض صاحبا . قال : فأصبحت أنا وعياش ابن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنا هشام ، وقتن فافتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلماهم وقالوا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك التمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال : فقال : أبرأ قسم أمي ، ولي هنالك مال فأخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبى علي إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال : قلت له : أمّا إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذناقتي هذه ، فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان رابك من القوم ريب ، فانج عليها :

.....

نخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا ابن أخي ، والله لقد استملطتُ بميري هذا ، أفلا تُعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عابها ، فلما استَوَوْا بالأرض عدَّوًا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عيَّاش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهاءكم ، كما فعلنا بسفهيئنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر في حديثه ، قال : فكنا نقول : ما لله بقابلٍ من افتتن صرِّفا ولا عدلا ولا توبة ، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصحابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ . مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الزمر : ٥٣ .

قال عمر بن الخطاب . فكتبتها بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال : فقتل هشام بن العاصي : فلما أتتني جعلت أقرأها بندي طوي ،

صعدَ بها فيه وأصوّب ولا أفهمها ، حتى قلت اللهم فقهنيها . قال : فأتى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بيبري ، جلست عليه ، فلحقتُ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالمدينة .

الوليد بن الوليد وعياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثني من أتى به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : من لي بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين - آتنيهما - فتبعهما حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ؛ فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ سمرة . فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : « ذو المروة » لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدميت أصبعه ، فقال : هل أنت إلا أصبعٌ دميت وفي سبيل الله ما بقيت . ثم قدم بهما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سُرّاقة ابن العتمر وخنيس بن حذافة السهمي . وكان ضمّره على ابنته حفصة بنت

عمر ، تخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو
ابن نُفَيْل ، وواقد بن عبد الله التَّمِيمِي ، حليف لهم ؛ وحوَلِي بن أبي حَوَلِي ،
ومالك بن أبي حَوَلِي حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو حَوَلِي : من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البُكَيْر أربعتهم : إياس بن البُكَيْر ، وعاقل
ابن البُكَيْر ، وعامر بن البُكَيْر ، وخالد بن البُكَيْر ، وحلفاؤهم من بني سعد
ابن ليث ، علي رفاعة ابن عبد المنذر بن زَنْبَر ، في بني عمرو بن عوف بقاء ،
وقد كان منزل عِيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تتابع المهاجرون ، فزَل طَلْحَةُ بن عبيد الله بن عثمان ، وصُهَيْب بن
سنان على خبيب بن إيساف أخي بلحارث بن الخزرج بالشَّحْ . قال ابن هشام :
ويقال : يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق . ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله
على أسعد بن زُرَّارة ، أخي بني النَّجَّار .

قال ابن هشام : وذا كرى عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن
أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كفَّار قريش : أتيتنا صُغُلوكا حقيراً ، فكثُر
مألك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله
لا يكون ذلك ، فقال لهم صُهَيْب : أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخولون سبيلي ؟
قلوا : نعم . قال : فإني جعلت لكم مالي . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقال رِيحَ صُهَيْب رِيحَ صُهَيْب .

منزل حمزة وزيد وأن مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبدالمطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كَنَاز بن حِصْن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حُصَيْن - وابنه مرثد الفزويان ، حليفا حمزة . ابن عبدالمطلب ، وأنسة ، وأبو كبشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل كُنْثوم بن هِذْم ، أخى بنى عمرو بن عوف بَقْبَاء : ويقال : بل نزلوا على سعد بن خَيْثِمة ؛ ويقال . بل نزل حمزة بن عبدالمطلب على أسعد بن زُرارة ، أخى بنى النَجَّار . كل ذلك يقال :

ونزل عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطَّفِيل بن الحارث ، والحُصَيْن ابن الحارث ؛ ومِسْطَاح بن أَثانَةَ بن عَبَّاد بن المطلب ، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمِلة ، أخو بنى عبد الدار ، وطَلَيْب بن عُمَيْر ، أخو بنى عبد بن قُصَي ، وخَبَّاب مولى عُتْبَةَ بن عَزْوان ، على عبد الله بن سلمة ، أخى بَلْمَجْلان بَقْبَاء . ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرىن على سعد بن الربيع ، أخى بَلْحَارِث بن الخزرج ، فى دار بَلْحَارِث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبى رُثْم بن عبد المُزَيِّ ، على مُنْذِر بن محمد بن عُقبَةَ بن أَحِيحَةَ بن الجَلَّاح بالمُصَبَّة ، دار بنى جَحْجَبِي .

ونزل مُصَعب بن عُمَيْر بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن مُعَاذَة ابن النعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن هشام : سالم مولى أبي حذيفة سائبة ، لثبينة [أو ثبينة] بنت
يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك .
بن الأوس ، سببته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه ، فقيل :
سالم مولى أبي حذيفة ويقال : كانت ثبينة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة .
فأعتقت سالما سائبة . فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عبادة بن بشر بن
وقش أخى بنى عبد الأشهل فى دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن
ثابت فى دار بنى النجار ، فلذلك كان حسان يحب عثمان ويكيه حين قتل .
وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خزيمة ، وذلك أنه
كان عزبا ، فله أعلم أى ذلك كان .

خبر الندوة وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر
أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخأف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس
أو فتن ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى تحافة الصديق رضى الله
عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ،
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ،
فيطمع أبو بكر أن يكونه .

.....

الملا من قريش يتشاورون في أمر

الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صارت له شيمته وأصحاب من غيرهم يغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لخربهم . فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، وغيره ممن لا أنهم ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بتلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رآوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم لئلا يسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يقدمكم منه رأياً ونصيحاً ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش ، من بنى عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن

بني نَوْفَل بن عبد مناف : طُعَيْمَة بن عدِيّ ، وَجُبَيْر بن مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ : النضر بن الحارث بن كَلْدَة .
ومن بني أسد بن عبد العزّيّ : أبو البَحْتَرِيّ بن هشام ، وَزَمْعَة بن الأسود ابن الْمُطَلِّب ، وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بني سَهْم : نُبَيْهَة ومُنْبَهَة ابنا الحجاج ، ومن بني جُمَح : أُمَيَّة بن خَلْف ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فلإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تَرَبَّصُوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهَيْراً والنابعة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصِيبَه ما أصابهم ، فقال الشيخ النَّجْدِيّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فَلَاؤُشْكُوا أن يثبوا عليكم ، فينزِعوه من أيديكم ، ثم يُكَاثِرُوكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نُخْرِجْهُ من بين أظهرنا ، فنفنيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نُبَالِي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألقتنا كما كانت . فقال الشيخ النَّجْدِيّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حديثه ، وحلاوة منطقته ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمتنتم

أن يحلّ على حىّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أسركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبّروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة قتي شابا جليدا نسيبا وسيطلا فينا ، ثم نعطي كلّ قتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمهم في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

مما يقال عن ليلة الهجرة

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلمّا كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فينبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى وتسج بيّردى هذا الخضرمي الأخضر ، فتمّ فيه ، فانه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظيّ

.....

قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنَهُ ، فجعل يثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ﴿ يَسْ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * نَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ فَأَعْشَيْنَاهُمْ قَهْمَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ حتى فرغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فاتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خَيَّبَكُمُ اللهُ ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون ، فيبرون علياً على الفراش مُتَسَجِّجاً بِبُرْدٍ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لحمٌ نأتما ، عليه بُرْدُهُ . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على - رضى الله عنه - عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

.....

الآيات التي نزلت في تربص المشركين بالنبى

قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ الْعَاكِرِينَ ﴾ ، وقول الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : المنون : الموت . ورب المنون : ما يرب ويعرض منها .

قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ والدهم ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك

في الهجرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذاملا ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتمجل ، لعل الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما في داره ، يعلفهما إعدادا لذلك .

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ماجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عنى من عندك : فقال : يارسول الله ، إنماها ابنتاي ، وما ذاك؟ فذاك أبي وأمي ! فقال : إن الله قدأذن لى فى الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصحبة يارسول الله ؛ قال : الصحبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ، ثم قال : يانبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعدتهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلا من بنى الدليل بن بكر [وهو من بنى عبد بن عدى - هاديا خريتا - والخريت : الماهر بالهداية - قد عمس حلفا فى آل العاصى بن وائل السهمى - عن البخارى] ، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا - يدلها على الطريق ، فدفا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها ليمادها .

الذين كانوا يعلمون بالهجرة

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغني ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحدٌ عنده شيء ، يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لئلا يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمداً إلى غارِ بثورٍ - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن قهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى في الغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبي الحسن

البصرى قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتامس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

الذين قاموا بشئون الرسول في الغار

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجملت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر رضى الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندها إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذى استأجراه بهيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما بسفرتهم ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفر ، فاذا ليس لها عصام ، فتجلى نطاقها فتجمله عصاما ، ثم علقها به .

لم سميت أسماء بذات النطاقين

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين .

وتفسيره : أنها لما أرادت أن تملق السفرة شقت نطاقهما بائنين ، فعلقت
السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فلما قرب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فذاك
أبى وأمى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغيراً ليس لى ، قال :
فهى لك يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها
به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هى لك يا رسول الله . فركبة
وانطلقا . وأزدف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة مولاة خلفه ،
ليخدمهما فى الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر

قال ابن إسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قريش ،
فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ؛ فقالوا :
أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى . قالت :
فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمه طرح منها قرطى .

خبر الجنى الذى تغنى بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم

قالت : ثم انصرفوا . فكثنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيراً جزائه رقيقين حلاً خيمتى أمّ معبدٍ
هما نزلاً بالبرِّ ثمّ تروّحا فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
ليهنّ بنى كعب مكانُ فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

نسب أم معبد

قال ابن هشام : أمّ معبد بنت كعب ، امرأة من بنى كعب ، من خزاعة . وقوله « حلا خيمتى » و « هما نزلاً بالبرِّ ثمّ تروّحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما : فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، ومعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أزيقِط .

آل أبي بكر بعد هجرته

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبّادا حدثته عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدّي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجّعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبتِ ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبتِ ، ضَع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس . إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

خبر سراقة بن مالك

قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم حدثه . عن أبيه ، عن عمه سراقة بن مالك بن جُعشم ، قال . لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال : فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل

منّا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكبة ثلاثة صرّوا على آفنا ،
إني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني : أن اسكت ثم قلت
قليلاً ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله : ثم سكت . قال ثم مكنت
ثم قلت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي ، فقيد لي إلى بطن الوادي ، وأمرت
بسلاحي ، فأخرج لي من دُبُر حجرتي ، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها ،
ثم انطلقت ، فلبست لَأَمَتِي ثم أخرجت قِداحي ، فاستقسمت بها ؛ فخرج
السهم الذي أكره « لا يضره » قال : وكنت أرجو أن أردّه على
قريش ، فأخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتدّ
بي عثري ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت
قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » . قال : فأبيت
إلا أن أتبعه . قال : فركبت في أثره ، فبينما فرسي يشتدّ بي ، عثري ، فسقطت
عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ ، قال : ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج
السهم الذي أكره « لا يضره » قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره .
فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثري فرسي ، فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت
عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبهما دخان كالإعصار . قال : فعرفت
حين رأيت ذلك أنه قد مُنِع مني ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم : فقلت : أنا
سُرّاقة بن جُشم : انظروني أكلكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتيكم مني شيء
تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له :
وما تبتغي منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لي كتابا يكون
آية بيني وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لي كتابا في عَظْم ، أو في رقعة ، أو في خَزَافَة ، ثم ألقاه إليّ ، فأخذته ، فجعلته في كِنَانَتِي ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعرانة . قال : فدخلت في كَتِيبَة من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غَرَزِه كأنها جُمَّارَة . قال : فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لي ، أنا سُرَاقَة بن جُعْشَم ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبرّ ، أدُّنُه . قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تَفْشَى حياضى ، وقد ملأتها لإبلى ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : نعم ، في كل ذات كبد حرّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومي ، فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى . قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشَم .

هجرة عمر وعياش

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تَنْضُبْ [وواحدته تَنْضُبَة] وهو ضَرْب من الشجر ، تألفه الحَرْبَاءُ . قال الشاعر :

إِنِّي أُتِيحُ لَهُ حَرْبَاءُ تَنْضُبِيَّةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُنْسِكًا سَاقَا

ويقال لثمره المتمع وهو فُنْعَلِلْ أدغمت النون في الميم وظاهر قول سيبويه :
أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقوِّبه أن مثله
الهُنْدَلِعُ^(١) ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القِيبِيُّ كما تتخذ من النَّبَعِ
والشوط والشريان والسراء والأشكال ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة
في النبات .

وقال الجعديُّ :

كَأَنَّ الْعُبَارَ الَّذِي غَادَرَتْ ضِحْيَا دَوَاخِنُ مِنْ تَنْضُبٍ
شبه العبار بدخان التنضب لبياضه . وقال آخر [عُقَيْلُ بْنُ عُلْقَةَ الْمُرِّيُّ] :

(١) اسم بقلة ، ويقول ابن جنى في المنصف إن الاء الحناسية تجيء على
أربعة أمثلة وخامس لم يذكره سيبويه ففعلل وفعللل وفعلل . . .
والخامس الذي لم يذكره سيبويه فعللل ، وهو هندلع ، وقالوا : هو اسم بقلة ،
ومن ادعى ذلك احتاج أن يدل على أن النون من الأصل ، ص ٣٠ > ١ .
وفي شرح الشافية عن أوزان الاسم الحناسي : د وزاد محمد بن السري في الحناسي
خامسا ، وهو الهندلع لبقلة ، والحق : الحكم بزيادة النون لأنه إذا تردد الحرف
بين الاصل والزيادة والوزنان باعتبارهما نادرا فالأولى : الحكم بالزيادة
لكثرة ذى الزيادة كما يجيء ، ولو جاز أن يكون هندلع فعلللا لجاز أن يكون
كنهبل فعلا وذلك خرق لا يرقع فتسكَّر الأصول ، ص ٤٩ > ١ . . . والكنهبل
بفتح الباء وضما : شجر عظام وهو من العضاء ويقول سيبويه إن النون فيه
زائدة لأنه ليس في الكلام على مثال سفرجل بضم الجيم .

ويقول الخشني : د التناضب بضم الصاد . يقال : هو اسم موضع ، ومن
رواه بالكسر ، فهو جمع تنضب ، وهو شجر واحدته : تنضبة ، وتيده الوقشي ؛
التناضب بكسر الصاد ، .

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلاً كَانَ غُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عُنُقِكَ دَوَاخِنُ تَنْضُبِ

وأضأةُ بنى غِفَارٍ على عشرة أميال من مَسَكَةَ ، والأضأةُ الغَدِيرُ ، كأنها مقلوب من وَضْأة على وزن فَعْلَة ، واشتقاقه من الوَضْأةِ بالمد وهي النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الأضأةِ إضَاءً وقال النابغة [في صفة الدروع] :

عَلِينَ بِكَدْيُونٍ وَأَبْطِنَ كُرَّةً وَهُنَّ إِضَاءٌ صَانِيَاتُ الْغَلَائِلِ

[وَأَضِيَاتُ ، وَأَضَوَاتٌ وَأَضَاً وَإُضُونٌ] . وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة في وِضَاء ، وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو المفتوحة لاتهمز ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ^(١) ، ويقال أضأه بالمد ، وقد يجمع أضأة على إضيين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

مَحَا فِرُّ كَأَسْرِيَّةِ الْإِضِيْنَا

الْأَسْرِيَّةُ : جمع سَرِيَّةٍ ، وهو الجُدُولُ ، ويقال له أيضا : السَّعِيدُ .

(١) ومثلها: إساد في : وساد وإشاح ، في وشاح . وإعام في وعاء . وفي اللسان : قال أبو الحسن : هذا الذي حكيمته من حل أضاه على الواو بدليل : أضوات حكاية جميع أهل اللغة ، وقد حمله سيبويه على الياء ، قال : ولا وجه له عندى البتة لقولهم أضوات وعدم ما يستدل به على أنه من الياء . قال والذي أوجه كلامه عليه أن تكون أضاه قلعة من قولهم : أضض يبيض على القلب ، لأن بعض الغدِيرِ يرجع إلى بعض ، ولاسيما إذا صففته الريح .

قول هشام بن العاص :

فصل : وذكر نزول الآية : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر ٥٣ الآية في المستضعفين بمكة ، وقول هشام ابن العاص : ففاجأتني وأنا بذى طُوًى . طُوًى (١) : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكة ، تنتظره بذى طُوًى ، وأنهم قالوا له : يا آدمُ مازلنا ننتظرُك هاهنا منذ ألفي سنة (٢) ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذى طُوًى ، وأما ذو طُوًاء بالمد ، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري ، وأما طُوًى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادي المُقدَّس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التَّقديس ، أى : المُقدَّس مرتين .

نزول طلحة وصهيب علي خبيب بن إساف :

فصل : وذكر نزول طلحة وصهيب علي خبيب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عنبية ، ولم يكن

(١) مثلثة الطاء وتنون ولا تنون . فن نونه فهو اسم للوادي أو الجبل ، وهو مذكور اسمي بمذكر على فعل كحطيم وصرده ون لم ينونه جملة معدولا عن طاو ، أو باعتباره اسما للبقعة . وقرأ بن كثير ونافع وأبو عمرو وبعقوب الحضرمي : طوى غير منون ، وقرأها الكسائي وعاصم وحزة وابن عامر : طوى منونا في السورتين . ويقول ابن الأثير : وذو طوى : موضع عند باب مكة .

(٢) كلامه لا مسند له .

حين نزول المهاجرين عليه مُسلماً في قول الواقدي بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر ، قال حُبَيْبٌ : فخرجت معه أنا ورجل من قومي ، وقتلنا له : نكروه أن يشهدَ قومنا مشهداً لا يشهده معهم ، فقال : أَسَلَمْتُمَا ؟ فقلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإننا لَنَسْتَعِينُ بِمَشْرِكٍ .

وحُبَيْبٌ هو الذي خلف على بنت خارِجَةَ بعد أبي بكر الصديق ، واسمها : حَبِيبِيَّةٌ ، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارِجَةَ أراها جارية (٢) ، وهي : بنت خارِجَةَ بن أبي زُهَيْر (٣) ، والجارية : أم كَلْثُوم بنت أبي بكر ، مات حُبَيْبٌ في خلافة عثمان ، وهو جدُّ حُبَيْبِ بن عبد الرحمن ، الذي يروى عنه مالكٌ في مُوطَّئِهِ .

أبو كبشة

وذكر أَنَسَةُ وأبا كَبْشَةَ في الذين نزلوا على كَلْثُومِ بن الهِذَمِ ، فأما أَنَسَةُ مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فهو من مُوَلَّي السَّرَاةِ ، ويُكنى : أبا مَسْرُوحٍ ، وقيل : أبا مِشْرَحٍ شهيد بدرًا والمُشَاهِدِ كُلِّهَا مع رسول الله

(١) في الإصَابَةِ : ما أظنُّها إلا أنثى . غير أن إيمان أبي بكر ، وتدبره العظيم للقرآن يمنعان من أن نظن بأبي بكر مثل هذا فالقرآن يقول عن الله سبحانه في أمور الغيب اني يعلمها : (ويعلم ما في الأرحام) .

(٢) في الإصَابَةِ : بنت خارِجَةَ بن زيد أو بنت زيد بن خارِجَةَ . وفي ترجمته هو ذكر : زيد بن خارِجَةَ بن زيد بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج .

- صلى الله عليه وسلم - ومات في خلافة أبي بكر ، وأبو كَبْشَةَ اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مَوْلَدِي أرضِ دَوْس ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر ، وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبي كَبْشَةَ وفعل ابن أبي كَبْشَةَ ، فقيل فيه أقوال : قيل : إنها كُنْيَةُ أبيه لِأَمِّهِ وَهَبِ بن عبدمناف ، وقيل : كُنْيَةُ أبيه من الرضاة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : إن سَلَمَى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَةَ ، وهو عمرو بن لَبِيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشَّعْرَى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه فخرجوه عن دين قومه (١) .

وذكر الدارقطني اسم أبي كَبْشَةَ هذا في المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وَجْزُ ابن غالب ، وهو خَزَاعِيٌّ (٢) ، وهو من بنى غُبَشَانَ (٣) .

(١) سبق هذا ، وقد نقلته عن صاحب نسب قريش ، وقد ذكر ابن حبيب في كتابه المحبر أن وهباً جد النبي د ص ، لِأَمِّهِ كَانَ يَكْنَى أبا كَبْشَةَ ، وكذلك عمرو ابن زيد البخاري ، وهو أبو سلمى أم عبد المطلب ، وكذلك وجز بن غالب ، وهو جد النبي د ص ، من قبل أمه أم وهب بن عبدمناف ، وكذلك غُبَشَانَ بن عمرو ابن لؤي وهو الذي كان يعبد الشعري ، وكذلك حاضن الرسول د ص ، الحارث ابن عبد العزى ص ١٢٩ .

(٢) يقول ابن دريد ، في الاشتقاق وهو يتحدث عن خزاعة و منهم : أبو قبيلة ، وهو وجز بن غالب ، وقد لى النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ٤٨٠ .

(٣) في الأصل : وغمشان ، وهو خطأ . أبو غبشان : خزاعي كان يلي سدانة

(م ١٣ - الروض الاف ج ٤)

وذكر نزولهم بقباء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ
من المدينة ، وهو يمد ويُقصر ويؤنث ويذكر ، ويُصرف ولا يُصرف ،
وأشده أبو حاتم في صرفه :

وَلَا بِنَيْسَنَكُمْ قُبَا [و] عَوَارِضًا وَلَا قِبَلَنَّ الْخَيْلَ لَابَةَ ضَرْعَدٍ (١)

وكذلك أشده قاسم بن ثابت في الدلائل قبا بضم القاف و [فتح] الباء
وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أشده سيديويه : قنأ
وعوارضاً ، لأن قنأ جبلٌ عند عوارض يقال له ، ولجبل آخر معه قنوان (٢) ،

الكعبة قبل قريش ، فاجتمع مع قهى في شرب بالطائف ، فأسكره قهى ثم
اشترى المفاتيح منه بزق خمر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار وطير به
إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسوى ، فضربت به الأمثال في الحمق
والندم ، وخسارة الصفقة ، القاموس ، وقد سبق رأى ابن هشام فيه .

(١) أشده سيديويه مرتين في صفحتي ٨٢ ، ١٠٩ من الجزء الأول من كتابه ،
ونسبه لعامر بن الطفيل ورواه مرة بالفاء ومرة بالواو في لابغينكم . وقد
اشتهد به على نصب قنا وعوارض مع إسقاط حرف الجر ضرورة لأنهما
مكانان مختصان لا ينتصبان انتصاب الظرف ، وهما بمنزلة ذهب الشام في الشذوذ
والحذف . والقاعر يريد : بقنا وعوارض ولكنه شبهه بدخلت البيت ، وقلب
الظهر والبطن .

(٢) في المرصد عن عوارض : جبل ببلاد طيء وقيل : هو لبني أسد ،
وقيل : قنا وعوارض جبلان لبني فزارة وقيل : جبل أسود في أعلى دار طيء .
وناحية دار فزارة . وقيل عن قنوين لإنهما جبلان تلقاهما الحاجر لبني مرة . وقيل
وهما عوارض وقنا ، سميا قنوين كما دتم في ثنية الشيء ومقارنه كالعمرين
والقمرين .

وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد، فلا يصح أن يقرن قباء الذي عند المدينة مع عوارض وقنوين، وكذا قال البكري في مُعْجَم ما استعجم وأنشد :
[لمعل بن ضرار بن سنان الملقب بالشماخ] .

كأنها لما بدا عوارضُ والليلُ بين قنوينِ رابضُ

وقبَاء : مأخوذ من القبو، وهو العثمُّ والجمعُ قاله أبو حنيفة ، وقال :
القَوَائِي : هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن : قَائِيَةٌ . قال : وأهلُ العربية
يسمون الضمة من الحركات قَبْوًا^(٢) ، وأما أقولهم : لا والذي أخرج قوبًا من
من قايبة يعنون : الفَرخَ من البَيْضَةِ^(٣) فن قال فيه : قايبة بتقديم الباء ، فهو

(١) ذكره اللسان في مادة ربض ، وفي مادة جله ونسبه في هذه إلى الشماخ .
ورواه في جله هكذا :

كأنها وقد بدا عوارضُ بجملة الوادى قطا نواهِضُ
ورواه في ربض كما في الروض وزاد ما وصفته بين قوسين والجملة :
ما استقبلك من حروف الوادى .

(٢) في اللسان : أهل المدينة يقولون لضمة : قبوة . . والقبوة : الضم ،
قال الخليل : نبرة مقبوة أى : مضمومة .

(٣) في اللسان : وقاب الطائر بيضته ، أى : فلقها . فانهقابت البيضة وتعوقت
بمعنى ، والقائبة والقابة : البيضة ، والقوب بالضم الفرخ . . وسمى الفرخ : قوبا
لانهقابت البيضة عنه . ويقال قابة وقوب بمعنى : قايبة وقوب ، قال : وفي حديث
عمر : أنه نهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، وقال : إنكم إن اعتمرتم في أشهر الحج
رأيتموها مجزئة من حجكم ، ففرغ حجكم ، وكانت قايبة من قوب . ضرب
هذا مثلا لجلاء مكة من المعتمرين سائر السنة ، والمعنى : أن الفرخ إذا فارق
بيضته لم يعد إليها ، وكذا إذا اعتمرُوا في أشهر الحج لم يعودوا إلى مكة .

الْقَبْوِ الَّذِي يَقْدَمُ ، وَمَنْ قَالَ فِيهِ : قَابِيَةٌ ، فَهُوَ مِنْ لَفْظِ الْقُوبِ لِأَنَّهَا تَقُوبُ
عَنْهُ ، أَيْ تَقَشِّرُ قَالَ الْمَكْمِيتُ يَصِفُ النِّسَاءَ :

لَهْنٌ وَلِلْمَشِيْبِ وَمَنْ عَالَاهُ مِنْ الْأَمْثَالِ قَابِيَةٌ وَقُوبٌ^(١)

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ : فَكَانَتْ قَابِيَةً قُوبٍ^(٢) عَامِهَا ، بِمَعْنَى : الْعُمَرَاءُ فِي أَشْهُرِ

الْحِجْجِ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ قُبَاءَ اسْمٍ بَثْرٍ عُرِفَتْ الْقَرْيَةُ بِهَا .

سالم مولى أبي حذيفة

فصل : وذكر سالم مولى أبي حذيفة الذي كان أبو حذيفة قد تبناه
كما تبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا ، وكان سائبةً أُمِّيَّةً : لِأَوْلَادِهِ
عَلَيْهِ لِأَحَدٍ ، وَذَكَرَ الْمَرْأَةَ الَّتِي أَعْتَمَقَتْهُ سَائِبَةٌ ، وَهِيَ نَيْبِيتَةُ بِنْتِ يَعَارَ ، وَقَدْ قِيلَ
فِي اسْمِهَا بِشَيْئَةٍ ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ ، وَذَكَرَ عَنِ الرَّهْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِيهَا : بِنْتُ
تَعَارَ^(٣) ، وَقَالَ ابْنُ شَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ : اسْمُهَا سَلْمَى [وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ : يُقَالُ لَهَا : لَيْلَةٌ]
وَيُقَالُ فِي اسْمِهَا أَيْضًا : عَمْرَةٌ ، وَقَدْ أَبْطَلَ التَّسْيِيبَ فِي الْعِتْقِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ،
وَجَعَلُوا الْوَلَاءَ لِكُلِّ مَنْ أَعْتَقَ أَخْذًا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ
وَحَلَّاهُ عَلَى الْعَمُومِ ، وَلَمْ يَرَوْا أَيْضًا عَنْ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : لِاسَائِبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ،

(١) رَوَاهُ الْإِسَانُ فِي مَادَّةِ قُوبٍ وَلَمْ يَرَوْهُ فِي قُبُو . وَفِيهِ : قَابِيَةٌ وَقُوبٌ . .
مِثْلُ هَرَبِ النِّسَاءِ مِنَ الشَّيْخِ بِهَرَبِ الْقُوبِ - وَهُوَ الْفَرْخُ - مِنَ الْقَابِيَةِ ، وَهِيَ
الْبَيْضَةُ ، فَقَالَ : لِأَنَّ رَجْعَ الْحَسَنَاءِ إِلَى الشَّيْخِ كَمَا لَا يَرْجِعُ الْفَرْخُ إِلَى الْبَيْضَةِ ،
(٢) فِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : فَكَانَتْ قَابِيَةً قُوبٍ عَامِهَا ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِمَاتِقِهِ
الْإِسَانُ عَنْهُ .

(٣) وَقِيلَ : فَاطِمَةُ بِنْتُ يَعَارَ ، وَفِي اسْمِ سَالِمٍ خِلَافٌ .

ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه ، فكان للتسيب والعنق عنده حكمان مختلفان ، وسالم هذا هو الذي أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَهْلَةَ بنت سُهَيْل أن ترضعه ليجرُمَ عليها ، فأرضعته وهوود ذو الحية (١) :

فإن قيل : كيف جازله أن ينظر إلى ثديها ، فقد روى في ذلك أنها حلبت له في مِسْعَط (٢) وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

(١) عند مسلم من طريق القاسم عن عائشة أن سالما كان مع أبي حذيفة ، فأتت سهلة بنت سهيل بن عمرو رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقالت : إن سالما بلغ ما يبلغ الرجال ، وأنه يدخل على ، وأظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال : أرضعته تحرمي عليه ، ورواه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة : وأخرجه البخاري من طريق الليث عن الزهري موصولا . لكن أيبصدق حكم الرضاة على من هو في مثل سنه ، والقرآن يقول : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاة) ويخبر أن حمل الطفل وفصاله ثلاثون شهرا ؟ فهل يمكن أن يسمى رضيعا رجل في مثل سن أبي حذيفة وله حية ؟ هذا وقد روى البخاري ومسلم والنسائي والترمذي من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رفعه خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل . وكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخته فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما أنزل الله : (ادعوم لأبائهم) رد كل أحد تبني ابنا من أولئك إلى أبيه . ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه . أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة بهذا ، وفيه قصة إرضاعه .

(٢) ويحكى أيضاً بضم الميم والعين وسكون السين وهو آنية السعوط تعليق على منازل المهاجرين : يقول الحشني عن خباب مولى عتبة أي يروي

اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر فيه تمثلاً إبليس - حين أتاهم - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد .

قوله في صورة شيخ جليل يقول : جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أسنَّت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عزَّت وجَلَّت

ويقال منه : جَلَّت يارجل بفتح اللام ، وقياسه جَلَّت لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضمَّ في المضاعف كَلَّه استتقالا له مع التضعيف إلا في كَبَيْت ، فأنْت لبيب ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل^(١) .

أيضاً بحاء مبهمة مضمومة وباء مخففة وقول ابن هشام : ونزل الأعراب . صوابه : كما قال الوقشي : الأعراب ، ص ١٢٥ شرح السيرة لأبي ذر الحشني ولعلمها : الأعراب ، لأن جمع عزب أعزاب ، القاموس .

(١) في مسند قهمة الهجرة ذكر مجاهد بن جبر في خلاصة تذهيب السكال للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ط أولى : مجاهد بن جبر يأسكان الموحد . للخشني وفي بعض نسخ السيرة : جبير ، وخبير ، ويقول الخشني والصحيح : جبير ص ١٢٦ . وفي اللسان عن لبيب وقد لبيت - يضم الباء الأولى - ألْب - بفتح اللام - ولبيت بكسر الباء الأولى تلب بفتح اللام . وفي التذهيب حكى : لبيت بالضم ، وهو نادر لا نظير له في المضاعف الحديث . أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء . باب ما قيل في الزلازل والآيات بسنده عن نافع عن ابن عمر قال : قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ، قال : قالوا : وفي نجدنا ، فقال : قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال : قالوا : وفي نجدنا . قال : قال : هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلق قرن الشيطان ،

وقال القاسمي : سقط ذكر النبي « ص » ، من النسخ ، ولا بد منه ، لأن مثله لا يقال بالرأى : وأخرجه البخاري في كتاب الفتن . وقد صرح فيه بذكر النبي « ص » ، وقوله : فأظنه قال في الثالثة : هنالك الزلازل الخ وأخرجه الترمذي . وفي مجمع الروائد . فقال رجل : وفي شرقنا يا رسول الله بدلا من : وفي نجدنا وأنه قال في المرة الثانية : اللهم بارك لنا في شامنا ، وفي يمننا إن من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الكفر ، وبه الداء العضال ، رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له . وأحمد ولفظه أن رسول الله « ص » ، قال اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا مرتين ، فقال رجل وفي مشرقنا يا رسول الله ، فقال رسول الله « ص » ، من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الشرك . . . ويقول الخطابي في بيان المراد من نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها وتهامة . كلها من الغور ، ومكة من تهامة ، أقول . وهمل هذه الأحاديث لا يجوز أخذها على إطلاقها بل لا يجوز مطلقا أن نستعملها أولئك الذين أوغروا في الصدور الأحقاد ، وأرثوا العصبية المقيتة الحمقاء بسببها . فسبوا كل نجد ، وذموا كل عراقي . وما أجل ما يقول العلامة الهندي الشيخ محمد بشير السهسواني « ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد ، فقد عاب جمهور الأمة وسبهم وآذاهم بنغير ما اكتسبوا ، وقد داوول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد كما داوولها بين الناس والعباد . . . قال تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وكم من بلد قد فتحت ، وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس ، وأهل الكتابين ، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن بها أفضل المرسلين ، وسادات المؤمنين ، ص ٤٤ ط صيانة الإنسان . ولو حملنا ما روى علي هوى الحاملين للأحقاد لقلنا عن المدينة بحماقة العصبية إنها دار فتنة فقد ورد في حديث متفق عليه : أنه « ص » ، أشرف على

وإنما قال لهم: إني من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة، لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحدٌ من أهل تهامة لأن هوامم مع محمد، فذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدى، وقد ذكرنا في خبر بُنيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدى أيضاً، حين حكوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الركن: مَنْ يرفعه، فصاح الشيخ النجدى: يا معشر قريش: أقدم ورضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم، فإن صح هذا الخبرُ فَلَغْنِي آخِرُ تَمَثُّلِ نَجْدِيَّ، وذلك أن نجداً منها يطلع قرنُ الشيطانِ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قيل له: وفي نجدنا يا رسول الله؟ قال: هنالك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرنُ الشيطان، فلم يُبارك عليها، كما بَارَكَ على اليمن والشام وغيرها، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق، فقال: إن الفتنَةَ هاهنا من حيث يطلع قرنُ الشيطان، وفي حديث ابن عمر، أنه حين قال هذا الكلام، ووقف عند باب عائشة، ونظر إلى المشرق فقال: وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنه تفهم من الإشارة واضمُّم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن: أيقظوا صواحبَ الحجر، والله أعلم.

وذكر تشاورهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأن بعضهم أشار بأن

أطمح حصن عال أو بناء مرتفع، من أطام المدينة، فقال: هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا. قال فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقوع المطر. فلنحذر هوى الشيطان، وفتنه العصبية ١١.

يُجَبَسُ فِي بَيْتٍ ، وَبَعْضُهُمْ بِإِخْرَاجِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَنَفِيهِ ، وَلَمْ يُسَمِّ قَائِلَ هَذَا الْقَوْلِ ، وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ : الَّذِي أَشَارَ بِجَبَسِهِ هُوَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ ابْنُ هِشَامٍ ، وَالَّذِي أَشَارَ بِإِخْرَاجِهِ وَنَفِيهِ هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ رِبِيعَةُ بْنُ عَمْرٍو ، أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَقَوْلُ أَبِي جَهْلٍ : نَسِيبًا وَسَيْطًا ، هُوَ مِنَ السُّطَّةِ فِي الْعَشِيرَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ تَرْوِيحِهِ خَدِيجَةُ مَعْنَى التَّوَسِيطِ ، وَأَيْنَ يَكُونُ مَدْحًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَى بَابِهِ يَتَطَّلَعُونَ ، فَيُرُونَ عَائِيًا وَعَلَيْهِ بُرْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُظَنُّونَهُ إِيَّاهُ ، فَلَمْ يَزَالُوا قِيَامًا حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ السَّبَبَ الْمَنَاعَ لَمْ مِنْ التَّتَقُّمِ عَلَيْهِ فِي الدَّارِ مَعَ قَصْرِ الْجِدَارِ ، وَأَنَّهُمْ إِذَا جَاءُوا لِقَاتِلِهِ ، فَذَكَرُوا فِي الْخَبَرِ أَنَّهُمْ هُمُومًا بِالْوُلُوجِ عَلَيْهِ ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الدَّارِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَلسَّبَبِ فِي الْعَرَبِ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنَّا أَنَا تَسَوَّرْنَا الْحَيْطَانَ عَلَى بَنَاتِ الْمَمِ ، وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَقَامَهُمْ بِالْبَابِ حَتَّى أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ، ثُمَّ طَمَسَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْهُ حِينَ خَرَجَ ، وَفِي قِرَاءَةِ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ : يَاسَ (١) مِنَ الْفَقْهِ التَّذْكِرَةُ بِقِرَاءَةِ الْخَائِفِينَ لَهَا اقْتِدَاءً بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ رَوَى الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أَسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ فَضْلِ يَاسَ أَنَّهَا إِنْ قَرَأَهَا خَائِفٌ أَمِنَ ، أَوْ جَائِعٌ شَبِعَ أَوْ عَارٍ كَسِيَ ، أَوْ عَاطِسٌ سُقِيَ حَتَّى ذَكَرَ خِلَالَ كَثِيرَةٍ (٢) .

- (١) تقرأ هكذا : ياسين وهي مثل حم د حاميم ، وطه د وطاها ، ، فهى ليست اسما للنبي د ص ، وإنما هي مثل غيرها بما ذكرت من أوائل السور .
(٢) لم يرو هذا أحد من أصحاب الصحيح . ولو أن التلاوة لهذه السورة تعطى

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في ذلك ، وشرح ابن هشام رَبِّبَ الْمُتَمَنُّونَ ،
وأشد قول أبي ذؤيب :

أمن المنونِ ورَبَّيه تنفجع

والمُتَمَنُّونَ يذكر ويؤنَّث ، فمن جعلها عبارةً عن المَنِيَّةِ أو حوادث الدهر
نَأُنَّث ، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذَكَر ، ورَبِّبُ المنون ما يَرَبِّبُكَ من تَمِير
الأحوال فيه ، سُمِّيَتِ الْمُتَمَنُّونَ لِزَعِيهَا مَنَّ الأَشْيَاءِ أَى : قُواهَا ، وقيل : بل
سميت مَنُونًا لقطعها دون الأمل من قولهم : حَبَلٌ مَنِينٌ أَى : مقطوع ، وفي
التنزيل قوله تعالى ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أَى غير مقطوع .

إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أتى بيتَ أبي بكر
في الظَّهيرة : قالت عائشة : وفي البيت أنا وأختي أسماء فقال أخرج من معك ،
فقال أبو بكر : إنما هما بنتاي يارسول الله .

وقال في جامع البخارى : إنما هم أهلك يارسول الله ، وذلك أن عائشة
قد كان أبوها أنكحها منه قبل^(١) ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رومان

كل هذا الذى ذكر لسان باعة القرآن على المقابر أولى الناس فى الدنيا والآخرة
هنا ورخاء وعزة وكرامة . إن التلاوة بلا تدبر لا تبنى شيئاً .

(١) أخرج البخارى بسنده عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل
مخرج النبي دس ، إلى المدينة بثلاث سنين فلبت سنتين ، أو قريباً من ذلك .

بنت عامر بن عويمر ، ويقال في اسم أبيها : رَوَمان بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة ، فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاة ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أَرْيَظِط [الليلي]^(١) ، وأرسل معهم بخمسة أدرم ، فاشترى بها ظفراً بَقْدَيْدٍ ، ثم قدموا مكة فخرجوا بَسْوَدَةَ بنت زَمَّةَ ، وبفاطمة وبأم كلثوم . قالت عائشة : وخرجت أمي معهم ومع طلحة ابن عبّيد الله مصطحبين ، فلما كنا بَقْدَيْدٍ نفر البعير الذي كنت عليه أنا وأمّي : أم رومان في مِحْفَةٍ ، فجعلت أمي تنادي : وَأَبْنَيْتَاهُ وَأَعْرُوسَاهُ !! وفي رواية

ونكح عائشة ، وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وفي الحديث إشكال . وقد ذكر الحافظ في الفتح رفعا لهذا الإشكال إذ قال : إن مراده من قوله في الحديث : فلبث سنتين أو قريبا من ذلك . المراد أنه لم يدخل على أحد من النساء ، ثم دخل على سودة قبل أن يهاجر ، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر ، فكان ذكر سودة سقط على بعض روايته . ويقول الماوردي : الفقهاء يقولون : تزوج عائشة قبل سودة ، والمحدثون يقولون : تزوج سودة قبل عائشة . وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ، ولم يدخل بها ، ودخل بسودة ص ١٧٩ > ٧ فتح الباري .

(١) هكذا ضبطه الحافظ في الفتح . وقال : وقيل بضم الدال وكسر ثانيه مهموز ، وهو ابن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل : من بنى عدى ابن عمرو بن خزاعة . وفي رواية الأمامي عن ابن إسحاق : ابن أريظ ، وعند موسى بن عقبة : أريظة لكن بالطاء وعند ابن سعد : أريظ وعن مالك اسمه : أريظ . وفي شرح السيرة لابن خزيمة أنه الليثي عبد الله بن أريظ

يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلاً يقول - ولا أرى أحداً - ألقى خِطامَه ، فألقيته من يدي ، فقام البعير يستدير به ، كأن إنساناً تحته يمسكه ، حتى هبط البعير من الشَّيْطَةِ ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يبني المسجد وأبياتاله ، فنزلت مع أبي بكر ، ونزلت سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ في بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تَبْنِي بأهلك يا رسول الله ؟ فقال : لولا الصَّدَاق ، قالت : فدفع إليه ثَمَنِي عَشْرَةَ أوقية ، ونَشَأ ، والنَّشَأُ : عشرون درهماً وذكرت الحديث . ورواه ابن أبي الزُّنَاد عن هشام بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عائشة .

لم اشترت الرأفة :

وفي حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راحلتين ، فقدم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحدة ، وهي أفضاهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لي فقال أبو بكر : هو لك . يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله فركبها ، فسئِلَ بعضُ أهل العلم : لم لم يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد آمنَ عليّ في أهلٍ ومالٍ من أبي بكر^(١) ، وقد دفع إليه حين نبى

(١) في رواية للبخاري : إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر . وفي رواية أخرى إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر . وقد قيل : إن الرفع خطأ لأنه اسم إن . وقيل : إن وجه الرفع بتقدير ضمير الشأن أي أنه الجار والمجرور بعده خبر مقدم ، وأبو بكر مبتدأ مؤخر ، أو على أن مجموع السكتية

بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشأ ، فلم يَأب من ذلك فقال المسئول إنما ذلك لتسكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبةً منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة والجهاد على أئم أحوالهما ، وهو قول حسنٌ حدثني بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن اللوان رحمه الله .

ذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام

وذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : أن الناقة التي ابتاعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أبي بكر يومئذ هي : ناقته التي تسمى بالجُدعاء ، وهي غير العَضْبَاء التي جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله — صلى الله عليه وسلم ناقةً صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة ، فقال له رجل : وأنت يومئذ على العَضْبَاء يا رسول الله ، فقال : لا . ابنتي فاطمة تُحشَر على العَضْبَاء ، وأحشَر أنا على البراق ، ويُحشَر هذا على ناقةٍ من نُوق

اسم فلا يعرب ما وقع فيها من الاداة أو إن بمعنى نعم ، أو إن من زائدة على رأى الكسائي . وأمن أفعل تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل ، بمعنى أن أبذل الناس لنفسه وماله . لآمن المنة التي تفسد الصنيعة ، ولكن يشرحه الداودي على أنه من المنة وتقديره لو كان يتجه لاحد الامتنان على نبي الله ، لتوجه له . وفي رواية ابن عباس : ليس أحد من الناس آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر . ووجود من باعتبارها غير زائدة يفيد أن لغيره مشاركة ما في الأفضلية ، ولكنه المقدم . ويؤيد هذا ما وراه الترمذي : وما لاحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئنه الله بها يوم القيامة ، وهذا يدل على ثبوت منة للغير ، إلا أن لأبي بكر رجحانا .

الجنة وأشار إلى بلال^(١).

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن
سُوَيْد بن عَمِير ، وعبد الحميد مجهول عندهم .

وفي مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على العُضْبَاء ، وليست بالجدعاء ، فهذا من قول أنس : إنها غير الجدعاء ، وهو
الصحيح ، لأنها غُنِمَتْ ، وأخذ صاحبها العقيلي بالمدينة ، فقال : بم أخذتني يا محمد ،
وأخذت سابقة الحاج ، يعنى : العُضْبَاء ، فقال : أخذتك بجريرة حُلْفَانِكَ .

بطء الفرح من أبي بكر :

وذكر ابن إسحاق في قول عائشة - رضى الله عنها - ما كنت أرى أحداً
يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح . قالت ذلك لاصفر
سنها ، وأنها لم تسكن علمت بذلك قبل ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى ،

(١) الروايات الصحيحة في كتب السنة المعتبرة تخالف ما ذكرنا عن هذا
النوع من الحشر . هذا وقد ذكر الواقدي أن الناقة التي أخذها رسول الله وص ،
هي القصواء ، وأنها كانت من نعم بنى قشير . ويذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء ،
وأنها من إبل بنى الحريش وكذلك روى ابن حبان من طريق هشام عن أبيه .
هذا وما رواه ابن إسحاق عن الهجرة عن لايتهم عن عروة قد ورد في البخارى .
ما هو قريب منه . ولم يرد في البخارى وغيره قصة الندوة . ولارمى التراب
في الوجوه . ورواية البخارى هنا هي الرواية التي تسكن إليها النفس ، ولا يتوجه
بها سؤال لماذا لم يقتحم الراغبون في قتله عليه الباب ؟ ، وليس فيها خرافة تشكل
الشیطان بصورة شيخ نجدى .

فأخذته استحسانا له ، فقال الطائي يصف السحاب :

دُهمٌ إذا وَكَّفتْ في رَوْضه طَافَتْ عيونُ أزهارِها تبكي من الفرح-

وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لها صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

وقال بعض المُحدِّثين :

وَرَدَ الكِتابُ من الحبيبُ بأنه سيزورني فاستمبرت أجفاني

غلب السرور على حتى إنه من فرط ما قد سررتني أبكاني

يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً تَبْكِينَ في فَرَحٍ وفي أحران

مكة والمدينة :

فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحزورة^(١) ،
ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأحبُّ أرضِ الله إليّ ، وإنك لأحبُّ أرضِ الله
إليّ الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت^(٢) . برويه الزُّهريُّ عن أبي سلمة .

(١) الحزورة كانت سوق مكة ، وأدخلت في المسجد لما زيد ، وباب
الحزورة معروف من أبواب المسجد الحرام . وعن ابن الأثير في النهاية أنها موضع
بمكة عند باب الخياطين ، وهو بوزن قسورة . وعن الشافعي : الناس يشددون
الحزورة ، والحديبية ، وهما مخففتان .

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح
وأخرجه أبو حاتم بن حبان في التتقاسيم والأنواع ، وسعيد بن منصور في سننه
وذكره رزين عن الموطأ ، ولكنه ليس في موطأ يحيى بن يحيى ، وأخرجه أحمد
في المسند

عن عبد الله بن عدي بن الحمراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهو من أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعاً : إن صلاة في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه^(١) فإذا كانت الأعمال تبعاً للصلاة ، فكل حسنة تعمل في الحرام ، فهي بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوصاً من طريق ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنات فيه بمائة ألف حسنة [قال عطاء : ولا أحسب السيئة إلا مثلها] أسنده البزار^(٢) .

حديث الغار

وهو غار في جبل ثور ، وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة ، وأنها حرام ما بين غير إلى ثور ، وهو وهم في الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين غير إلى كذا ، كأن الحدث قد نسي اسم المكان ، فكفى عنه بكذا^(٣) .

- (١) في رواية لابن ماجه ، والعدد مختلف في روايات الحديث المختلفة .
- (٢) لا يتعلق ثواب الحج بمشي أو ركوب وإنما يتعلق بما وقر في القلب المؤمن . وهو يأتي بأركانه ، فكم من رجل حج ماشياً ، ولم ينل غير مشقة مشيه ، وكم من رجل حج راكباً له بكل نامة حسنة وحسنات .
- (٣) الحديث أخرجه الشيخان ، وقد رواه مسلم بلفظ : المدينة حرم ما بين غير إلى ثور ، والبخاري بلفظ : المدينة حرم ما بين غير إلى كذا . وأبو داود

بلفظ : المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور . . وعائر جبل كبير مشهور في قبلة
المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة وقيل غير ذلك . وأما ثور فليس
المقصود به جبل ثور الذى هو من جبال مكة ، وإنما هو جبل صغير خلف أحد
وقد استشكل العلماء الحديث ظنا منهم أنه ليس بالمدينة ثور ، ولهذا ذكر
في أكثر الروايات عند البخارى : من عاير إلى كذا ، وفي بعضها : من عير إلى
كذا ، ولم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم ، فأستقطه ، وترك بعض
الرواة موضع ثور بياضا ، ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه ، وقال المازرى
نقل بعض أهل العلم : أن ذكر ثور هنا ، وهم من الراوى ، لأن ثورا بمكة ،
والصحيح : إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : إن الحديث أصله من
عير إلى أحد . وقد روى الطبرانى الحديث : ما بين عير وأحد حرام حرمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وقال الحازمى : الرواية الصحيحة : ما بين
عير إلى أحد . وقيل إلى ثور ، وليس له معنى . وقال ابن قدامة : يحتمل أن
المراد تحريم قدر ما بين ثور وعير اللذين بمكة . . . وقد قال البيهقى : بلغنى عن
أبي عبيد أنه قال في كتاب الجبال : بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له : ثور . ونقل
المجدد في ترجمة عير عن نصر أن ثورا جبلا عند أحد . وقد رد الجلال المطرى في تاريخه
على من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خلف أحد من شماليه صغير مدور .

وقال الأتشميرى : وقد استقصينا من أهل المدينة خبر جبل يقال له : ثور
عندهم . فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون
المحدثين من أهل المدينة . وقال أبو العباس بن تيمية : ثور جبل في ناحية أحد ،
وهو غير جبل ثور الذى بمكة . ويقول المحب الطبرى إن المحدث ابن مزروع البصرى
أخبره أن حذاء أحد عن يساره جبلا صغيرا يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر
سؤاله عنه ، لطوائف من العرب العارفين تلك المواضع . . . وتواردت أخبارهم
على تصديق بعضهم بعضاً . أنظر ص ٦٤ - ١٠٠ وفاء الوفا للسهمودى ص ١٣٢٦
و ص ٦٢٠ وما بعدها القرى للمحب الطبرى ص ١٩٤٨ .

(م ١٤ — الروض الأنف ج ٤)

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم- لما دخله وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الرءاة : قال
قاسم : وهي شجرة معروفة ، فحجبت عن الغار أعين الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرءاة : من أغلاثِ الشجر ، وتكون مثل قامة
الإنسان ، ولها خيطان ، وزهر أبيض تُحشى به المخذ ، فيكون كالريش
لخفته ولينه ، لأنه كالتطن أنشد :

ترى وَدَكَ الشَّرِيفِ عَلَى كَلْهَمِهِمْ كَمَثَلِ الرِّاءِ كَبَدَهُ الصَّيِّعُ

وفي مُسنَد البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوتَ فَتَسَجَّتْ عَلَى وَجْهِ الْغَارِ ،
وأرسل حمامتين وَخَشِيبَتَيْنِ ، فوقعتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صدَّ المشركين
عنه ، وأن حمام الحَرَمِ من نسل تَيْنِكَ الحمامتين ، وروى أن أبا بكر
- رضى الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله - قَبَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه
وسلم - ليقيه بنفسه ، رأى فيه جُجْرًا فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ ، لئلا يخرجَ منه ما يؤذى
رسولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم ، وفي الصحيح عن أنس : قال : قال أبو بكر
- رضى الله عنه - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهما في الغار : لو أن أحدَهم
نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظنكُ بانثنين ،
الله ثالثهما^(١) ، وروى أيضا أنهم لما عمي عليهم الأثر جاؤا بالعاقة ، فجعلوا

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ومسلم والترمذى وأحمد .

أورد هنا كلمة موجزة عن الهجرة : قال صلى الله عليه وسلم : رأيت في
المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى إلى أنها البهامة ، أو

هجر ، فإذا هي المدينة ، رواه الشيخان ولكن ورد في البيهقي أنها هجر أو يثرب ، ولم يذكر التمامة . كما أخرج الترمذي والحاكم أنه هجر ، قال : إن الله أوحى إلى : أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك : المدينة . أو البحرين ، أو قنسرين . وزاد الحاكم : فاختار المدينة . وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي في التلخيص . أما في الميزان ، فورد أنه حديث منكر ما أقدم الترمذي على تحسينه ، بل قال : غريب .

متى خرج النبي من مكة : يحزم بعض الرواة ومنهم ابن إسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول وأنه قدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول . أي بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً ، أما الحاكم فيذكر أن خروجه كان بعدها بثلاثة أشهر أو قريباً منها . كما يؤكد تواتر الأخبار أنه خرج يوم الإثنين وأن دخوله المدينة كان يوم الإثنين . وقيل إنه خرج في صفر ، وقدم المدينة في ربيع . وقيل . كان خروجه من مكة يوم الخميس . وقول ابن إسحاق هو المشهور مدة مقامه بمكة : في البخاري عن ابن عباس أنه مكث بها ثلاث عشرة سنة . وفي مسلم وعن ابن عباس أيضاً خمس عشرة سنة ، وابن حجر يصح رواية البخاري . وعن عروة أنه مكث بمكة عشر سنين ، ورواه أحمد عن ابن عباس والبخاري في باب الوفاة عنه وعن عائشة أيضاً . وقد ورد في بعض نسخ مسلم بيت أبي قيس صرمة :

ثوى في قریش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقي صديقاً موافقاً
وهذا يخالف ذلك .

العنكبوت والحمامتان والشجرة : لم يرد لها ذكر فيما روى من حديث صحيح ولهذا لم ترد في واحد من الكتب الستة وتدبر هذه الآية الكريمة (إلا تنصروه ، فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثمانى اثنين ، إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بمحمود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) أنها حامة أو عنكبوت ، أو شجرة ، أم هنا سكينته وجنود لم يروا الآية الكبرى هنا هي أن الله صرف قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، . . تدبرها جيداً

يَقْفُونَ الأثر ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أنبَت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعند مارأي أبو بكر رضى الله عنه الفأفة اشتد حزنه

القاصون الأثر أولو خبرة ودراية تامة بقص الأثر ، ولقد أدت بهم الأدلة إلى المثول أمام باب الغار ، ويشعر بهم النبي د ص ، وأبو بكر . ويقول أبو بكر لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . وتدبر قوله تحت قدميه لترى أنهم كانوا قايدين خطوة أو نصفها من باب الغار . . . ويقول الرسول د ص ، مجيباً صاحبه مذكراً بحفظ الله سبحانه : ما ظنك يا أبا بكر باثنين ، الله ثالثهما . كما روى البخارى - وتدبر مع الحديث قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) . هذا هو القهر الأعظم الذى لا يغلبه قهر آخر ، ولا تقف أمام سلطانه الأعظم قوى ولا قدر فلماذا نصرف القلب عن تدبر جلال الآية الكبرى هنا من صرف الله عنه قلوبهم وأعينهم وأسماعهم وإحساساتهم ، إلى رواية راهية تصور حماة وعنكبوتنا . سل نفسك . . كيف لم يبصروه والواقع المحسوس الملموس المشهود يؤكد أنه هنا ؟ لم لم ينظر أحدهم تحت قدميه ، وكل شيء يؤكد أن المنشود العظيم في الغار ؟ والرغبة الملحة في النفس تدفع إلى استنباء الرمل والحصى والصخر والجبل عن منشودهم . والرمل والحصى وكل شيء تحت العين وصوبها يملأ حتى عقل الغيب يفهم هذه الدلالة البينة الواضحة المستمدة من أدلة لا يمكن أن يصرف الإنسان عنها نزعة من شك . الدلالة التى تشبه في وضوحها وضوح أن الواحد نصف الإثنين كانت الدلالة ، وكانت الأدلة حينئذ لا تحتل سوى شيء واحد هو أن محمداً د ص ، في الغار . فلم لم ينظروا ؟ ليست الحمامتان ولا العنكبوت . . إنما هو هذا السلطان الأعظم الذى يعرف القلوب ، ويعرف الأبصار والاسماع عما تريد وتحب وإن كان منها قيد شعرة . إنما هو القهر الإلهى الأكبر والجبروت الأسمى الذى لا يدع لاحد قدرة تقف لحظة أمامه ، وهو جل شأنه يريد ذلك . ولو أن نصاً ثابتاً تحدث عن الحمامتين والعنكبوت ما انصرف عنه الفكر ولا القلم ، فانه قادر سبحانه على أعظم وأعظم .

على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقال : إن قتلتُ فإيما ، أنا رجل واحد ،
وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا تحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لا تحزن ، ولم يقل لا تخف ! لأن
حزنه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً
رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّصَب ، وكونه في ضيقة الغار
مع فرقة الأهل ، ووحشة الغربة ، وكان أرقَّ الناسِ على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأشقَّهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال : نظرت إلى قديمي
رسول الله - صلى الله عليه وسلم في الغار ، وقد تَفَطَّرَ تادماً ، فاستَبَكَيْتُ ،
وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الخفاء والجفوة^(١) ، وأما الخوف فقد
كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه . ما يسكن خوفه ، وقول الله
تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ قال أكثر أهل التفسير : يريد على
أبي بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه^(٢) ، وقوله : ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَمْ تَرَوْهَا ﴾ الهاء في أيده راجعة على النبي ، والجنود : الملائكة أنزلهم عليه في
الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأيدوه ذلك ، وقواه على الصبر [و] قيل أيده

(١) ليس لهذا من سند صحيح . وعند ابن حبان أنهما ركبا حتى أتيا
الغار ، فتواريا .

(٢) يقول ابن كثير في تفسير الآية : « أي تأييده ونصره عليه . أي على
الرسول » ص ، في أشهر القولين . وقيل على أبي بكر ، وروى عن ابن عباس
وغیره ، قالوا : لأن الرسول « ص » لم تزل معه سكينة ، وهذا لا ينافي تجديد
سكينة خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : وأيده بجنود لم تروها ، يقصد ابن كثير
أن عود الضمير في قوله « وأيده » يؤكد عود الضمير على النبي « ص » ، في قوله « عليه »

بمجنود لم تروها ، يعنى : يوم بدر وحنين وغيرها من مشاهدته ، وقد قيل :
الهاء راجعة على النبي عليه السلام في الموضعين جميعاً وأبو بكر تبع له ، فدخل
في حكم السكينة بالمعنى ، وكان في مصحف حفصة^(١) : فأنزل الله سكينته عليهما ،
وقيل : إن حزن أبي بكر كان عند مارأى بعض الكفار يبول عند الفار ،

(١) لا يصح أبداً إطلاق مثل هذه التعبيرات ، فالقرآن الذى نزله الله على
محمد ص ، هو الذى تلاه الآن في المصحف ، وكل حديث يوحى بأن المصحف
فيه نقص يجب رفضه ، واعتباره فرية لعينة . والذين يؤمنون بأن في المصحف
نقصاً كبيراً هم الرافضة ، وقد حاجن أحد قضاة الشيعة في قطر عربى ، فبنت أهل
السنة بأن كتبهم هى التى تروى أن فى القرآن نقصاً ، وذكرنى ببعض ما جاء فى
بعض الأحاديث !!

وأهل السنة بالمعنى الخاص الذين يؤكدون بسلوكهم ومعتقدهم أنهم أهل
السنة لا يمكن أن ينسبوا إلى المصحف هذا الزور ، ولأن بصموه بهذا البهتان .
أما الرافضة ، فإليك مارووه فى كتابهم السكاني للسكيني - وهو يعادل البخارى
عند غيرهم - عن جابر - أى الجمعى - قال : سمعت أبا جعفر يقول : ما ادعى
أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه -
كما أنزله الله - إلا على بن أبى طالب ، والائمة من بعده ، وعن أبى بصير قال :
دخلت على أبى عبد الله . . . إلى أن قال له أبو عبد الله : وإن عندنا لمصحف
فاطمة عليها السلام . . . قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال مصحف فيه مثل قرآنكم
هـ - ثلاث مرات . والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، ص ٥٤ ، ٥٧ من كتاب
السكاني للسكيني ط ١٢٧٨ .

ولقد كان أحبار النصارى من الأسبانيين يحتجون على ابن حزم بدعوى
الرافضة تحريف القرآن ، فكان يقول : إن الرافض ليسوا من المسلمين ،
ص ٢ ص ٧٨ الفصل د وانظر ص ٨ من مقدمة محب الدين الخطيب للمنتقى
للذهبي وهو مختصر منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية .

خاشق أن يكونوا قد رأوها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحزن ، فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا ، والله أعلم^(١) .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر :

فصل : وزعمت الرافضة^(٢) أن في قوله عليه السلام لأبي بكر لا تحزن غصاً من أبي بكر وذمناً له ؛ فإن حزنه ذلك : إن كان طاعةً فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدال : قد قال الله لمحمد عليه السلام : ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يس : ٧٦ وقال : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ آل عمران : ١٧٦ وقال لموسى : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ ﴾ طه : ٢١ وقالت الملائكة للوط . لا تحف ، ولا تحزن ، فإن زعمتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم في وجوب العصمة للإمام المعصوم في زعمكم ؛ فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون بإجماع ، وإنما قوله : لا تحزن ، وقول الله لمحمد : لا يحزنك ،

(١) هذا بعض ما يقال ، والله أعلم بحقيقته ، والمفروض تدبر ما ذكر في القرآن عن النبي ص ، وعن صاحبه ، وهما في النار وكيف أن الكفر الغليظ الكنود ، وتحتم إمرته المال والسلاح والسطوة والقدرة لم تستطع الوصول إلى

من في النار وهي تعربد كالإبليس على بابها ١٤

(٢) هم الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد بن يحيى .

وهذه هي التي رويها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجه (٧)

وقوله لأنبياؤه مثل هذا تسكينٌ للجأشهم^(١) وتبشير لهم وتأنيسٌ على جهة النهي الذي زعموا ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾^(٢) فصلت : ٣٠ وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

ووجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهي عن الفعل لا يقضى كونه المنهياً فيه ، فقد نهى الله نبيه عن أشياء ، ونهى عباده المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء في حال النهي ، لأن فعل النهي فعلٌ مستقبل ، فكذلك قوله : لأبي بكر : لا تحزن ، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبي بكر - رضى الله عنه - ما ادَّعَوْا من الفِضْ ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينه عنه الرسول عليه السلام إلا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت للمعاني بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق ، واتضح الطرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه :

وانتبه أيها العبد المأمور بتدبير كتاب الله تعالى لقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة : ٤٠ كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أما المعنى

(١) الجأش : رواع القاب إذا اضطرت عند الفزع ، ونفس الإنسان جمعه .

سجشوش ، القاموس .

(٢) والآية في حق الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا . فهي في حق خير فئة مؤمنة

فكان معهما بالنصر والإرفاد^(١) والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ، وإذا دُعي ف قيل : يا رسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : يا خليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يُذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقَةَ بن مالك بن جعشم الكِنَاني

ثم المذَلجِيّ أحد بني مُذَاجِجِ بن مُرَّة بن نَمِيمِ بن عَبْدِ مَنَافَةَ بن كِنَافَةَ . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سرافة استقسم بالأزلام ، فخرج السهم الذي يكره ، وهو الذي كان فيه مكتوباً لا تُضَرَّهُ إلى آخر القصة ، وأن قوائم فرسه حين قُربَ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سَاحَتْ في الأرض ، وتبعها عُثَانٌ ، وهو : الدخان وجمعه : عَوَائِنٌ . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لأمه حين رجع بلا شيء ، فقال وكان شاعراً :

أبَا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا	لَأَمْرٍ جَوَادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمِهِ
عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنْ مُحَمَّدًا	رَسُولٌ بَيْرَهَانَ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ ؟!
عَلَيْكَ بَنَكْفُ الْقَوْمِ عَنْهُ ، فَإِنِّي	أَرَى أَمْرَهُ بَوْمًا سَتَبْدُو مَعَالِمَهُ
بِأَمْرٍ يَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ	بِأَنْ جَمِيعَ النَّاسِ طُرًّا يُسَالِمُهُ

(١) الإعانة والإعطاء .

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى ، وسواريه ومنطقته ، وأنه دعا بسراقة ، وكان أربب النذاعين^(١) ، فخلاه حلية كسرى ، وقال له : ارفع يدك ، وقل : الحمد لله الذي سلب هذا كسرى الملك الذي كان يزعم أنه رب الناس وكساها أعرابيا من بني مذليج^(٢) . فقال ذلك سراقة ، وإنما فعلها عمر لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد بشر بها سراقة حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلاد فارس ، ويغتنم مملك كسرى ، فاستبعد ذلك سراقة في نفسه ، وقال : أأكسرى ملك الملوك؟! فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن حليته ستجعل عليه تحميما للوعد ، وإن كان أعرابيا بوالا على عقبه ، ولكن الله يعز بالإسلام أهله ، ويُسبغ على محمد وأمته نعمته وفضله .

وفي السير من رواية يونس شعر لأبي بكر رضى الله عنه في قصة الفار :

قال النبي ولم يزل يُوقرني ونحن في سدف من ظلمة الفار^(٣)

(١) التزيب في الإنسان : كثرة الشعر وطوله .

(٢) في رواية : كسرى بن هرمز . وقصة سراقة في البخارى . ولكن ليس في روايته مسألة السوارين ، وإنما فيها أنه قال بعد أن حدث أفرسه ما حدث والتقى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له : إن قومك قد جعلوا فيك الديبة ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني ، ولم يسألني إلا أن قال : اخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم .

(٣) سدف بفتح السين : الظلمة والليل وسواده ، وبضمها : جمع سدفة :

الظلمة والقطعة من الليل .

لَا تَخْشَ شَيْئًا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا وَقَدْ تَوَكَّلْ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ
وَإِنَّمَا كَيْدُ مَنْ تَخْشَى بَوَادِرَهُ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ كَادَتَهُ لِكْفَارِ
وَاللَّهُ مُهِلْكُمْ طُرًّا بِمَا كَسَبُوا وَجَاعِلُ الْمُنتَهَى مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ
وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهُمْ وَتَارِكُهُمْ إِمَّا غُدُوًّا وَإِمَّا مَدْلُجٌ سَارِي
وَهَاجِرٌ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَنَا قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذُؤُوبٌ عِزٌّ وَأَنْصَارِ
حَتَّى إِذَا لَيْلٌ وَارْتَنَا جَوَانِبُهُ وَسَدَّ مِنْ دُونِ مَنْ تَخْشَى بِاسْتِكَارِ
سَارِ الْأَرْبِيطُ يَهْدِينَا وَأَيُّقُهُ يَنْمَنِينَ بِالْقَرَمِ نَعْبًا تَحْتِ أَكْوَارِ
يَغْسِفْنَ عَرْضَ الثَّنَابِإِ بَعْدَ أَطْوَلِهَا وَكُلَّ سَهْبِ رَقَاقِ الثَّرَابِ مَوَارِ
حَتَّى إِذَا قُلْتُ: قَدْ أَنْجَدَنَ عَارِضَهَا مِنْ مَدْلُجِ فَارِسٍ فِي مَنْصَبِ وَارِ
يُرْدِي بِهِ مُشْرِفَ الْأَفْطَارِ مُعْتَزِمٌ

كَالسَّيِّدِ ذِي اللَّيْبَةِ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
مُفَقَالٌ: كَرُّهُ وَاقْتَلْتُ: إِنْ كَرَّرْتَنَا مِنْ دُونِهَا لِكَ نَصْرُ الْخَالِقِ الْبَارِي
أَنَّ يَخْشَى الْأَرْضَ بِالْأَحْوَى وَفَارِسَهُ

فَانظُرْ إِلَى أَرْبُعٍ فِي الْأَرْضِ غَوَّارِ
فَمِهْمِلَ لِمَا رَأَى أَرْسَاعَ مُقْرَبِهِ قَدْ سَخِنَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُخْفَرْ بِمُحْفَارِ
مُفَقَالٌ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تُطْلِقُوا فَرْسِي وَتَأْخِذُوا مَوْثِقِي فِي نَصْحِ أَسْرَارِ
وَأَصْرِفُ الْخَلَى عَنْكُمْ إِنْ لَقَيْتَهُمْ وَأَنْ أَعَوَّرَ مِنْهُمْ عَيْنَ غَوَّارِ
فَادْعُوا الَّذِي هُوَ عَنْكُمْ كَفَّ عَوَّرَتَنَا يُطْلِقُ جَوَادِي وَأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارِ

فقال قولا رسول الله مُبْتَهَلًا ياربَّ إن كان منه غير إخفَار
فَنَجَّه سَالِمًا مِنْ شَرِّ دَعْوَانَا وَمُنْهَرَهُ مُطْلَقًا مِنْ كَلِمِ آثَارِ
فَأَظْهَرَ اللَّهُ إِذْ يَدْعُو حَوَافِرَهُ وَفَازَ فَارِسُهُ مِنْ هَوْلِ أخطَارِ (١)

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبي بكر حين حُفِيَ عَلَيْهَا ، وَعَلَى مِنْ مَعَهَا أَمْرُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَدْرُوا أَيْنَ تَوَجَّهَ ، حَتَّى آتَى رَجُلٌ مِنَ
الْجَنِّ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ، وَلَا يَرُونَهُ ، فَمَرَّ عَلَى مَكَّةَ وَالنَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ وَهُوَ يَنْشُدُ
هَذِهِ الْآيَاتِ :

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقِينَ حَلَّا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ
هِيَ نَزَلَا بِالْبِرِّ نَمَّ تَرَحَّلًا (٢) فَأَفْلَحَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
لَيْلِينَ بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاهِمٍ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصِدِ
فِيالْقَصَى مَازَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِهِ مِنْ قَمَالٍ لَا يُجَازِي وَسُودِدِ
سَلُوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاهِبِهَا وَإِنَائِهَا فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَالُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ
دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّيْتِ لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةِ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَقَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا بِحَالِ يُرُدُّدَهَا فِي مَصْدَرٍ نَمَّ مَوْرِدِ

(١) فِي الْقَصِيدَةِ صَنْعَةٌ لَا تَدُلُّ عَلَى الْعَصْرِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ . وَلَيْسَ فِيهَا رُوحُ
إِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ . وَلِهَذَا لَمْ تَرَوْ فِي كِتَابِ السَّنَةِ الْمَعْتَبَرَةِ .

(٢) فِي السِّيَرَةِ : تَرُوحًا

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجني ، وماهتف به في مكة قال يجيبه :

لقد خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيُّهم وقد سرَّ من يسرى إليهم ويغتمدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحلَّ على قوم بنور مُجدِّد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفَّهوا عما يتهم هاد بها كل مهتد (١)

(١) قصة أم معبد ضعيفة السند ، وقد أخرجها البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده ، وبعضها في تاريخ الطبري ، انظر ص ٦٦ ، ١٣٠ الخصائص للسيوطي دار الكتب الحديثة وص ٢٨٠ - ٢٨١ الطبري ط دار المعارف .

والقصيدة مروية بروايات مختلفة فنها :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما رحلا بالحق وانتزلا به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فا حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السائح المتجدد
ولم يصرح في رواية البغوي ومن ذكرتهم بعده بذكر الجني وإنما قيل في روايتهم ، فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه ، ولكن غرام الرواة بالجزء جعلهم يفرمون بذكرهم وراء كل شأن عجيب !! رواية البيت في وفاء الوفا وفي الاكتفاء للسكلاعي هكذا :

وهل يستوى ضلال قوم تسكموا عمى وهداة يهتدون يهتد
وفي شرح السيرة للبخشي :

وهل يستوى ضلال قوم تسفَّهوا وشاد به نال الهدى كل مهتدى
وفي المواهب : الشطرة الثانية هكذا : عمى وهداة يهتدون يهتدى .

لقد نزلت منه إلى أهل يثرب ركابٌ هُدَى حلت عليهم بأسمعده
نبي يرى مالا يرى الناسُ حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد^(٢)

(١) وفي رواية أخرى : مسجد .

ولما في حديث أم معبد من أسلوب أدبي ممتاز أحييت نقله وقد ذكر السهيلي باختصار . روى ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده أن رسول الله ص . حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر : عامر ابن فهيرة ، ودليلهما الليثي : عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، ثم تسقى ، وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا ، ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا وكان القوم مرملين مشتين — وبروى : مستنين فنظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هي أجهد من ذلك . قال أتأذنين لي أن أحلبها ، قالت : بأبي أنت وأمي إن رأيت بها فاحلبها ، فدعا بها رسول الله — ص — فسح بيده ضربها ، وسمى الله ودعائها في شاتها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإناء يربض الرط ، فحلب فيه ثجما حتى علاه لبنها — وفي رواية : حتى علت الرغوة ، أو حتى علاه البهاء — ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم — صلى الله عليه وسلم — ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانية بعد بدءه حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ثم بابها — يعنى على الإسلام ، ثم ارتحلوا عنها ، فالبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزرا عجافا يتساوكن هزلى ، لا نقى بهن ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ، والشاة عازب حيال ، ولا حلوب في البيت ؟ ، قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، وقال : ضفيه لي يا أم معبد ، قالت : رأيته رجلا ظاهر الوضأة ، أبلغ الوجه حسن الخلق ، لم تبعه ثملة — أو نحلة — ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، في عينيه دمع ، وفي أشفاره نطف أو غطف — والشك من أبي محمد بن مسلم — وبروى : وطف ، وفي صورته صحل ، وفي عنقه

سطح ، وفي لحيته كشاشة أحور أ كحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، إن صمت ، فعليه الوقار ، وإن تكلم سما ، وعلاه البهاء ، أجل الناس وأباهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ، ولا هذر ، كأن منطقهم خرزات نظمن - أو ، ربعة خرزات نظم تحدرن لا بائن من طول ، ولا تقتمجه عين من قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد .

قال أبو معيد : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، نقلت الحديث من شرح السيرة لأبي ذر الخشني ص ١٢٦ وما بعدها ، مراجعا على ص ٤٦٦ - ١ الخصائص للسيوطي ط دار الكتب الحديثة وص ١٣٩ - ٢ زاد المعاد لابن القيم . إليك شرح أبي ذر لمفردات الحديث : برزة المرأة التي طعنت في السن فهي تبرز للرجال ، ولا تحتجب عنهم ، جلدة : جلزة وصفها بالجزالة . مرملين : أرمل الرجل : إذا نفذ زاده في سفر أو حضر . مشتتين : أي داخلين في زمن الشتاء ، ومن رواه : مستتين ، فمناه : دخلوا في سنة الجذب والقحط . وكسر البيت جانبه ، يقال بكسر الكاف وفنحها . والجهد : المشقة والضعف . تفاجت : أي فتمتحت رجليها للحلب . يربض الرهط : يبالغ في ربهم ويشقلهم حتى يلصقهم بالأرض ، يقال ربضت الدابة وغيرها ، وأربضتها أي جعلتها تلتصق بالأرض ، والرهط : ما بين الثلاثة إلى العشرة . شجا : أي سائلا ، والماء الشجاج : السائل . علاه البهاء : يريق الرغوة ولمعائها أراضوا : كرروا الشرب حتى بالغوا في الري يقال : أراض الوادي : إذا كثرت ماؤه ، واستنقع . وكذلك الحوض ، وفي بعض الروايات : ثم أراضوا عللا بعد نهل . ذكر ذلك ابن قتيبة ، والنهل : الشرب الثاني . غادره : تركه ، ومنه سمى القدير ، لأن السيل غادره ، أي تركه . عجاف : ضعاف . تشاركن هزلا ، أي تساوين في الضعف و (يتساوكن هزلي) : يتمايلن من شدة ضعفهن . غارب : بعيد المرعى . حيال : جمع حائل ، وهي التي لم تحمل ، ولا

حلوب : يعنى : شاة تحلب ، وقد تكون الحلوب واحدا ، وقد يكون جمعا . ظاهر
الوضاءة : الوضاءة : حسن الوجه . ونظافته ، ومنه اشتقاق الوضوء . أبلج
الوجه : مشرق الوجه ، يقال تبليج الصبح إذا أشرق وأنار . لم يمه نحوه : يعنى :
ضعفه وصغره ، وهو من الجسم الناحل ، وهو القليل اللحم . ولم يزر : لم يقصر ،
والصقل والصقلة : جلدة الخاصرة ، تريد : أنه ناعم الجسم ، ضامر الخاصرة ،
وهو من الأوصاف الحسنة . وفي بعض روايات هذا الحديث : لم تدبه شجة . ولم
يزر به صعلة ، فالشجة : عظم البطن ، يقال : بطن أمجل إذا كان عظيما ، والصعلة
صغر الرأس ، ومنه يقال للنعام : صعل . وقسم : الحسن والوضاءة الثابتة .
وقسيم : كأن كل عضو من وجهه أخذ قسمة من الجمال . . الدعج : شدة سواد
العين . . الأشفار : أهداب العين ، فى أشفاره عطف أو غطف ، ويروى : وطف
الوطف : طول شعر أشفار العين ، وقال صاحب كتاب العين : العطف بالعين
المعجمة ، مثل الوطف ، وأما العطف بالعين المهملة ، فلا معنى له هنا ، وقد فسره
بعضهم ، فقال : هو أن تطول أشفار العين حتى تنعطف . صحل : الصحل : البحر ،
يريد : أنه ليس بمحاد الصوت . فى عنقه سطمع : أى : إشراف وطول ، يقال :
عنق سطماء إذا أشرفت وطالت ، فى لحيته كثائة : الكثائة : دقة نبات شعر
اللحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزوجج : دقة شعر الحاجبين مع طولها ،
والقرن : أن يتصل ما بينهما بالشعر علاه البهاء : البهاء هنا : حسن الظاهر . فصل لانور
ولا هذر : الفصل : الكلام البين ، والنزر : الكلام القليل ، والهذر : الكلام
الكثير . وأرادت أن كلامه ليس بقليل ، فينسب إلى الهى ، ولا بكثير فينسب إلى
التريد . لا بائن من طول : طوله ليس بمفرط لا تقتحمه عين : أى : لا تحتقره ،
يقال رأيت فلانا فاقتمتته عيني ، أى : احتقرته أنضرت الثلاثة : أى : أنعم الثلاثة
من النضرة ، وهو النعيم . محفود : محذوم ، والحفدة : الحذمة ، ويقال : حفدت
أرجل : إذا خدمته ، محشود : محفوف به . قال ابن طريف : يقال : حشدت
الرجل إذا أطقت به ، واستشهد بلفظة محشود من هذا الحديث ، ولا معتمد : أى
غير ظالم . أحور أكحل : الحور بياض العين الواضح ، والكحل : سواد أشفار

وإن قال في يومٍ مقالة غائب فتصدُّقه في اليوم أوفى ضحَى الغدِ
لِيَهْنَ أبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدَّهُ بِصَحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يُسْعِدِ

وزاد يونس في روايته أن قريشاً لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا إلى أمِّ معبد، وهي بخيمتها، فقالوا: هل مرَّ بك محمد الذي من حليته كذا، فقالت: لا أدري ما تقولون، وإنما ضافني حالبُ الشاة الحائل، وكانوا أربعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وقد تقدم التعريف به وطرف من ذكر فضائله في هجرة الحبشة، والرابع عبد الله بن أريقط اللثبي ولم يكن إذ ذاك مسلماً، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك، وجاء في حديث أنهم استأجروه، وكان هادياً خريّتا، والخريّت: الماهرُ بالطريق الذي يهتدي بمثل خربت الإبرة، ويقال له: الخوتع أيضاً قال الراجز:

يضل فيها الخوتع المشهر

نسب أم ممبر وزوجها:

وأما أم معبد التي مر بخيمتها، فاسمها: عاتكة بنت خالد إحدى بنى

العين كأنها مكحلة. خرزات: حبات اللؤلؤ ونحوه. النظم: العقد المنظوم. يتحدرون: إذا انفرط العقد في العنق، فأخذت الحبات تنزل واحدة بعد واحدة أربعة: وسط في الطول. وقد وردت عدة أحاديث في صفاته الجسمية متفق عليها بين البخاري ومسلم، فانظرها.

كعب من خُزَاعَةَ ، وهى أخت حُبَيْش بن خالد ، وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حُبَيْش بن خالد سيمأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خُنَيْف بن مُنْقِذ بن رَبِيعَة بن أَضْرَم بن ضُبَيْس بن حرام بن حُبَيْشِيَّة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُزَاعَةَ (١) .
وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، ولا يُعرف اسمه ، وكان منزلُ أمِّ معبد بُقَيْد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى ، وقد رواه ابن قُتَيْبَةَ فى غريب الحديث ، وتَقَصَّى شرح ألفاظه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأمِّ معبد : وكان القومُ مُرْمِلِينَ مُسْنَدِينَ ، فطلبوا لبنًا أو لحماً يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة فى كِسْرِ الخَيْمَةِ خلفها الجُهدُ عن الغنم ، فسألها : هل بها من ابن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أخلبها ، فقالت بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعتقلها ، ومَسَحَ صَرْعَهَا ، فتفاجت ودرت واجترت ، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهْطُ أى : يشبع الجماعة حتى يُرْبِضُوا ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رَوَوْا ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى عَمَلًا بعد نَهْلٍ ، ثم غادره عندها ، وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائبة

(١) نسب أبيهما فى الإصابة : خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة فانظرها بن

أضرم بن خبيس بمجمة ثم مشاة ثم موحدة ثم مهملة ابن حرام الخ .

(٢) أنظر الإصابة ترجمة رقم ١٠٥٠

فلما رأى الابن قال : ماهذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حِيَالٌ ،
ولا حلوبة بالبيت ، فقالت : لا والله ، إلا أنه سرّاً بنا رجلٌ مُبَارَكٌ ، فقال :
صفيه يا أم معبد، فوصفته بما ذكر القُتَيْبِيُّ وغيره في الحديث ، وبما ذكره القُتَيْبِيُّ :
فشرّبوا حتى أراضوا جعله القُتَيْبِيُّ من استراض الوادى : إذا استنقع ومن
الرَّوْضَةِ وهى بَقِيَّةُ الماء فى الحوض وأنشد :

وَرَوْضَةٌ سَقَيْتُ فِيهَا نِضْوِي (١)

ورواه الأَمْرَوِيُّ حتى أَرْضُوا على وزن آمنوا ، أى ضَرَبُوا بأنفسهم إلى
الأرض من الرى ، وفى حديث آخر أن آل أبى مَعْبِدٍ كانوا يؤرخون بذلك ،
اليوم ، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون فعلنا كَيْتَ وَكَيْتَ قبل أن
يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك ، ثم إنها أتت المدينة بعد ذلك
بما شاء الله ، ومعه ابنٌ صغير قد بلغ السَعْيَ فمر بالمدينة على مسجد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم الناس على المِنْبَرِ فانطلق إلى أمه يَشْتَدُّ ،
فقال لها يا أمّ تاءُ إنى رأيت اليوم الرجل المبارك ، فقالت له : يا بنى وَيَحْكُ هو
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم .

(١) فى اللسان : نضوتى وهى أنثى البعير المهزول . قال ابن برى : وأنشد أبو
عمرو فى نوادره وذكر أنه لهُمان السعدى :

وروضة فى الحوض قد سقيتها نضوى وأرض قد أبت طويتها
وأراض الحوض غطى أسفله الماء ، استراض تبطح فيه الماء على وجهه ،
واستراض الوادى استنقع فيه الماء ، قال : وكان الروضة سميت روضة لاستراض
الماء فيها .

طريق الهجرة

قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبدُ الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمّج ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار ، ثم سلك بهما نِزِيَّةَ العرّة ، ثم سلك بهما لِقْفًا .

قال ابن هشام : ويقال : لَقْنَا . قال مَعْقِل بن خُوَيْلِد الهذلي :

تَزِيماً مُخْلِياً من أهل لَقْت الحَيِّ بين أنثة والنَّجَام

قال ابن إسحاق : ثم . أجاز بهما مَدْلِجَةً لَقْف ثم استبطن بهما مَدْلِجَةً مَجَاج - ويقال : مَجَاج ، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرَجِح مَجَاج ،

ومما يُسأل عنه في هذا الحديث أن يقال : هل استمرت تلك القبركة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم ، أم عادت إلى حالها ؟ وفي الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبي ، قال : أنا رأيت تلك الشاة وإنها التأدم أم معبد وجميع صرّمها ، أي : أهل ذلك الماء ، وفي الحديث أيضاً من الغريب في وصف الشاة : قال ما كان فيها بُصْرَةٌ وهي النقطة من اللبن تبصر بالعين .

ثم تبطن بهما مَرَجِح من ذى العَضوين - قال ابن هشام : ويقال : العَضوين -
ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجَدَاحِد ، ثم على الأَجْرَد ، ثم سلك
بهما ذَا سَلَم ، من بطن أعداء مَدَجَلَة تَعِين ، ثم على العَبَايِيد . قال ابن هشام :
ويقال : العَبَايِيد ، ويقال : العَشِيَانَة . يريد : العَبَايِيد .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفَاجَة ، ويقال : القَاخَة ، فيما قال
ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرَج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ،
فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم ، يقال له : أوس بن
حُجْر ، على جمل له - يقال له : ابن الرِّدَاء - إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال
له : مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرَج ، فسلك بهما نَبِيَّة
العائر ، عن يمين رَكُوبَة - ويقال : ننية العائر ، فيما قال ابن هشام - حتى هبط
بهما بطن رِثْم ، ثم قدم بهما قُبَاء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضَّحَاء ، وكادت
الشمس تمتدل .

النزول بقباء

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمَخْرَج رسول الله صلى الله عليه

وسلم من مكة ، وتوَكَّفنا قدومه ، كما نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبننا الشمسُ على الظلالِ فإذا لم نجد ظلالاً دخلنا ، وذلك في أيام حارَّة . حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوَّل من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْبِلة ، هذا جدُّكم قد جاء . قال : نخرجننا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه في مثلِ سنِّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظلُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظَلَّ بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

المنازل التي نزلت بقباء

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكره - على كَلْثُوم بنِ هِذَم ، أخى بنى عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بنى عُبَيْد : ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة . ويقول من يذكر أنه نزل على كَلْثُوم بنِ هِذَم : إنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج من منزل كَلْثُوم بنِ هِذَم جالس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة . وذلك أنه كان عَزْباً لا أهل له ، وكان منزل المَرْأَبِ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن

هنالك يقال: نزل على سعد بن خيثة ، وكان يقال لبنت سعد بن خيثة : بيت العراب . فالله أعلم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالشنح . ويقول قائل : كان . نزله على خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كوثوم بن هدم .

سهيل بن حنيف وامرأة مسلمة

فكان على بن أبي طالب ، وإنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقاء امرأة لزوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطئها شيئاً معه فتأخذه . قال : فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطئك شيئاً لا أدري ماهو ، وأنت امرأة مسلمة لزوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحدى ، فإذا أمسى عدا على أو ثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأتى ذلك من أمر سهل بن حنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثني هذا ، من حديث عليّ رضي الله عنه ، ههنا
ابن سعد بن سهل بن حنيف ، رضي الله عنه .

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، في بني عمرو
ابن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس
مسجده .

ثم أخرج الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه
مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أيّ ذلك كان . فأدركت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في
بطن الوادي ، وادي راثوناء ، فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة .

القبائل تعترضه لينزل عندها

فأتاه عتيبان بن مالك ، وعبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم
ابن عوف ، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ؛ قال :
خلّوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، لناقته : خلّوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت
دار بني بياضة ، تلقاه زياد بن كبيد ، وفرّوة بن عمرو ، في رجال من بني بياضة .
فقالوا : يا رسول الله : هلمّ إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلّوا سبيلها
فإنها مأمورة ، فخلّوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة .
اعترضه سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا :

يارسول الله ، هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، نخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، في رجال من بني الحارث ابن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، نخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني عدى بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو ، لإحدى نسائهم - اعترضه سايط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة ابن أبي خارجة ، في رجال من بني عدى بن النجار ، فقالوا : يارسول الله ، هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، نخلوا سبيلها ، فانطلقت .

مَبْرَكُ النَّاقَةِ بَدَارُ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده . صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مرّ بدّ لَغْلَامِينَ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَهِيَ فِي حِجْرٍ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ ، سَهْلٌ وَسُهَيْلُ ابْنَيْ عَمْرٍو . فَلَمَّا بَرَكَتْ - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا - لَمْ يَنْزَلْ ، وَثَبَتَ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ لَهَا زِيَامَهَا لَا يَتَنَبَّأُ بِهِ ، ثُمَّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَبَرَكَتْ فِيهِ ، ثُمَّ تَحَلَّحَتْ وَرَزَمَتْ وَوَضَعَتْ جِرَانَهَا ، فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ رَحْلَهُ ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، وسأل عن المرء بد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو
بإرسال الله لسهيل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ،
فأخذته مسجدا .

المسجد والمسكن

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبنى مسجدا ، ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون
والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي بفعل لَذَاكَ مَنَّا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يدينونه يقولون :

الاعيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

قال ابن هشام : هذا كلام وايس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عيش إلا عيش

الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار .

عمار والفتنة الباغية

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أتملوه باللبن ، فقال : يا رسول الله ،

قتلوني ، يحملون علي ما لا يحملون . قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم :

.....

فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُضُ وَفْرَتَهُ بِيَدِهِ ، كَانَ رَجُلًا جَعْدًا ،
وهو يقول : ويحَ ابنُ سُمَيَّةَ ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئةُ الباغية .

ارتجاز علي

وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ :

لايستوى من يعمرُ المساجدا يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا
الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يدري : أهو قائله
أم غيره .

مشادة عمار

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظنَّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه إنما يعرض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن
ابن إسحاق ، وقد سمى ابنُ إسحاق الرجل .

الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بعمار

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابنِ سُمَيَّةَ ، والله إنني
للأراني سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفي يده عصا . قال : ففضب

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ما لهم ولعمَّار ، يدعوهم إلى الجنة ،
ويدعونه إلى النار، إن عماراً جِلْدَةٌ ما بين عينيَّ وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل
فلم يُسْتَبَقِ فاجْتَنَبُوهُ .

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام : وذكر سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ عن زكريا ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال :
إن أوَّلَ من بنى مَسْجِدًا عَمَّارُ بن ياسر .

الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب ،
حتى بُنِيَ له مَسْجِدُهُ ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب ،
رحمة الله عليه ورضوانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله
اليزني ، عن أبي رُحْمِ السَّمَاعِي ، قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل عليَّ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، نزل في السُّفْلِ ، وأنا وأمّ أيوب
في العُلُو ، فقلت له : يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن
أكون فوقك ، وتكون تحتي ، فاظَهَرَ أنْتِ فكن في العُلُو ، ونزل نحن
فكن في السُّفْلِ ، فقال : يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا وبمن يعفشاننا ، أن
نكون في سُفْلِ البيت .

.....

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سُفْلِهِ ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبُّ لنا فيه ماء فُقِمتُ أنا وأمَّ أيوبَ بِقَطِيفَةٍ لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نَدَشَفَ بها الماء ، تخوفا أن يَقْطُرَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضله تَيَمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوبَ موضعَ يده ، فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثوماً ، فردّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أرَ ليده فيه أثرًا قال : فحَبَّتُهُ فَرِزَا ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي رددتَ عشاءك ، ولم أرَ فيه موضعَ يدك ، وكنتُ إذا رددته علينا ، تَيَمَّمْتُ أنا وأمَّ أيوبَ موضعَ يدك ، نبتغى بذلك البركة ؛ قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعَبْ أهلُ هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهلُ دورِ مُسَمَّونَ : بنو مضمون من جُحج ؛ وبنو جَحْش بنِ رِثاب ، حلفاء بنى أمية ؛ وبنو الأُبَكَّير ، من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، فإن دُورهم غلَّقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

.....

قصة أبي سفيان مع بني جحش

ولما خرج بنو جحش بن رثاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة ، أخي بني عامر بن لؤي ؛ فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة ؟ قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كاهه أبو أحمد في دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبي سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمرٍ عوافيه ندامته
دارَ ابن عمك بعتمها تقضى بها عنك الغرامه
وحايفكم بالله ربّ الناس مجتهد القسامه
اذهب بها ، اذهب بها طوّقتها طوق الحمامه

انتشار الإسلام ومن بقى على شركه

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدّمها شهر ربيع الأوّل ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُني له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار ، فلم يبق دار من دور

الأَنْصَارَ إِلَّا أَسْلَمَ أَهْلُهَا ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَطْمَةٍ ، وَوَاقِفٍ ، وَوَائِلٍ ، وَأُمِّيَّةٍ ،
وَتَلَكِ أَوْسَ اللَّهِ ، وَهَمَّ حَتَّىٰ مِنَ الْأَوْسِ ، فَانْهَمَّ أَقَامُوا عَلَىٰ شُرَكَاهُمْ .

الخطبة الأولى

وكانت أوّل خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن
أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالم يقل - أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ،
أيها الناس ، فقد مَوَّأَ لأنفسكم تَعَلَّمَنَّ وَاللَّهِ لِيُضْعَقَنَّ أَحَدَكُمْ ، ثُمَّ كَيْدَعَنَّ
غَمَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبِّهِ ، وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِبُهُ
دُونَهُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولِي فَبَلَّغْتُكُمْ ، وَأَتَيْتُكُمْ مَالًا وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكُمْ ؟ فَمَا قَدِمْتُمْ
لِنَفْسِكُمْ ؟ فَلْيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَىٰ شَيْئًا ، ثُمَّ لِيَنْظُرَنَّ قَدَامَهُ فَلَا يَرَىٰ
غَيْرَ جَهَنَّمَ . فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْقَىٰ وَجْهًا مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ مِثْقَلِ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ
لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَإِنَّ بِهَا تُجْزَىٰ الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا ، إِلَىٰ سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ،
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الخطبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس صرّة
أخرى ، فقال : إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضَلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ

وتعالى ، قد أفلح من زَيَّنَه اللهُ في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على مسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أحبُّوا ، ما أحبَّ اللهُ ، أحبُّوا اللهُ من كلِّ قلوبكم ، ولا تَمَلُّوا كلامَ اللهِ وذكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم فإنه من كلِّ ما يخلق اللهُ يختار ويصطفى ، قد سماه اللهُ خيرته من الأعمال ، ومُصطفىه من العباد ، الصالح الحديث ، ومن كلِّ ما أوتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا اللهُ ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حقَّ تقاؤه ، واصدُّقوا اللهُ صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروحِ اللهِ بينكم ، إن اللهُ يفضُّب أن يَنْكُثَ عهْدَه ، والسلام عليكم .

كتاب المودعة لليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشروط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون ، بينهم ، وهم يَفِدُون عَانِيَهُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ : وبنو وَفٍ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تَفِدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفِدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ،

وبنو الحارث على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة تفدى
عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ
مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين
المؤمنين ، وبنو النَجَّار على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة
منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن تَوَف على
رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط
بين المؤمنين ، وبنو النَّبَيْت على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ
طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على رَبِّعَتِهِمْ
يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين
المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِداء
أَوْ عَقْل .

قال ابن هشام : المُفْرَح : المُثْقَل بالدين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم تَبْرَحْ تُؤَدِّي أمانَةً وتحملُ أخرى أفرَحْتَكَ الودائعُ

وأن لا يخالف مؤمنٌ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من
جنى منهم ، أو ابتغى دَسِيعَةً ظُلْم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛
وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان وَلَدٌ أحدهم ؛ ولا يَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمنا في كفر ،
ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجبر عليهم أديانهم ، وإن
المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تَبِعْنَا من يَهُودَ فإن له
النصرَ والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن سَلِمَ المؤمنون

.....
(م ١٦ — الروض الاف ج ٤)

واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازیة غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنین یبیح بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنین المتقین علی أحسن هدی وأقومه ؛ وإنه لا یجیر مشرک مالا لقریش ، ولا نفسا ، ولا یحول دونه علی مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بیئنة فإنه قود به إلا أن یرضی ولی المقتول ، وإن المؤمنین علیه كافة ، ولا یحل لهم إلا قیام علیه ، وإنه لا یحل لمؤمن أقر بما فی هذه الصحیفة ، وآمن بالله والیوم الآخر ، أن ینصر مخرجا ، ولا یؤویه ؛ وأنه من نصره أو آواه فإن علیه لعنة الله وغضبه یوم القیامة ، ولا یؤخذ منه صرف ولا عدل ، ولانکم مهما اختلفتم فیہ من شیء فإن مردّه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد صلی الله علیه وسلم ، وإن الیهود ینفقون مع المؤمنین ماداموا محاربین ، وإن یرود بنی عوف أمة مع المؤمنین ، للیهود دینهم ، والمسلمین دینهم ، موالیهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا یوتغ إلا نفسه ، وأهل بیته ، وإن لیهود بنی النجار مثل ما لیهود بنی عوف ، وإن لیهود بنی الحارث مثل ما لیهود بنی عوف ، وإن لیهود بنی ساعدة مثل ما لیهود بنی عوف ، وإن لیهود بنی جشم مثل ما لیهود بنی عوف ، وإن لیهود بنی الأوس مثل ما لیهود بنی عوف ، وإن لیهود بنی ثعلبة مثل ما لیهود بنی عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا یوتغ إلا نفسه وأهل بیته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبني الشطيبة مثل ما لیهود بنی عوف ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالی ثعلبة كأنفسهم ؛ إن بطانة یهود كأنفسهم ؛ وإنه لا ینخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلی الله علیه وسلم ، وإنه لا ینحجز علی ثار

جُرْح ، وإنه من فَتَكَ فبِنَفْسِهِ فَتَكَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، إِلا مَنْ ظَلَمَ ، وَإِنْ اللهُ عَلَى أُمَّةٍ
هَذَا ، وَإِنْ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ ، وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى
مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ ، وَالْبِرَّ دُونَ
الْإِنِّمِ ، وَإِنْ لَمْ يَأْتُمْ أَمْرٌ بِحَالِيهِ ، وَإِنْ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ ، وَإِنْ الْيَهُودُ يَنْفَقُونَ مَعَ
الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَإِنْ يَتْرَبُ حَرَامَ جَوْفِهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَإِنْ
الْجَارُ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارَّةٍ وَلَا آثِمٍ ، وَإِنْ لَا تُبْجَرُ حُرْمَةُ إِلا بِذَنْ أَهْلِهَا ، وَإِنْ
مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فِسَادَهُ ، فَإِنَّ سَرْدَهُ
إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ اللهُ عَلَى
أَتَقِي مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأُمَّةٍ ، وَإِنْ لَا تُبْجَرُ قَرِيشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا ، وَإِنْ بَيْنَهُمْ
النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَتْرَبُ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صَاحِبٍ يَصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، فَانْتَهُمُ
يَصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، وَإِنْهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَانْتَهُمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ ، عَلَى كُلِّ أَنْاسٍ حَصَّتْهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبَلَهُمْ ،
وَإِنْ يَهُودِ الْأَوْسِ ، وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، مَعَ
الْبِرِّ الْخَصِّ ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

قال ابن هشام : ويقال : مع البرِّ المُحْسِنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

قال ابن إسحاق : وَإِنْ الْبِرُّ دُونَ الْإِنِّمِ ، لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلا عَلَى نَفْسِهِ ،
وَإِنْ اللهُ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأُمَّةٍ ، وَإِنْ لَا يَحْوِلُ هَذَا الْكِتَابُ
دُونَ ظَالِمٍ وَأَثِمٍ ، وَإِنْ مِنْ خَرَجِ آمِنٌ ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ ، إِلا مَنْ ظَلَمَ
أَوْ أَثِمَ ، وَإِنْ اللهُ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

• • • • •

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : تآخَوْا في الله أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي دفكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم سيّد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أَخَوَيْنِ ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أَخَوَيْنِ ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجمفر بن أبي طالب ذو الجناحين ، الطيّار في الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بني سلمة ، أَخَوَيْنِ .

قال ابن هشام : وكان جمفر بن أبي طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ابن أبي قحافة ، وخارجه بن زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أَخَوَيْنِ ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعثمان بن مالك ، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أَخَوَيْنِ ؛ وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بني عبد الأشهل ، أَخَوَيْنِ . وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أَخَوَيْنِ . والزبير

ابن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل ، أخوين .
ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف ، بني زهرة ، أخوين ، وثمان
ابن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بني النجار ، أخوين . وطاحنة بن
عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، أخوين . وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل ، وأبي بن كعب ، أخو بني النجار : أخوين ؛ ومُصعب بن
عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار : أخوين ،
وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعبد بن بشر بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل :
أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بني
عبد عبس ، حليف بني عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن
الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمار بن ياسر : أخوين . وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفاري والمنذر
ابن عمرو ، المعنق لبيوت ، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .
قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جندب
ابن جنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بلتعة ، حليف بني أسد بن
عبد العزى وعويم بن ساعدة ، أخو بني عمرو بن عوف ، أخوين ، وسلمان
الفارسي ، وأبو الدرداء ، عويمر بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ،
أخوين .

قال ابن هشام : عويمر بن عامر ، ويقال : عويمر بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحَةَ ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ، ثم أحدُ الفزَع ، أخوين . فهؤلاء من سُمى لنا ، فمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

بلال يوصى بديوانه لأبى رويحة

فلما دَوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مُجاهداً ، فقال عمرُ لبلال : إلمى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رُوَيْحَةَ ، لا أفارقه أبداً ، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضمَّ إليه ، وضمَّ ديوان الخبشة إلى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خثعم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو أمامة

قال ابن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بن زرارَةَ ، والمسجد بينى ، أخذته الذبحة أو الشبهة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارَةَ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميثُ أبو أمامة ، ليهود ومُنافقوا العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعدُ بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجَّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نَقِيبَهُمْ ، فقالوا له : يا رسول الله ، إن هذا قد كان منَّا حيثُ قد علمتَ ، فأجملُ منَّا رجلاً مكانه يُقيم من أمرنا ما كان يُقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالي ، وأنا بما فيكم ، وأنا نَقِيبُكُمْ ، وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يخصَّ بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجَّار الذي يَعُدُّون على قومهم ، أن كان برسولُ الله صلى الله عليه وسلم نَقِيبَهُمْ .

بئرد في طريق الهجرة :

وذكر أن دليهما سلك بهما عُسْفَان . قال المؤلف رضى الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سُمِّي عُسْفَان لتعسفِ السيول فيه ، وسُئِلَ عن الأبواء^(١) الذي فيه قبرُ آمنَةَ أمِّ النبي صلى الله عليه وسلم : لم سُمِّي الأبواء ؟ فقال : لأن السيول تَدَبَّوْهُ أَى : تحل به ، وبعسفان فيما رَوَى كان مسكن الجُدَمَاء ، ورأيت في بعض المسندات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعسفان وبه الجُدَمَاء فأسرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شيء من العليل يعدى

(١) عسفان : قيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : عسفان

بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : هو قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلاً من مكة ، وهى حد تامة . والأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مائة وثلاثة وعشرون ميلاً ، وقيل : جبل عن

عين آوه وعن المصعد إلى مكة من المدينة الماصد .

فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتي ، لأنه في مسند الحارث بن أبي أسامة .
وقد تقدم اتصال سندي به ، وكنت رأيت قبل في مسند وكيع بن الجراح ،
وليس لي فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلهم سلك بهم أجماع ثنية المرة ، كذا وجدته مخفف
الراء مقيدا ، كأنه مُسَمَّل الهمزة من المرأة .

وذكر آقفاً بفتح اللام مقيدا في قول ابن إسحاق ، وفي رواية ابن هشام :
آقفاً ، واستشهد ابن هشام بقول معقل [بن خويلد] الهذلي :

تَزيماً مُحلياً من أهل لَفْتٍ لِحِيٍّ بَيْنَ أَثَلَّةِ فَالْفَجَامِ (١)
وَأَلْفَيْتَ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ قَالَ : لَفْتٌ بِكَسْرِ اللّامِ أَلْفَيْتَهُ
فِي شَعْرِ مَعْقِلٍ هَذَا فِي أَشْعَارِ هَذَا فِي نَسَخَتِي ، وَهِيَ نَسْخَةٌ صَحِيحَةٌ جَدًّا ،
وَكَذَلِكَ أَلْفَاءُ مَنْ وَثَقْتَهُ وَكَأَفْتَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ لِي فِي شَعْرِ مَعْقِلٍ هَذَا فِي أَشْعَارِ

(١) الزبيج : الغريب والبعيد أو من أمه سبية أو الشريف . والمحلب : الممين
من غير قومك . وقد رواه اللسان في مادة حلب :
صريح حلب من أهل نجد . إلخ .

وفي المراد عن لفت : قيده القاضى عياض على ثلاثة أوجه : بفتح اللام
وسكون الفاء ولفت بالتحريك ، وبكسر اللام وسكون الفاء وهي ثنية بين مكة
والمدينة قيل : هي ثنية جبل قديد وستأني والبيت والنبي بعده في معجم البكري
في مادة لفت ، صريحاً محلياً ، وقد ضبطها بكسر اللام وفتحها فقط مع سكون
الفاء .

هَذَيْلٌ مَكْسُورٌ اللَّامُ فِي نَسْخَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِ الْمَقْرُوءَةِ عَلَى الزِّيَادِيِّ ، ثُمَّ عَلَى
الْأَحْوَالِ ، ثُمَّ قَرَأَتْهَا عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَفِيهَا صَرِيحًا مُخْلِياً ، وَكَذَلِكَ
كَانَ الضَّبْطُ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَدِيمًا ، حَتَّى ضَبَطْتَهُ بِالْفَتْحِ عَنِ الْقَاضِيِ ، وَعَلَى
مَا وَقَعَ فِي غَيْرِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ أَبِي بَجْرٍ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ : لَفْتًا ،
فَقِيده بِكسر اللام كما ذكر أبو بجر وأنشد قبله :

لَعَرْتُكَ مَا خَشِيتُ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا جِبَالَ الْجُوزِ مِنْ بَلَدِ تَهَامِ
صَرِيحًا مُخْلِياً الْبَيْتِ .

وَذَكَرَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي سَلَكَ عَلَيْهَا ، وَذَكَرَ فِيهَا مِجَاجَ بَكْسَرِ الْمِيمِ وَجِيهَيْنِ ،
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ فِيهَا : مِجَاجٌ بِالْفَتْحِ ، وَقَدْ أَلْفَيْتُ شَاهِدًا لِرِوَايَةِ ابْنِ
إِسْحَاقَ فِي لَفْتٍ ، وَفِيهِ ذَكَرَ مِجَاجَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَ الْجِيمِ ، وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ
ابْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ :

لَعَنَّ اللَّهَ بَطْنَ لَفْتٍ مَسِيلاً وَمِجَاحًا وَمَا أَحَبُّ مِجَاحًا
لَفْتٍ نَاقَتِي بِهِ ، وَيَلْفِقُ بِلَدًا مُجْدِبًا وَأَرْضًا شَحَاحًا

هَكَذَا ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَفْتٌ آخَرٌ غَيْرُ لَفْتٍ فِيمَا
قَالَ الْبَكْرِيُّ .

وَذَكَرَ مَرْجِحَ بَقْدِيمِ الْجِيمِ عَلَى الْحَاءِ ، وَذَكَرَ مَدْلُجَةً تَعْنِي (١) بِكسر التاء .

(١) فِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : لِأَنَّهَا هِيَ الْجَدُّ وَهُوَ الْبَرُّ الْجَمِيدَةُ .
الْمَوَاضِعُ مِنَ الْكَلَامِ .

والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فَعِلِل إلا أن يقوم دليل من اشتقاق عنى زيادة التاء ، أو تصح رواية من رواه تُعِين بضم التاء ، فإن صحّت فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت ^(١) و بِقَعْنِ صَخْرَةٍ ، يقال لها : أم عتي عرفت بامرأة كانت تسكن هناك ، فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه ، فدعا عليها فمسخت صخرة ، فهي تلك الصخرة فيما يذكرون .

وذكر الجُدَّاجِدَ بيمين ودالين كأنها جمع جُدُّجِد ، وأحسبها آباراً فنى ، الحديث : أتينا على بئر جُدُّجِد ، قال أبو عبيد : الصواب : بئر جُدَّ أى قديمة ، وقال الْهَرَوِيُّ عن اليزيدى : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال فى النكح كمكم وفى الرّف رَقْرَف .

وذكر العبابيد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هى العبابيد ، كأنها جمع : عُباب من عَبَيْتُ الماء عباً ، فكأنها - والله أعلم - مياه تَعْبُ عُباباً أو تَعْبُ عَباً .

وذكر الفاجّة بفاء وجم ، وقال ابن هشام : هى : الفاجّة بالفتح والحاء ^(٢) .

(١) فى المراد : ضبط تعون : بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة . وفى معجم البلدان روى بفتح أوله كسر هائه وبضم أوله .

(٢) هى - كما قال ابن هشام - فى المراد ، وأنها على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا ، وقيل : موضع بين الجنة وقديد .

قصة أوس بن حجر :

وذكر قدومهم على أوس بن حجر ، وهو أوس بن عبد الله بن حجر
الأسلمى ، وبعضهم يقول فيه : ابن حجر ، وهو قول الدارقطني ، والمعروف ،
ابن حجر بضم الحاء ، وقد تقدم في المبعث ذكر من اسمه حجر^(١) في أنساب
قريش ، ومن يسمى : حُجراً من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر
بكسر الحاء ، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها ، ولا يختلف في أوس بن
ابن حجر أنه بفتحتيين .

وذكر أن أوسا حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جمل له ،
يقال له : ابن الرداء ، وفي رواية بونس بن بكير عن ابن إسحق يقال له :
الرداح ، وفي الخطابي أنه قال لعلامة مسعود ، وهو مسعود بن هنيذة : أسلك
بهم الخارق بالقف ، قال : والصحيح الخارم ، يعني : مخارم الطريق ، وفي
النسوي أن مسعودا هذا قال : فكنت آخذ بهم إخفاء الطريق . وقفه هذا
أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاء الطريق ومخارقه ، وذكر

(١) في الاشتقاق : أوس بن حجر بفتح الحاء والجيم ، وفيه أيضا : د وقد سميت
العرب حجرا وحجرا ، وحجيرا ، ص ٢٠٧ .

وفي القاموس : د حجر بالضم وبضمتيين : والد امرئ القيس وجده الأعلى
وابن ربيعة ، وابن عدى وابن النعمان وابن يزيد صحابيون ، وابن العنيس : تابعي
سوالتهريك والد أوس الصحابي ، ووالد الجاهل الشاعر ، ووالد أنس المحدث ،
وأوهما بالفتح .

الذَّسَوِيُّ فِي حَدِيثِ مَسْعُودِ هَذَا : أَنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُ :
يَحْمَلُنِي عَلَى بَعِيرٍ وَيَبْعَثُ إِلَيْنَا بَرَادًا ، وَدَلِيلٌ يَدُلُّنَا ، وَفِي هَذَا أَنْ أَوْسًا كَانَ يُكْنَى
أَبَا تَمِيمٍ ، وَأَنْ مَسْعُودًا هَذَا قَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَحَفِظَ عَنْهُ حَدِيثًا فِي الْخُمْسِ وَحَدِيثًا فِي صَلَاةِ الْإِمَامِ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ ذَكَرَهُ
الذَّسَوِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي مَسْعُودِ هَذَا : غَلَامٌ قَرَوَةَ الْأَسْلَمِيَّ .
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : قَدْ قِيلَ فِي أَوْسِ هَذَا إِنْ اسْمُهُ تَمِيمٌ ، وَيُكْنَى أَبُو أَوْسٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

وَرَوَى أَنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِمَسْعُودٍ حِينَ انصَرَفَ
إِلَى سَيِّدِهِ مُرْسِيْدِكَ أَنْ يَسِيْمَ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا قَيْدَ الْفَرَسِ ^(٢) ، فَلَمْ تَزَلْ تَلِكُ
سِيْمَتَهُمْ فِي إِبِلِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي شَرْحِ قَصِيْدَةِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ قَوْلِهِ : مُوسِمَةَ الْأَعْضَادِ
أَسْمَاءَ السَّمَاتِ كَالْعِرَاضِ وَالْخَبَاطِ وَالْهَلَالِ ، وَذَكَرْنَا قَيْدَ الْفَرَسِ ، وَأَنَّهُ سِيْمَةٌ
فِي أَعْنَاقِهَا ، وَقَوْلُ الرَّاجِزِ :

(١) قِصَّةُ أَوْسٍ لَمْ يَرَوْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ السَّنَةِ ، فَالَّذِينَ رَوَوْهَا هُمُ
الْبَغَوِيُّ وَابْنُ السَّكَنِ وَابْنُ مَنْدَةَ أَوْ الطَّبْرَانِيُّ . وَقِصَّةُ مَسْعُودِ بْنِ هَنِيْدَةَ عِنْدَ الْحَاكِمِ
فِي الْأَكْلِيلِ . وَاسْمُ أَوْسٍ يَتَرَدَّدُ فِي الْإِصَابَةِ تَمِيمٌ بِنِ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ أَوْ أَوْسِ
الْأَسْلَمِيِّ وَبَيْنَ أَوْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَجْرٍ الْأَسْلَمِيِّ وَيُكْنَى : أَبَا تَمِيمٍ وَرَبَّمَا يَنْسَبُ
إِلَى جَدِّهِ فَقِيلَ : أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ وَفِيهِ عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَبَا بَكْرٍ وَهُمَا مَتَوَجِّهَانِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ بِقَمْحٍ وَاتَّيَبَا بَيْنَ الْجَلْحَفَةِ وَهَرَشِيِّ ، وَهُمَا عَلَى
جَمَلٍ ، فَحَمَلَهُمَا عَلَى لُحْلِ لَهُ مِنْ إِبِلِهِ . وَأَوْسٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَجِ . وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ وَالطَّبْرَانِيُّ :
لَهُ صَحْبَةٌ ، وَلَمْ يَخْرُجْ حَدِيثُهُ .

(٢) صَوْرَةُ هَذِهِ السِّمَةِ : حَلْقَتَانِ بَيْنَهُمَا مَدَّةٌ مُفْرَدَاتُ ابْنِ الْأَثِيرِ وَاللَّسَانِ .
وَذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ أَنَّهَا سِمَةٌ تَتَكَوَّنُ فِي عُنُقِ الْبَعِيرِ عَلَى صَوْرَةِ الْقَيْدِ .

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تَنْجُو إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى وَالْتَبَسَ

مَنْ قَدِمَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ؟

كَانَ قُدُومُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَفِي شَهْرِ أَيْلُولٍ مِنْ شَهْرِ الْعَجَمِ ، وَقَالَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ قَدِمَهَا لِمَنْ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَقَالَ ابْنُ السَّكْبِيِّ : خَرَجَ مِنَ الْغَارِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْهُ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ (١) .

كَلِثُومُ بْنُ الْهَرَمِ :

فَصَل : وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ نَزُولَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى كَلِثُومِ بْنِ الْهَرَمِ ، وَكَلِثُومٌ هَذَا كُنْيَتُهُ أَبُو قَيْسٍ ، وَهُوَ كَلِثُومُ بْنُ الْهَرَمِ ابْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ (٢) ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مَاتَ بَعْدَ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ بَيْسِيرٍ ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بِأَيَّامِ ، وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يُقَالُ لِبَيْتِهِ : بَيْتُ الْعُرْزَابِ - كَذَا رَوَى ، وَصَوَابُهُ : الْأَعْرَابُ ؛ لِأَنَّهُ

(١) فِي الْفَتْحِ : لَيْلَةٌ وَحَوْلَ تَارِيخِ دَخُولِهِ الْمَدِينَةَ يَدُورُ خِلَافَ شَدِيدٍ . انظُرْ ص ٣٥٠ وَمَا بَعْدَهَا > ١ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ لِلزَّرْقَانِيِّ .

(٢) فِي جَهْمَةَ ابْنِ حَزْمٍ يَرِدُ بَعْدَ الْحَارِثِ بْنِ زَيْدٍ مَا يَأْتِي : بَنُو عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ إِخْوَانُ .

جمع عَزَبٍ ، يقال : رجل عَزَبٌ ، وامرأة عَزَبٌ ، وقد قيل : امرأة عَزَبَةٌ
بالتاء (١) .

تأسيس مسجد قباء :

فصل : وذكر تأسيس مسجد قُباة ، وأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسسه لبني عمرو بن عَوْفٍ ، ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبي خَيْثَمَةَ
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجراً
في قبيلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر ،
ثم أخذ الناس في البنيان . في الخطابي عن الشُّمُوسِ بنت النعمان [بن عامر
ابن جمح الأنصارية] قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباة
يأتي بالحجر قد صَهَرَهُ إلى بطنه ، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يُقَلِّه فلا يستطيع
حتى يأمره أن بدعه ويأخذ غيره . يقال : صَهَرَهُ وَأَصْهَرَهُ إذا ألصقه بالشئ ،
ومنه اشتقاق الصَّهْرِ في القرابة (٢) ، وهذا المسجد أول مسجد بنى في الإسلام ،
وفي أهله نزلت ﴿ فيه رجال يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ التوبة : ١٠٨ فهو على هذا
المسجد الذي أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو

(١) في اللسان: رجل عذب وهو عذابة لأهل له ، ونظيره : مطرابة . ومطواعة .
وامرأة عذبة وعذب : لازوج لها . . والجمع أعزاب والعزاب الذين لأزواج
لهم من الرجال والنساء .

(٢) في رواية أخرى : فمصره إلى بطنه : أي أضافه وأماله .

مسجدي هذا ، وفي رواية أخرى قال : وفي الآخر خير كثير ، وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت : « أَمَسَّجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى » ما الظُّهُورَ الَّذِي أَثْنَى اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستنجاء بالحجر ، فقال : هوذا كم قَعَلَيْكُمْوه^(١) وليس بين الحديثين تعارضٌ كلاهما أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار معجزته والبلد الذى هو مهاجرة .

التاريخ العربى :

وفي قوله سبحانه : ﴿ من أول يوم ﴾ وقد علم أنه ليس أول الأيام كلها ، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمرة] فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ ، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذى عز فيه الإسلام ، والذى أمر فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسس المساجد . وَعَبَدَ اللَّهُ آمَنَّا كما يجب^(٢) ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله

(١) ورد هذا في روايات بينها وبين بعضها خلاف في الطبراني وأحمد وابن خزيمة . وقد أخرج عبد الرزاق والبخارى عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس : الذى بنى فيه المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف . ولكن ورد في مسلم وأحمد والترمذى عن أبي سعيد الخدرى أنه مسجد المدينة ، وبهذا جرم الإمام مالك .

(٢) نقل الحافظ في الفتح عبارة السهيلي ، فقال : « وأفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) لأن من

المعلوم أنه ليس أول الايام مطلقا، فتبين أنه اضعيف إلى شيء مضمحل ، وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبي وص، ربه آمنا ، وابتدأ بناء المسجد ، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم ، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى من أول يوم أنه أول أيام التاريخ الإسلامى . كذا قال - يعنى السهيلي ، ويعقب الحافظ على هذا بقوله : « والمتبادر أن معنى قوله من أول يوم أى دخل فيه النبي وص ، وأصحابه المدينة ، والله أعلم . »

ويقول ابن المنير : « كلام السهيلي تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأقدمين ، فإنهم قدروه : من تأسيس أول يوم فسكانه قيل : من أول يوم وقع فيه التأسيس وهذا تقدير تقضيته العربية ، ص ٣٥٣ ج ١ المراهب . وعن أمر التاريخ روى الحاكم فى الإكليل عن الزهرى أن النبي وص ، هو الذى أمر بالتاريخ وهو بقاء . والحديث معضل والمشهور خلافه . وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ومن طريقه الحاكم من طريق الشعبي أن أبا موسى كتب إلى عمر إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم . أرخ بالمبعث ، وبعضهم : بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها أو بالمحرم ، لأنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه ، وذلك سنة سبع عشرة ، وقيل كما روى ابن خيثمة عن ابن سيرين سنة سبع عشرة . وقيل : ست عشرة فى ربيع الأول والذى يفهم من مجموع الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى وقيل : إن أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكاه مغلطاي ، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن يعلى ابن مكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى . ويقول الزرقانى : « ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث ، لأن وقتها لا يتخلو من نزاع من حيث الاختلاف فهما ، ولا بالوفاة النبوية لما يقع فى تذكره من الأسف والتألم على فراقه ص ٢١٤ ج ٧ فتح البارى وص ٣٥٢ ج ١ شرح المواهب وأقول من يتدبر كلمة عمر رضى الله عنه فى وصف الهجرة يعرف لماذا اختاروا التاريخ بالهجرة دون غيره ، وعن التاريخ العربى انظر كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ص ٥ ط الهند . »

سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يورِّخ به الآن، فإن كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية، فهو الظنُّ بأفهامهم، فهم أعلمُ الناسِ بكتاب الله وتأويله، وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح، وإن كان ذلك منهم عن رأيٍ واجتهاد، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل، إذ لا يعقل قول القائل: فعلته أول يوم إلا بإضافةٍ إلى عامٍ معلوم أو شهرٍ معلوم، أو تاريخ معلوم، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القران الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره فقيه معتبر لمن أذَّكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستتبصر والحمد لله.

من ورواها على الزمان:

وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بعضُ النحاة: من تأسيس أول يوم، فراراً من دخول من على الزمان، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم، بإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً، ومن تدخل على الزمان، وغيره، ففي التنزيل ﴿من قبل ومن بعد﴾ والقيل والتبذ زمان، وفي الحديث: مامن دابة إلا وهي مُصَيِّخَةٌ^(١) يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب، وفي شعر النابغة [في وصف سيوف]:

(١) يروى: مسيخة أى مصغية .

تُورثُ من أزمانٍ يومِ حلِمةٍ إلى اليومِ قد جُرِّبَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٢)

(١) جاء في معنى اللبيب عن من ما يأتي تأتي على خمسة عشر وجها أحدها : ابتداء الغاية ، وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان نحو : من المسجد الحرام . إنه من سليمان قال الكوفيون والآخرس والمبرد وابن درستويه : وفي الزمان أيضا بدليل : من أول يوم ، وفي الحديث : فطرننا من الجمعة إلى الجمعة . وقال النابغة :

تخبرن من أزمان يوم حلِمةٍ إلى اليومِ قد جربن كل التجارب
وقيل : التقدير من مضى أزمان يوم حلِمةٍ ، ومن تأسيس أول يوم ، ورده السبيلي بأنه لو قيل هكذا لاحتيج إلى تقدير الزمان ، وعلق الأمير في حاشيته على هذا بقوله : و الظاهر أنه لا رد وأنه لا مانع من جملة نفس المضى ، والتأسيس مبدأ كما تجعل الدار مبدأ للخروج ، ولا حاجة لتقدير زمن ، ثم معنى ابتداء الخروج مثلا من الدار أنه أول ما تحقق نشأ منها وكذا ابتداء العلم من زيد في قولك أخذت العلم من زيد ، وليس بلازم أن الخروج مثلا أمر يمتد له مبدأ لما أنه يقال : خرجت من الدار بمجرد مفارقتها لها ، وكذلك الابتداء في إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أي نداء ناشئا من يوم الجمعة ، وأما من أول يوم ، فالمراد بالتأسيس فيه : الوضع والبناء لخصوص وضع الأساس الذي لا يمتد ، وتوقف الرضى في معنى الابتداء في الآيتين ، وقال : الظاهر أنها بمعنى في ، ونياية حروف الجر بعضها عن بعض غير عزيزة ، ثم قال : الظاهر مذهب الكوفيين ، وأنها تأتي للابتداء في الزمان إذ لا مانع من قولك صمت من أول الشهره إلى آخره . ونمت من أول الليل إلى آخره ، وأقول إن من تفيد ابتداء الغاية المكانية باتفاق من البصريين والكوفيين ، بدليل أن الغاية تنتهى بعدها . ويرى الكوفيون والآخرس والمبرد وابن درستويه وبعض البصريين أنها تفيد أيضا ابتداء الغاية الزمانية . والتماهد ما ذكر والحديث المروي في البخارى : فطرننا من الجمعة إلى الجمعة ، وقول بعض العرب الذى رواه الآخرس فى المعانى : من الآن إلى القدر .

[تَقْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْخُبَّاحِبِ]

وبين من الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بدبع قد بيناه في شرح آية الوصية^(١).

والبيت للتأنيب الذي يأتي كما قال من قصيدته التي مدح بها النعمان وأولها :
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب
والرواية المشهورة : تخيرن بدلا من تورثن . والشاهد في البيت قوله : من
أزمان حيث جاءت من هنا لابتداء الغاية أي المسافة في الزمان ، وقد أجاب
البصريون القائلون بأنها لا ابتداء الغاية في المسكان فقط عن هذا بقولهم إن في البيت
حذف مضاف : أي من استقرار زما يوم حليلة ورد عليهم بأن الأصل
عدم الحذف .

ويوم حليلة نسبة إلى حليلة بنت الحارث بن أبي شمر ملك غسان ولحم ،
وكان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا فطيتهم ،
فقالوا ما يوم حليلة بسر . يضرب مثلا في كل أمر متعالم مشهور . وقال المبرد :
هو أشهر أيام العرب . وفي هذا اليوم قتل المنذر ، وقيل قتل في يوم عين أباهر وهو
يوم وقعة بين غسان ولحم أيضا . أنظر بجمع الامثال رقم ٣٨١٤ > ١ السنة
المحمدية والتصريح على التوضيح لابن هشام والأزهري ص ٧ > ٢ ط . مصطفي
محمد ، ص ٢٠٥ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ص ١٩١٤ م
ص ١٣ > ٢ من معنى اللبيب لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد
ابن عبد الله بن هشام ط ٥١٣٢٨ ، .

(١) أنظر معنى منذ ومد في معنى اللبيب تحت المادة . وفي نوادر أبي زيد :
و منذ ومد لا ابتداء الغاية في الزمان ، ومن لا ابتداء الغاية في سائر الأشياء والزمان
وإن انفرد بمنذ ومد ، فالأصل فيه أن تدخل عليه من ، ص ٢١ .

تَحْلَجُ وتَحْلَجُ :

فصل : وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون : هَلُمُّ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ، فيقول : خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ حَتَّى بَرَكَتْ بِمَوْضِعِ مَسْجِدِهِ ، وَقَالَ تَحَلَّجْتُ وَرَزَمْتُ وَأَلَقْتُ بِحِرَابِهَا أَيْ : بِعَنْقِهَا ، وَفَسَّرَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ عَلَى تَحْلَجَ أَيْ : لَزِمَ مَكَانَهُ . وَلَمْ يَبْرَحْ ، وَأَنْشَدَ :

أَنَاسٌ إِذَا قِيلَ انْفِرُوا قَدِ انْتَبَهْتُمْ أَقَامُوا عَلَى أُنْقَالِهِمْ وَتَلَحَّجُوا

قال : وأما تَحْلَجُ بتقديم الحاء على اللام فمعناه : زال عن موضعه ، وهذا الذي قاله قوى من جهة الاشتقاق ، فإن التَّلَحُّجُ يشبه أن يكون من لِحَّتْ عَيْنُهُ : إِذَا التَّصَقَّتْ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي لِحًّا (١) .

(١) في اللسان لِحَّتْ عَيْنُهُ تَلَحُّجٌ لِحْحًا بِإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَحْرَافِ الَّتِي أُخْرِجَتْ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنْبِةً عَلَى أَصْلِهَا وَدَلِيلًا عَلَى أَوْلِيَّةِ حَالِهَا ، وَالْإِدْغَامِ لُغَةً ، وَفِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ : دَكَلٌ مَا كَانَ عَلَى فَعَلَتْ سَا كَسَنَةَ النَّاءِ مِنْ ذَوَاتِ التَّضْعِيفِ ، فَهُوَ مَدْغَمٌ نَحْوُ : صَمَتِ الْمَرْأَةُ وَأَشْبَاهَهُ إِلَّا أَحْرَفًا جَاءَتْ نَوَادِرُ فِي إِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَهِيَ : لِحَّتْ عَيْنُهُ : إِذَا التَّصَقَّتْ ، وَمِنْهُ قِيلَ : هُوَ ابْنُ عَمِّي لِحًّا ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لِحْ وَلِحْ . وَقَدْ مَشَشَتْ الدَّابَّةُ وَصَكَّكَتْ ، وَقَدْ ضَبَّ بِلَدِّ : إِذَا كَثُرَ ضَبَابُهُ ، وَقَدْ أَلَّ السَّقَامُ : إِذَا تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ ، وَقَدْ قَطَطَ شَعْرُهُ ، ص ٢٤٢ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ ط الْمَعَارِفِ وَفِي اللِّسَانِ : وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لِحْ فِي التَّنْكِيرِ بِالسَّكْرَةِ لِأَنَّهُ نَعَتْ لِلْعَمِّ ، وَابْنُ عَمِّي لِحًّا فِي الْمَعْرِفَةِ أَيْ : لِأَزَقِ النَّسَبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَنُصِبَ لِحًّا عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ مَعْرِفَةٌ ، وَالْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمْعُ وَالْمَوْثُوتُ فِي هَذَا سِوَاهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ . وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ : هُمَا ابْنَا عَمِّ لِحْ وَهُمَا ابْنَا خَالِ ، وَلَا يُقَالُ : هُمَا ابْنَا خَالَ لِحًّا ، وَلَا ابْنَا عَمَّةَ لِحًّا لِأَنَّهُمَا

وأما التَّحْلُجْلُ : فاشتقاقه من الحُلِّ والآنحلال بَيِّن ، لأنه انفِكَكُ شَيْءٌ من شَيْءٍ ، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحاق : تَحْلَجَلَتْ بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبا من تَلَحَّجَلَتْ ، فيكون معناه: لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذي فسره ابن قتيبة في تَلَحَّجَلَتْ .

وأما قوله : ورَزَمَتْ فيقال : رَزَمَتِ الناقة رُزوماً إذا أقامت من السكَّال ونُوقَ رَزَمِي ، وأما أُرَزَمَتْ بالألف ، فعناه : رَغَتْ ، ورجعت في رُعَايَها ، ويقال منه : أُرَزَمَ الرعدُ ، وأُرَزَمَتِ الريحُ قاله صاحب العين ، وفي غير هذه السيرة : أنها لما أَلَقَتْ بِجِرَانِها في دار بني النجار جعلَ رَجُلٌ من بني سَلَمَةَ ، وهو جَبَّارُ بنِ صَخْرٍ يَنْخُسُها رجاءً أن تقومَ فَتَبْرُكُ في دارِ بني سَلَمَةَ ، فلم تفعل .

المرير وصامباه :

وقوله كان المسجد مرّ بدأ . المرْبُدُّ والجُرِينُ [والجُرْنُ والمِجْرُنُ] والمِسْطَحُ^(١) وهو بالفارسية : مشطاح والجوخار والتبِيدَرُ والأندَرُ لغاتٌ بمعنى واحد للموضع الذي يُجْعَلُ فيه الزرع والتمرُّ للتَّبْيِيسِ ، وأنشد أبو حنيفة في المِسْطَحِ [التميم بن مُقْبِل] :

مفترقان ، إذ هما رجل وامرأة ، وإذا لم يكن ابن العم لحا ، وكان رجلا من العشيبة قلت : هو ابن عم السكلاة ، وابن عم كلاله ، وهذا البيت الذي أشده بن قتيبة هو لابن مقبل وروايته

في اللسان : بحى إذا قيل : اظعنوا . . . الخ .

(١) المسطح تمكسر ميمه وتفتح .

تري الأَمْعَزَ المَحْزُوفِ كَأَنَّهُ مِنْ الحَرِّ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ^(١)

قال : وَالمَحْزُوفُ مِنْ : حَزَوْتُ الشَّيْءَ : إِذَا أَظْهَرْتَهُ . وَالمِسْطَحُ هُوَ بِالفارسية : مِسْطَحٌ ، وَأما المِسْطَحُ الَّذِي ، هُوَ عُوْدُ الخُيَّابِ قَعْرَ بَيْتِهِ .

وذكر أن ذلك المرء بد كان لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمين في حجر معاذ بن عمرو ولم يعرفهما بأكثر من هذا ، وقال موسى بن عقبة : كانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة^(٢) وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار شهد سهيل منهما بدرأ ، والمشاهد كلها ، ومات في خلافة عمر يشهد سهل بدرأ ، وشهد غيرهما ومات قبل أخيه سهيل .

مول بنيان المسجد :

فصل : وذكر بنيان المسجد إلى آخر القصة ، وفي الصحيح أنه قال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم^(٣) [هذا] حين أراد أن يتخذ مسجداً ، [فقالوا : لا ، والله

(١) روايته في اللسان :

إذا الامعز المحزو أض كأنه من الحر في حد الظهر مسطح وقد ذكره اللسان لبيان أن المسطح معناه : حصير يسف من خوص الدوم لا أن المسطح هو البيدر . والامعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة أو المسكان الصلب الكثير الحصى وقد فسر الأصمعي المربد بقوله : كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم ، وبه سمى مربد البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) في رواية أبي ذر وحده : سعد بن زرارة ، وفي رواية الباقرين : أسعد ، وهو الوجه : لأن أخاه سعدا تأخر إسلامه . وحكى الزبير أنها كانا في حجر أبي أيوب .

(٣) في رواية البخاري : ثامنوني حائطكم .

لانطلب ثمنه إلا إلى الله ، وفي رواية أخرى في الصحيح أيضا : « ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذاه مسجدا ، فقالا : بل نهيه لك يا رسول الله ، ثم بناه مسجدا ، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لِقِيهِ ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذي يطلبه ، قال أنس : وكان في موضع المسجد نَحْلٌ وَخَرَبٌ ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فُنْبِشَتْ وبالنَّخْرِ^(١) فَسُوِّيَتْ ، وبالنَّخْلِ فَقُطِعَتْ .

ويُروى في هذا الحديث نَحْلٌ وَخَرَبٌ مكان قوله : وَخَرَبٌ ، وروى عن الشَّفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بنى المسجد يُؤمُّه جبريلُ إلى الكعبة ويقم له القبلة .

(١) بكسر الحاء وفتح الراء ، وقال الخطابي : أكثر الرواة بالفتح ، ثم الكسر ، وحدثناه الخيام بالكسر ثم الفتح ، ثم حكى احتمالات منها : الحرب : بضم أوله وسكون ثانيه ، وهي الخروق المستديرة في الأرض ، والجرف بكسر الجيم وفتح الراء : ما تجرفه السيول وتأكله من الأرض ، والحدب : المرتفع من الأرض بفتح الحاء والبدال . قال : وهذا لائق بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المسكان المحدوب وكذا الذي جرفته السيول ، وأما الخراب ، فيبني ويعمر دون أن يصلح ويسوى . . . ورد الحافظ في الفتح عليه : وما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقى منه ، ويسوى أرضه ، ولا ينبغي الالتفات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة . د ص ٢٠٣ - ٧ فتح الباري ط ١٣٤٨ . وفي بعض الروايات عن معمر عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيها ثمنه وقال غير معمر : أعطاهما عشرة دنانير ، وعند الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه .

وذكر فيه قول الرجل لعمّار : قد سمعتُ ماتقول يابن سُمَيَّة . قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق الرجل ، وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يُذكر أحدٌ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكروه ، فلا ينبغي إذا البحثُ على اسمه .

سمية أم عمار :

وسُمَيَّة : أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجرة الأولى ونهبنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسُمَيَّة أم زياد واحدة وسُمَيَّة أم زياد كانت للحارث بن كلدة المتطبِّب ، والأولى : مَوْلَاةُ لبني مخزوم وهي سُمَيَّة بنت خباط^(١) ، كما تقدم ، وكان أهدى سُمَيَّة إلى الحرث رجلٌ من ملوك اليمن : يقال له أبو جبر ، وذلك أنه عالج من داء كان به فبرئ ، فوهبها له ، وكانت قبل أبي جبر ملك من ملوك الفرس وقد عاياه أبو جبر ، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابن قتيبة^(٢) ، وفي جامع معمر بن راشد أن عمارا كان ينقل في بُنيان المسجد كِبَيْتَيْن ، كِبَيْتَةٌ

(١) في الإصابة: سمية بنت خباط بمجمة مضمومة ، ووحدة ثقيلة ، ويقال : بمشاة - أي ياء - تحتانية ، وعند الفاكهي : سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف كانت سابعة سبعة في الإسلام . وما يذكره السهيلي ذكره أبو عمر . أما سمية أم زياد فذكرها ابن حجر في القسم الثالث ، أو قال : ولم يرد ما يدل على أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها ولدت للحارث بن كلدة التي كان يطؤها بملك اليمن : نافعاً ونفيساً : فانتفى منه لأنه رآه أسود ، ثم وهبها لزوجته ، فزوجتها عبداً رومياً لها ، فولدت له زيادا فأعتقه صفيّة زوجة الحارث .

(٢) في الإصابة أن السكوي اليشكري سمي سمية من الروم ، ثم وهبها للحارث ابن كلدة ووهب ابن قتيبة هذا هو في كتابه المعارف ص ٧٦ ط ١٣٠٠ هـ .

عنه ، وَلَبِنَةٌ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس ينقلون لَبِنَةً واحدة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - للناسِ أجزؤك ، أجزان ، وآخر زادك من الدنيا شربةُ ابن ، وتقتلك الفئمة الباغية فلما قُتِل يوم صِفِّين دخل عمروٌ على معاوية فزعا ، فقال : قُتِل عَمَّارٌ ، فقال معاوية : فماذا ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : تقتله الفئمة الباغية ، فقال معاوية دَحَضْتَ في بَوْلِكَ ^(١) ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه ^(٢) ؟!

(١) زلقت .

(هـ) وروى البيهقي في الدلائل هذا الحديث عن عبد الرحمن السلمي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، يقول لأبيه عمرو : قد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما قال ، قال : أى رجل ؟ قال : عمار بن ياسر ، أما تذكر يوم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فكنا نحمل ابنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين لمخ وهذا يقتضى أن هذا البناء كان فى الخامسة من الهجرة أو بعدها ، لأن عمراً أسلم فى الخامسة ا ا ويقول الإمام ابن تيمية تعليقا على حديث : تقتلك الفئمة الباغية و تسكلم فيه بعضهم ، وبعضنا تأوله على أن الباغى الطالب ، وهذا لاشئ ، وأما السلف كآبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم ، فيقولون لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية ، فإن الله لم يأمر بقتالها ابتداء ، بل أمر إذا اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما ، ثم : إن بغت لإحدهما قوتلت ، ولهذا كان هذا القتال عند أحمد ومالك قتال فتنة ، وأبو حنيفة يقول : لا يجوز قتال البغاة حتى يبدوا بقتال الإمام ، وهؤلاء لم يبدوا ، وفى مكان آخر يقول : و كان على ومعاوية رضى الله عنهما أطلب لكب الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غلبا فيما وقع ، والفتنة إذا نارت عجز الحكاه عن إطفاء نارها ، وكان فى المسكرين مثل الأشتر النخعي ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبى الأعور السلمي ، ونحوهم من المحرضين على القتال . قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار ، وقوم ينفرون عنه ، وقوم ينتصرون لعلى ، وقوم ينفرون عنه ،

إضافة بناء المسجد إلى عمار :

وذكر ابن إسحاق في هذا الموضع الحديث الوارد في عمار ، وهو : أول من بنى لله مسجداً عمارُ بن ياسر ، فيقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُبياء ، لأن عماراً هو الذى أشار على النبی - صلى الله عليه وسلم - ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما أسَّسَه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - استتمَّ بنيانه عمارٌ .

أطوار بناء المسجد :

كذلك ذكر ابن إسحاق في رواية بونس بن بكير عنه : وبنى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضوذة بعضها على بعض ، وجعلت عمده من جذوع

وقتل الفتننة مثل قتال الجاهلية لاتنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم ، ص ٢٦٣ ولقد حاول ملك الروم استغلال معركة صفين ، فشد جيوشا كثيرة وحاول الاقتراب من الحدود الإسلامية ، فكتب إليه معاوية رضى الله عنه : « والله لن لم تفته وترجع إلى بلادك ، لاصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولاخرجنك من جميع بلادك ، ولاضيقن عليك الأرض بما رحبت ، فحين ملك الروم ٨٥ ص ١٨٩ البداية والنهاية لابن كثير . ويقول الاستاذ محب الخطيب : « وكان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغى في حرب صفين لأنه لم يردما ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة ، وضرب معسكره في النخيلة ليسير إلى الشام ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : إنما قتله من أخرجه ، انظر ص ٢٥١ . ص ٢٦٣ من كتاب المنتقى للإمام الذهبي الذى اختصر فيه كتاب منهاج السنة للإمام ابن تيمية .

النخل ، فَتَحَرَّتْ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا كَانَ عُمَانُ بِنَاةً بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ
بِالْقِصَّةِ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ^(١) ، وَجَعَلَ قِبْلَتَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ بَنِي
الْعَبَّاسِ بَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَسْمُوعِيُّ بِالْمَهْدِيِّ ، وَوَسَّعَهُ وَزَادَ فِيهِ ، وَذَلِكَ
فِي سَنَةِ سِتِينَ وَمِائَةٍ ، ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَأْمُونُ بْنُ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ،
وَأَثَقَنَ بِنْيَانَهُ ، وَنَقَشَ فِيهِ : هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ كَرِهَتْ
الإطالةُ بِذِكْرِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنْ أَحْدَاغَيْرَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا أَحْدَثَ فِيهِ عَمَلًا .

بيوت النبي صلى الله عليه وسلم :

وَأَمَّا بِيُوتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَتْ تِسْعَةً ، بِمِضْهَا مِنْ جَرِيدِ مُطَيِّينِ^(٢) بِالطَّيْنِ
وَسَقَفَهَا جَرِيدًا ، وَبَعْضُهَا مِنْ حِجَارَةِ مَرْضُومَةٍ ، بِبَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، مَسْقُفَةٌ
بِالْجَرِيدِ أَيْضًا . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ^(٣) : كُنْتُ أُدْخِلُ بِيُوتَ النَّبِيِّ

(١) القصة : الجص لغة حجازية ، وتقصيص الدار : تجميعها والساج :
ضرب من الشجر يعظم جدا ، ويذهب طولاً وعرضاً ، وله ورق كبير ، يتغطى
الرجل بورقة منه فيقيه المطر ، واحده : ساجة ، والمعجم الوسيط ، ورواية
الصحيحين عن القبلة : « فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا تضادته الحجاره ،
وعضاداتها الباب : خشبتان منصوبتان مشبتان في الحائط على جانبيه ويقال إن
معنى صف للنخل قبلة له : جعلها سوارى في جهة القبلة ، ليسقف عليها ، كافي الصحيح
من أن عمده كانت خشب النخل .

(٢) ينكر بعضهم هذه اللغة ، ويقول ، طانه من باب باع ، فهو مطين
بفتح فكسر .

(٣) ذكر في إلام الساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى أنه : الحسن البصرى
وذكر أنه نقله عن السهيلي . انظر ص ٢٢٤ .

عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدي ، وكانت حُجْرُهُ
- عليه السلام - أْكْسِيَّةً من شعر مربوطة في خشب عَرَّعَر^(١) وفي تاريخ
البيخارى أن بابه - عليه السلام - كان يُقَرَع بالأظافر ، أى لا حَلَقَ له ،
ولما تَوَفَّى أزواجه عليه السلام خُلِطت البيوتُ والحُجَرُ بالمسجد ، وذلك
في زمن عَبدِ الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضَجَّ أهلُ المدينة بالبكاء ، كيوم
وفاته عليه السلام ، وكان سريره حَشَبَاتٍ مشدودةً بالليف ، بيعت زمن بنى
أُمَيَّةَ ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة . وهذا يدل على أن
بيوته عليه السلام إذا أُضيفت إليه ، فهي إضافة مِلْكٍ ، كقوله تعالى :
﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ وإذا أُضيفت إلى أزواجه كقوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي
بُيُوتِكُنَّ ﴾ فأيست إضافة مِلْكٍ ، وذلك أن ما كان مِلْكًا له عليه السلام ،
فليس بِمَوْزُوثٍ عنه^(٢) .

(١) جنس أشجار وجنابت من فصيلة الصنوبريات . فيه أنواع تصلح
للأخراج وللنزين أنواعه كثيرة ، المعجم الوسيط ، وفي القاموس أنه شجر
السرو فارسية .

(٢) وعن المسجد والبيوت روى عن أنوار بنت مالك أم زيد بن ثابت
أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ ، يصلى بالناس
الصلوات الخمس ، ويجمع بهم في مسجد بناه في مرصد سهل وسهيل ابني رافع
ابن أبي عمرو بن عايد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قالت : فأنظر إلى
رسول الله ﷺ ، لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم .

ورقع في رواية عطاف بن خالد عند ابن عايد أنه ﷺ ، صلى فيه - وهو
عريش - اثني عشر يوماً ، ثم بناه ، وسقفه وسيأتي ما يشهد له .
وروى أحمد عن طلحة بن علي قال : جئت إلى النبي ﷺ ، وأصحابه يبنون

المسجد ، قال : فكأنه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت المسحات ، فخلطت بها الطين ، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى ، فقال : دعوا الحنفي والطين ، فإنه من أصنعكم للطين . وفي كتاب رزين أن الصحابة لما كثروا قالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فرفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا في العرض . وكان مربعا .
وفي حديث حصار عثمان يأتي قول عثمان : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو . أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له ، فاتبعته بعشرين ألفا ، أو خمسة وعشرين ألفا ، فأتيت النبي د ص ، فقلت : قد ابتعته ، فقال : جعله في مسجدنا ، وأجره لك ؟ قالوا : اللهم نعم ،

هذا وقد ورد في ذرع المسجد هذا عدة روايات : فهو سبعون ذراعا في ستين أو يزيد ، الذراع المقصود ذراع الآدمى ، ، أو هو مائة ذراع في مائة وأنه مربع ، أو هو : أقل من مائة ، وقيل إنه بناه أولا أقل من مائة في مائة ثم بناه وزاد عليه مثله في الدور ، وليس المراد هنا في هذه الرواية مثله في الأذرع لأنه كان حتى نهاية القرن التاسع الهجرى لا يبلغ مائة وخمسين ذراعا والرواية الأولى بالقبول أنه كان سبعين في ستين .

الصفة : هي — كما قال ابن حجر — مكان في مؤخر المسجد مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ، ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقولون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر . وعن ابن سعد أن أهل الصفة كانوا أناسا فقراء لا منازل لهم . فكانوا ينامون في المسجد لا مأوى لهم غيره ، وقريب من هذا في البخارى .

الزيادات في المسجد : روى البخارى وأبو داود عن نافع أن عبد الله ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه في عهد رسول الله د ص ، باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ، ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره

بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .
زيادة عمر : في الحديث السابق ورد أن عمر زاد فيه ، وقد روى أحمد عن
نافع أن عمر رضى ، زاد في المسجد من الأسطوانة إلى المقصورة ، وقال عمر :
لولا أنى سمعت رسول الله ص ، يقول : ينبغى أن يزيد في المسجد ما زدت في
المسجد شيئاً . وذكر ابن سعد أنه لما كثر المسلمون في عهد عمر رضى الله عنه -
وضاق بهم للمسجد ، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن
عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين . واسكن العباس تصدق بداره ، فقبلها عمر ،
وأدخلها في المسجد - وروى البيهقي نحوه في كتاب الرجعة عن أبي هريرة .
وحسبنا هذا

زيادة عثمان : لما ولي عثمان كلبه العباس أن يزيد في مسجدهم ، وشكوا إليه
صفة يوم الجمعة حتى لأنهم ليصلون في الرحاب . فشاور عثمان أهل الرأي ، فأجمعوا
على أن يهدمه ويزيد فيه وفي البخارى ومسلم عن عبيد الله الخولاني أنه سمع عثمان
عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ص ، إنكم قد أكثرتم ، وإنى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له في
الجنة مثله ، وفي مسلم أنه أراد بناء المسجد ، فسكره الناس ذلك ، وأحبوا أن
يدعه على هيئته .

وقد روى أن عثمان بدأ بهذا في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وأنه
فرغ منه حين دخلت السنة للال المحرم سنة ثلاثين ، أو قبل أن يقتل بأربع سنين
ويروى أن القصة الحص ، كانت تحمل إلى عثمان ، وهو يبنى مسجد رسول الله
ص - من بطن نخل ، وأنه كان يقوم على رجله ، والعمل يعملون فيه ، حتى
تأتى الصلاة ، فيصلي بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام في المسجد . وعن
خارجة بن زيد قال : هدم عثمان بن عفان المسجد ، وزاد في قبلته ، ولم يزد في
شرقيه ، وزاد في غربيه قدر أسطوانه ، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب
النخل والجريد وبيضه بالقصة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه ، فجعلها على قدر

النخل ، وجعل فيه طبقاتا مما يلي المشرق والمغرب ، وزاد فيه إلى الشام
خمسين ذراعا . .

وهناك عدة روايات أخرى بعضها يقارب هذه والآخر يباعدنها

زيادة الوليد بن عبد الملك : نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان رضي
الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضي الله عنهما ، ولا يزيد ولا مروان ولا ابنة
عبد الملك شيئا ، حتى كان الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على
المدينة ، ومكة ، فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال ، وقال له : من باعك ،
فأعطه ثمنه ، ومن أبي فاهدم عليه ، وأعطه المال ، فإن أبي أن يأخذه فأصرفه
إلى الفقراء . وقد روى أن عمر اشترى ما حول المسجد من المشرق والمغرب والشام ،
وأنه أراد ابتياع بيت حفصة رضي الله عنها ، فأرسل إلى رجال من آل عمر ، وانتهى
الامر إلى هدم البيت لإدخاله في المسجد ، وإلى إعطائهم طريقا إلى المسجد تنتهي
إلى الأسطوانة ، مع توسعتها . وكانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفا .

هذا وتجمع أخبار المؤرخين على أن حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
أدخلت في المسجد بأمر الوليد ، ويقول عطاء الخراساني : حضرت كتاب الوليد
يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرأيت يوما كان أكثر با كيا
من ذلك اليوم . قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لو ددت أنهم
تركوها على حالها . ويقول عبد الله بن زيد الهذلي ، أنه رأى بيوت أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم ، حين هدمها عمر كانت باللبن رها حجر من جريد ، مطرود بالطين عدت
تسعة أبيات بمحجراتها . وكانت الحجرات شرق المسجد وقبله ، خارجة من المسجد
مديرة به إلا من الغرب ، وهذا الرأي يخالف ما ذكر السهيلي من أنها أدخلت
في زمن عبد الملك . كما أدخل فيه عمر دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التي
يقال لها : القرايين ويقال إن الوليد طلب من ملك الروم أن يعينه بمال
وفسيفساء ، فبعث إليه بأمال منها ، وبعدد من العمال . قيل كانوا ثمانين : أربعين
من الروم وأربعين من القبط . ، كما قيل إنه بعث إليه بعدة ألوف من الذهب ،
وبأخمال من سلاسل القناديل .

ويقال إن عمر هدمه سنة إحدى وتسعين هـ وأن البناء كان بالحجارة المنقوشة ، وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء وهي ألوان من الخرز يركب في حيطان البيوت والمرمر ، وعمل سقفه بالساج ، وماء الذهب ، وجعل عمود المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ويقال إن عمر لما صار إلى جدار القبلة دعا منسيخة من أهل المدينة من قريش والانصار والعرب والموالي ، فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه حجرا ، فكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين ، وزاد إلى الشام من الأسطوانة المربعة التي في القبر أربع عشرة أسطوانة . ومكث في بنائه ثلاث سنين .

كما روى أن عمل القبط كان مقدم المسجد ، وكانت الروم تعمل ما خرج من المسجد جوانبه ومؤخره ، فقال سعيد بن المسيب عن القبط : عمل هؤلاء أحكم . ويروي أن عثمان مات وليس في المسجد شرفات ولا محراب ، وأن أول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وأنه هو الذي عمل الميازيب التي من الرصاص ، ولكن روى من طريق آخر أن الذي عمل الشرفات هو عبد الواحد بن عبد الله وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة . وعمر توفي سنة ١٠١ ولما احترق المسجد جددت له شرفات سنة ٧٦٧ في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر . أما مناراته وماذنه ، فأحدثها عمر أيضاً ويشهد لهذا مارواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقي أن امرأة من بنى النجار قالت : كانت يذن من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأني بسحر ، فيجلس على البيت ، لينظر إلى الفجر ، فإذا رأى تمطى ، ثم قال : اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن . القبر : حين رزى المسلمون بموت النبي عليه الصلاة والسلام اختلفوا في مكان دفنه ، ثم روى لهم أنه يدفن حيث مات ، فاهتدوا ، وكان أبو عبيدة يضرح — والضرح هو الشق في وسطه القبر — وأبو طلحة يلحد — واللحد : الشق يعمل في جانب القبر ، فيميل عن وسطه — فقال الصحابة : نستخير ربنا ، ونبعث إليهما ، فأبهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما ، فسبق أبو طلحة ، فلحدوا للنبي كما ورد في مسند أحمد وسنن ابن ماجه وغيرهما .

فلما دفن في حجرة السيدة عائشة حيث ماتت قالت ابنته فاطمة : أطابت نفوسكم أن تحشوا على رسول الله وص، التراب ، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك إلا لأننا قهرنا على فعله امثالاً لأمره .

وقد روى البخارى في موضعين من الجنائز ، وفي المغازى ، ومسلم في الصلاة أن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه - أو توفي فيه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . لولا ذلك أبرد قبره غير أنه خشى - أو خشى - أن يتخذ قبره مسجداً ، ولم يجلس أحد على قبره صلى الله عليه وسلم ولم يصل إليه ، ولا عليه ، لأنه قال - كما روى مسلم : لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها أو عليها ، وروى مسلم أنه قال هذا في مرضه الذى مات منه قبل موته بخمس وأنه قال : فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أخشى أن يكون من ذلك ، ولم يرد رجل ولا امرأة ، ولم يعلق عليه فتدليل ولا غيره ، لأن الواقع كان يمنع الرجال من ذلك ، أفكان يستطيع أحد أن يقتحم على عائشة بيتها ؟ ثم إن ابن عباس روى لهم ما يأتى : لعن رسول الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج . ورواه الخمسة إلا ابن ماجه ، كما روى لهم أبو هريرة ما يأتى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يجلس أحدكم على جرة ، فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر ، ولم يخصص قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم يكتب عليه شيء ، لأن جابراً روى لهم : دهن النبي صلى الله عليه وسلم - أن يخصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبني عليه ، رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذى وصححه ، ولفظه : دهنى أن تخصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبني عليها ، وأن توطأ ، وفي لفظ النسائي : دهنى أن يبني على القبر ، أو يزد عليه ، أو يخصص ، أو يكتب عليه .

ولم يستطع أحد أن يقيم له ضرباً ، أو يعلى من قبره ، لأنهم كانوا يعلمون (م ١٨ - الروض الاتق ج ٤) .

ما قاله على لابي البياج الاسدى « أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاتدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته ، رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه . وكان هديهم هذا ، فقد روى مسلم أن فضالة بن عبيد أمر بقبر فسوى ، ثم قال : سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها . ولقد روى ابن سعد فى طبقاته بسنده عن مالك بن أنس : قسم بيت عائشة باثنين : « قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا ، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها ، كما روى أن عمر هو أول من بنى جدارا على بيت النبي « ص » . وورد أن هذا الجدار كان قصيرا ثم بناه عبد الله بن الزبير ، وروى البخارى فى صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه : لما سقط عنهم الحائط - يعنى حائط حجرة النبي « ص » ، فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان أخذوا فى بنائه فقيدت لهم قدم ، ففزعوا ، وظنوا أنها قدم النبي « ص » ، فاجدوا أحدا يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ما هى قدم النبي « ص » ، ما هى إلا قدم عمر ولما أدخل عمر بن عبد العزيز حجرات أزواج النبي « ص » فى المسجد نازله عروة منازلة شديدة كيلا يجعل قبر النبي « ص » فى المسجد ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه ، ولكننه جعل حجرة السيدة عائشة مثلثة الشكل محذرة حتى لا يتأتى لاحد أن يصلى إلى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة . .

ثم جرت ماجدث ، واقترف الناس ما اقترفوا من عبادة للقبر . لهذا يجب العمل على إفراد القبر عن المسجد امتداء بهدى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم - فليس من تكريم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يعبد قبره من دون الله ، أو أن يتمسح به ، أو يستجار به ، أو . . . مما يحاول اقترافه عبدة الفياطين . وما أجل ما قاله الإمام الشوكانى وهو يشرح حديث النهى عن رفع القبور . « ومن رفع القبور الداخلة تحت الحديث دخولا أوليا : القبر والمشاهد المعمورة على القبور . وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبي « ص » فاعل ذلك .. وكفى قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الإسلام

منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار الأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ، ودفع الضر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشهدوا إليها الرجال ، وتمسحوا بها ، واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف لا علماً ، ولا متعلماً ، ولا أميراً ، ولا وزيراً ولا ملسكاً ، وقد توارد إلينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتمدك الولي الفلاني تلعثم وتلسكأ وأبي واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثانی اثنين أو ثالث ثلاثة . فياعلماء الدين ، وبأملوك المسلمين : أى رزه للإسلام أشد من الكفر ١٤

وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ١٤

وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟

وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا ١٤

لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها أضأت ولكن أنت تنفخ في رماد

أفيسمع المسلمون من رجل لا يستطيع أحد أن ينال من علمه وفقهه

وإخلاصه ؟ ؟

وإنه ليروى أن الوليد لما قدم حاجا جعل يطوف في المسجد ، وينظر إليه . ويصيح بعمرها هنا ، ومعه أبان بن عثمان : فلما استفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان ، وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : إنما بفيناه ببيان المساجد وبنيتموه بناء الكنائس ص ٣٧ . السهمودي ١

وصف المسجد في القرن السادس : وقد ورد للمسجد وصف دقيق من كاتب مراكشي عاش في القرن السادس الهجري نقله بنصه عن كتابه والاستبصار

في عجائب الامصار ، : « ومسجد النبي » ص ، مستطيل غير مربع يزيد طوله على عرضه مائة ذراع ، وسماه المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار ، وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فانه أقواس معقودة وجوهها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار والأعمدة التي إلى صحن المسجد منقوشة أقصر من التي عليها سماه المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد منقوشة بشراحيب الساج ، مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك ، ومجنبه المسجد للشرقية فيها ثلاث بلاطات معترضة ، ومجنبته الغربية أربع بلاطات ، ومن مقدم المسجد إلى الصحن أحد عشر قوسا ، وكذلك من جنبته الأخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال - رضى الله عنه - وهو الذي بإزاء قبر النبي » ص إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام ، وهو الذي بإزاء قبر النبي » ص ، إلى باب الرحمة التي بجانب دار السيدة مائة وسبعون ذراعاً ، ص ٢٧ ط ١٩٥٨ نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد .

حجرات أزواج النبي » ص ، : يقول الذهبي في بلبل الروض : لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه بعد ذلك . إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتاج إلى بيت آخر حتى بنى بمائتة في شوال سنة اثنتين ، وكانه عليه السلام بناها في أزمان مختلفة ، ص ٢٢٤ أعلام الساجد .

وفي رواية أنه لما انصرف النبي » ص ، من خيبر وزاد في مسجده البنية الثانية ضرب الحجرات ما بين القبلة إلى الشام ، ولم يضربها غربية ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وكانت لها أبواب في المسجد . وسائر الروايات فهد ما ذكر السهيلي تقر بأن أبواب بيوت زوجات النبي كانت مستورة بالمسوح ، وقال ابن عطاء عن أبيه : وكانت بيوت أزواج النبي » ص ، يقوم الرجل فيمس سقف البيت ، والحجرات سقف عليها المسوح ، وقد وصف عطاء الخراساني حجرات أزواج النبي بأنها كانت من جريد على أبوابها المسوح

من شعر أسود . كما يروى أن أحدهم قال حين هدمت : ليتها تركت حتى يقصر الناس عن البناء ، ويرى الناس ما رضى الله لنبيه ، وخزائن الدنيا بيده . هذا ولفظ الحجرة في هذه الآثار لا يراد به جملة البيت كما في قوله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون : بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت ، وكانت هذه من جريد النخل ، بخلاف الحجر لتي هي المساكن فانها كانت من اللبن ، كما يروى أن بعضهم كانت له حجرة ، وبعضهم لم يكن له حجرة ، وكان بيت فاطمة مع على خلف حجرة عائشة لم يزل حتى أدخله الوليد في المسجد ، وكان بيت عائشة بما يلي الشام ، وكان ذا مصراع واحد . وما يوضح مسمى الحجرة التي قدام البيت ما في سنن أبي داود وغيره عن ابن عمر : قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، فالمخدع أستر من البيت الذي يقعد فيه ، والبيت أستر من الحجرة التي هي أقرب إلى الباب والطريق ، وكانت حجرة عائشة وسودة وحفصة - رضى الله عنهن - لا صفة بالمسجد لأنه بنى بين قبل غيرهن ، وآخر من تزوجها صفية لما فتح خيبر سنة تسع من الهجرة ، وحينئذ اتخذها بيتا ، وكان أبعد عن المسجد من غيره كما يستفاد من حديث ورد في الصحيحين ، وفيه أنه خرج مع صفية من المسجد ليوصلها إلى سكنها ، ولو كان بيتها متصلا بالمسجد لم يفعل .

وحيث دخلت حجرة عائشة في المسجد سد عمر بن عبد العزيز باب الحجرة ، وبنى حائطا آخر عليها غير الحائط القديم . فالواجب - كما بينا من قبل - أن يعود كل شيء إلى مكانه ، وأن يفصل بين القبر والمسجد ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، انظر كتابي الرد على البكرى والرد على الإخناتى للامام ابن تيمية المطبوعين مما سنة ١٣٤٦ هـ ولا سيما من ص ١٨٤ من كتاب الرد على الإخناتى ، وانظر ص ٢٩٢ وما بعدها شرح المواهب اللدنية ، وكتاب وفاة الوفاء - من ص ٢٢٩ إلى ٣٧٩ ط ١٣٢٦ هـ ونيل الأوطار - ص ٨٣ ط عثمان خليفة ١٣٥٧ وكتاب الخصائص للسبوطى ص ٢٩٦ - ٣ بتحقيق فضيلة الشيخ مر اس .

حب حباب :

فصل : وذکر حدیث أم آیوب ، وقولها : انكسر حُبُّ لنا . الحُبُّ
جَرَّةٌ كَبِيرَةٌ ، جَمْعُهُ [أَحَبُّ وَحِبَابٌ] حَبِيبَةٌ مِثْلُ جُجْرٍ وَجِجْرَةٍ [وَأَجْحَارٌ
وَجِجْرٌ] وَكَأَنَّهُ أَخَذَ لَفْظَهُ مِنْ حَبَابِ الْمَاءِ أَوْ مِنْ حَبِيبَةٍ ، وَحَبَابُهُ بِالْأَلْفِ :
تَرَافُعُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّ صَلَاةً جَهِيْزَةً حِينَ تَمُشِي حَبَابُ الْمَاءِ يَتَّبِعُ الحَبَابَا (١)

نشر دار المكتبة الحديثة ، والنصوص التي نقلتها عن الحجرات نقل أكثرها
الإمام ابن تيمية عن كتاب أخبار المدينة لأبي زيد عمر بن شبة النخعي ، وانظر
كتاب القرى للمحب الطبري ص ٦٢٩ ط الحلبي . وأما السير الذي تحدث عنه
السهيلي ، فقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : إنما كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما - أى : جلهأ - خشو : ليف ،
وكذلك رواه الترمذي . وورد أنه نام على حصير أثر في جنبه أحمد وابن ماجه
والترمذي ، والحاكم ، وروى ابن حبان أنه كان لرسول الله ص ، سرير مرمل - بضم
الميم وفتح الراء وتشديد الميم المفتوحة - بالبردي ، وعليه كساء أسود محشو بالبردي
والبردي نبات يعمل منه الحصر . والمعنى : أن قوائم السرير موصولة بمنظارة
بمنسج من نبات البردي . وفي حديث همر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وإذا هو جالس على رمال سرير وفي رواية : على رمال حصير . والرمال :
مارمل أى نسج .

(١) البيت في اللسان في مادة حب غير منسوب إلى أحد وفيه قامت بدلا
من . تمشي ، وفيه الحب : حب الماء وهو تمكسره وهو الحباب . . وقيل حباب
الماء موجه الذي يتبع بمضه بعضا . . وقال الاصمعي : حباب الماء الطرايق التي في
الماء كأنها الرشي ، والصل : المعجزة .

وَالْحَبِيبُ بغيرِ أَلِفٍ نُفَاحَاتٌ بِيضٌ صِفَارٌ تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الشَّرَابِ
قَالَ ابنُ ثَابِتٍ (١) .

الثوم :

وذكر قوله عليه السلام لأم أيوب - حين ردَّ عليها الثريدَ من أجل
الثوم: أنا رجل أناجي ، وروى غيره حديث أم أيوب، وقال فيه : إن الملائكة
تتأذى بما يتأذى به الإنس (٢) . وروى أن خَصِيفَ بن الحارث قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله : الحديث الذي
ترويه عنك أم أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس صحيح هو ؟
قال : نعم .

مصبر منزل أبي أيوب

ومنزل أبي أيوب الذي نزل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - تصير بعده
إلى أفلح مولى أبي أيوب ، فاشتراه منه بعد ما خرب ، وتثلَّمت حيطانُه

(١) في اللسان عن الحباب - بالالف - أنها النفاحات والنفاقيع التي تطفو
على وجه الماء كأنها القوارير . وحبب الأسنان : تنضدها .

(٢) ورد حديث أبي أيوب في مسلم وفيه أن أبا أيوب سأل رسول الله
ص : : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكن أكرهه من أجل ريحه . قال أبو أيوب :
فإني أكره ما كرهت . وعن جابر أن النبي ص ، قال : من أكل ثوما أو بصلا
فليعتزلنا ، أو قال : فليعتزل مسجدنا ، أو ليقتعد في بيته ، وإن النبي ص ، أتى
بقدر فيه خضرات من بقول ، فوجد لها ريحا ، فقال قربوها إلى بعض أصحابه
وقال : كل فاني أناجي من لانتاجي ، متفق عليه .

المَغِيرَةُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بمد حيلة احتالها عليه
المَغِيرَةُ ذكرها الزبير ، ثم أصلح المَغِيرَةُ ما وَهَى منه ، وتصدق به على أهل بيتِ
من فقراء المدينة ، فكان بمدّ ذلك ابنُ أفلح يقول للمَغِيرَةُ : خَدَعْتَنِي ،
فيقول له المَغِيرَةُ : لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ . هذا معنى ما ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر (١)

من قصة أبي سفيان مع بني محس

وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان :

دارَ ابنِ عَمِّكَ بِقَتْمَا تَقْضِي بِهَا عَنكَ الْفَرَامَةَ
إِذْ هَبَّ بِهَا إِذْ هَبَّ بِهَا طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةَ

أبو أحمد هذا اسمه عَيْدٌ ، وقيل : مُنَمَّةٌ ، والأولُ أصح ، وكانت عنده الفارعةُ
بنت أبي سفيان ، وبهذا السبب تَطَرَّقَ أبو سفيان إلى بيع دارِ بني جَحْشٍ إذ
كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر .

وقوله لأبي سفيان طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةَ مُتَنَزِّعٌ من قول النبي - صلى الله

(١) ذكر ابن إسحاق أن بيت أبي أيوب بناه تبع الأول لما مر بالمدينة
للنبي ﷺ ، ينزله إذا قدم المدينة ، افتدأول البيت الملاك إلى أن صار لأبي
أيوب ، أو هي ولاشك خرافة حين يقال إن تبعاً بناها للنبي ﷺ ، فما كان تبع
لها حتى يعرف الغيب ، أو ما كان تبع يعرف ما لم يعرفه النبي نفسه حتى ليلة
الوحى . . ويقال إن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف
الدين بكر بن أيوب بن شادي اشترى عرصة دار أبي أيوب ، وبناها مدرسة لتدريس
المذاهب الأربعة .

عليه وسلم - مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ^(١) وقال طَوَّقَ الحمامة ، لأن طوقها لا يفارقها ، ولا تلقيه عن نفسها أبداً ، كما يفعل مَنْ لَبَسَ طَوَّقًا مِنَ الْآدَمِيِّينَ ، ففي هذا البيت من السَّمانَةِ وَحَلَاوَةِ الْإِشَارَةِ وَمَلَاخَةِ الْاسْتِعَارَةِ مالا مزيدَ عليه ، وفي قوله : طَوَّقَ الْحَمَامَةَ رَدًّا عَلَى مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ أَنَّهُ مِنَ الْعَطَاقَةِ ، لَامِنِ الطَّوَّقِ فِي الْعِنَقِ ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ ، مَعَ أَنَّ الْبُخَارِيَّ قَدْ رَوَاهُ ، فَقَالَ فِي بَعْضِ رِوَايَتِهِ لَهُ : حُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ^(٢) . وفي مسند ابن أبي شيبة : مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ جَاءَ بِهِ إِسْطَاطًا فِي عُنُقِهِ ، وَالْإِسْطَاطُ كَالْحَلِاقِ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَسِطَّامُ السَّيْفِ . حَدَّثَهُ^(٣) .

الخطبة :

فصل : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها يقول الله عز وجل لعبدك : ألم أوتيك مالا وأفضل عليك ، فإذا قدمت ؟ وفي غير هذا الكتاب زيادة ، وهي : ألم أوتيك مالا ، وجعلتلك ترابعاً وتدسع ؟ وفسره ابن الأنباري ، فقال : هو مثل ، وأصله : أن الرئيس من العرب كان

(١) متفق عليه .

(٢) فسرها ابن الأثير في النهاية بما يأتي : أي يخسف الله به الأرض فتصير القطعة المنصوبة في عنقه كالطوق ، وقيل : هو أن يطوق حملها يوم القيامة ، أي يكلف ، فيكون من طوق التكليف لامن طوق التقليد .

(٣) سظام أو إسظام : الحديدية التي تحركها النار وتسعده النهاية لابن الأثير .

يَرْبِعُ قَوْمَهُ أَيْ : يَأْخُذُ الْمِرْبَاعَ إِذَا غَزَا وَيُدْسَعُ : أَيْ يُعْطَى وَيُدْفَعُ مِنَ الْمَالِ
لِمَنْ شَاءَ ، وَمَذَهُ قَوْلُهُمْ : فَلَانَ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ (١) .

الحب :

وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثانية ، وفيها : أَحِبُّوا
الله من كل قلوبكم ، يريد أن يَسْتَفْرِقَ حُبَّ الله جميع أجزاء القلب ، فيكون
ذكره وعمله خارجا من قلبه خالصا لله ، وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده
بجائز حسن لأن حقيقة المحبة : إرادة بقارنها استدعالا للمحبوب إماما بالطبع ،
وإماما بالشرع ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان في شرح قوله عليه السلام : إن
الله [تعالى] جميل يحب الجمال (٢) ونبهنا هنالك على تقصير أبي المعالي رحمه الله
في شرح المحبة في كتاب الإرادة من كتاب الشامل فَلْتَنْظُرْ هنالك (٣) .

(١) أصل الدسع : الدفع . وضخم الدسيعة : واسع العطفية ، ومعنى ألم أجمعك
لخ - كما في النهاية لابن الأثير : ألم أجمعك رئيسا مظاننا ، لأن الملك كان يأخذ الربيع
من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه .

(٢) رواه مسلم والترمذي والطبراني في الكبير والحاكم في مستدرکه .

(٣) أحسن من تسكلم عن الحب هو الإمام ابن القيم في كتابيه « روضة
المحبين ، وكتاب « مدارج السالكين ، وفي هذا الأخير يقول الإمام الجليل إن
الكلام عن الحب معلق بطرفين : « محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبده .
والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يجهم الله ويحبونه على
إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولانسبة لسائر المحاب
إليها ، وهي حقيقة : لا إله إلا الله ، وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه
ورسله صفة زائدة على رحمة وإحسانه ، وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجها ،

فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب .
والجهمية المعطلة عكس هؤلاء ، فإنه عندهم لا يحب ولا يهيب ، ولم يمكنهم
تكذيب النصوص ، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته .
والازدياد من الأعمال ؛ ليتألوا بها الثواب ، وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة ،
فلما ينالون به من الثواب والأجر والثواب المنفصل عندهم : هو المحبوب لذاته ،
والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل .

وأولوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم ، وإعطائهم الثواب ، وربما أولوها
بثنائه عليهم ، ومدحه لهم ، ونحو ذلك . وربما أولوها بازادته لذلك .

فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل ، وتارة يؤولونها بنفس الإرادة .
ويقولون : الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العملية ،
سميت محبة ، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت غضبا . وإن تعلقت بعموم
الإحسان والإنعام الخاص سميت برا ، وإن تعلقت بإيصاله في خفاء من حيث
لا يشعر أولا يحتسب سميت : لطفنا ، وهي واحدة ، ولها أسماء . وأحكام باعتبار
متعلقاتها .

ومن جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه له . ردها إلى صفة الكلام ، فهي
عنده من صفات الذات ، لا من صفات الأفعال ، والفعل عنده نفس المفعول ،
فلم يرقم بذات الرب محبة لعبد ولا لأنبيائه ، ورسله ألبتة .
ومن ردها إلى صفة الإرادة جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ،
ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها .

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة ، وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث
المقدور . والقديم ويستحيل أن يراد أنكرها محبة العباد ، والملائكة والأنبياء
والرسل له . وقالوا : لا معنى إلا إرادة التقرب إليه ، والتعظيم له ، وإرادة عبادته ،
فأنكروا خاصة الإلهية ، وخاصة العبودية ، واعتقدوا أن هذا من موجبات
التوحيد والتنزيه ، فعندهم لا يتم التوحيد والتنزيه ، إلا بمجرد حقيقة الإلهية ، وموجد
حقيقة العبودية .

وجميع طرق الأدلة : عقلا ، ونقلا ، وفطرة وقياسا واعتبارا . . . تدل على إثبات محبة العبد لربه ، والرب لعبده . . .

ثم قال إن من أنكروا المحبة : « قد أنكروا خاصة الخلق والامر ، والغاية التي وجدوا لاجلها ، فإن الخلق والامر والثواب والعقاب إنما نشأ عن المحبة ، ولأجلها ، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنه الامر والنهي ، وهي سر التأليه ، وتوحيدها ، هو : شهادة أن لا إله إلا الله . . . والقرآن والسنة يملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه ، من عباده المؤمنين . وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم كقوله تعالى : (والله يحب الصابرين) آل عمران : ١٤٦ (والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ .

وكم في السنة : أحب الأعمال إلى الله كذا كذا فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، واتعمطلت منازل السير إلى الله ، فانها روح مقام ومنزلة وعمل ، والمحبة حقيقة العبودية . . . فمنكر هذه المسألة ومعطلها من القلوب معطل لذلك كله ، وحجابها أكتف الحجب ، وقايد أقمى القلوب ، وأبعدها عن الله ، وهو منكر لخلق إبراهيم عليه السلام ، فإن الخلة كمال المحبة ، ص ١٨ إلى ص ٢٧ باختصار - ٣ ط السنة المحمدية .

وبالنصوص القرآنية يثبت لنا أن الحب ليس هو الإرادة ، وإنما هو صفة أخرى . والذين ينكرون حب الله لعباده ، وحب العباد لله . قوم عيونهم وأفكارهم مشدودة إلى صفات البشر بكل ما لهذه الصفات البشرية من خصائص ، وظنوا - خاضعين في هذا لأفكار غير عربية وغير إسلامية أنهم إن وصفوا الله بهذه الصفات التي بها وصف الله نفسه . أو أضافوا إليه من الأفعال والأسماء ما أضافه إلى نفسه . . . ظنوا أنهم إن فعلوا ذلك أسندوا إلى الله ما يسندونه من لوازم هذه الصفات في بشريتها إلى البشر ، زعموا أن من لوازم الحب اللطف والقلق والخوف والشوق والفقر ، والشعور بالانقص فننقوا عن الله صفة أنه يحب أو أنه استوى ، أو . . . لأن هذه الصفات تستلزم ما يستحيل إطلاقه على الله . وهذا الظن قصور وتقصير . وإفراط في المادية ، واستفراق في الذهول عن الحقيقة ، فإن الصفة

تستمد قيمتها من موصوفها . بل إن الصفات تتغير وتباین لوازمها تبعا لتباين الموصوقات في الخلق أنفسهم ، ففضي ليس عين غضبك وحبي ليس عين حبك . وحبنا ليس حب الآخرين . فما بالنأ بصفات الخالق ؟ فكيف نُسند إلى صفات الخلاق ما نُسند إلى صفات البشر من لوازم وخصائص ؟ وكيف نَظن أن حب الله مثل حب خلقه ! حتى نحمل عليه ما نحمله عليهم ؟ وكيف نَجروُ على أن نجرد صفات الله من معانيها ، أو نَنقيا عنها ونحن مستعبدون لظنون وأوهام ضرب الشيطان بها أفكار غيرنا وقلوبهم فأعماهم وأضلهم عن سواء السبيل ؟ وكيف نسوى بين صفتين ، لم يجعل الله إحداهما عين الأخرى ، كيف نسوى بين الإرادة والمحبة ، والله يقول : (قل : من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) الأحزاب : ١٧ (قل : فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا ، أو أراد بكم نفعا) الفتح : ١١ (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) الزمر : ٣٨ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ، ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) الإسراء : ١٦

(ومن يرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئا) المائدة : ٤١

(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا) يس : ٢٣ أو يمكن

أن نضع الحب مكان الإرادة في هذه الآية ؟

لقد تكرر إسناد الحب إلى الله في القرآن إثباتا قرابة عشرين مرة ، وفي كل مرة يتعلق الحب بصفة في العبد تجعله من خير العباد الذين يستحقون هذه المحبة الإلهية ، فهو جل شأنه يحب المحسنين ، والتوابين والمنظرين ، والمتقين والصابرين ، والمتوكلين ، والمقسطين والمطهرين والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، والاذلة على المؤمنين الأعداء على الكافرين ، والذين يحبونه ، ويتبعون نبيه ، وهو لا يحب المعتدين ، ولا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا يحب الكفار الأثيم ولا يحب الظالمين ، ولا يحب من كان مختالا فخورا ولا يحب المسرفين ، ولا يحب الخائنين ، ولا يحب المستكبرين ، ولا يحب كل خوان فخور ، ولا يحب الفرحين ، ولا يحب الكافرين ، هكذا يثبت الله حبه

من شرح الخطبة

وقوله عليه السلام : لا تَمَلُّوا كَلامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى . الهاء في قوله : فإنه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه : ﴿ [وَرَبِّكَ] يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ القصص : ٦٨ ، وقوله : قد سماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ؛ لقوله سبحانه : ويختار ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : والمصطفى من عباده ، أى : وسعى المصطفى من عباده بقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ الحج : ٧٥ ويجوز أن يكون ممناه المصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون من على هذا للتبعيض ، إنما تكون لابتداء الناية ، لأنه عملٌ استخراجيه منهم بتوقيفه إياهم . والتأويل الأول أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

لقوم ، وينفيه عن آخرين ، وبهذا الإثبات والنفي ، تؤكد ثبوت هذه الصفة الإلهية له سبحانه . فلنؤمن بأن الله يحب ، ولنقل إن الله يحب ، ولنسعد بأن الله يحب ، ولنشعر بروح وريحان حين نذكر ونقرأ ونقول : إن الله يحب ، ولن تلس خاطرة من فكرة مهما كان شأنها فى الصغر أو الكبر أن حب الله يشبه حب خلقه . إلا إذا كان ثمة إنسان يجعل الله بعض خلقه . . . وجل جلال الله سبحانه أن نشبهه بشئ ، أو ننفي عنه ما أثبتته لنفسه .

وقوله في أول الخطبة^(١) إن الحمد لله أحمدُه هكذا برفع الدال من قوله: الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه، وإعرابه ليس على الحكاية، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال: إن الأمر الذي أذكره، وحذف الماء العائدة على الأمر كي لا يقدم شيئاً في اللفظ من الأسماء على قوله: الحمد لله، وليس تقديم إن في اللفظ من باب تقديم الأسماء، لأنها حرف مؤكِّد لما بعده مع ما في اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتيمن به، والله أعلم.

وكانت خطبته في تلك الأيام على جذع، فلما صنِّع له المنبر من طرفاء الغابة^(٢)، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم^(٣) خار الجذع خواراً

(١) روى أبو داود عن الخطبة الثانية ما يأتي: عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي إذا تشهد قال: الحمد لله... الحديث إلى قوله لا شريك له. وقد صحح النووي إسناد هذا الحديث في شرحه لمسلم. هذا ويرى الحسن البصري، وداود الظاهري، والحويني والشوكاني أن الخطبة مندوبة، وليست بواجبة.

(٢) شجر، الواحدة: طرفة، وقال سيديويه: الطرفاء واحد وجمع. ويصنفها المعجم الوسيط بقوله جنس جنبات وجنديات للتزيين من الفصيلة الطرفارية، ومنها: الأثل، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أنه صنع له من أثل الغابة، ويقول الزرقاني في المواهب: وهو شجر كالطرفاء لاشوك له، وخشبه جيد، يعمل منه القصاع والأواني، والغابة: موضع بالعوالي.

(٣) واختلف في اسم صانعه، ففي الصحيح أنه ميمون مولى امرأة من الأنصار، وقيل: مولى سعد بن عبادة، فكانه في الأصل مولى امرأته، ونسب إلى سعد مجازاً - وقد اختلف أيضاً في اسم امرأة سعد - وروى أبو نعيم أن صانعه باقوم الرومي مولى سعيد بن العاص، أو باقول، أو صباح، أو قبيصة، أو مينا، أو صالح أو كلاب، وكلاهما مولى العباس، أو إبراهيم، أو تميم الداري

الفاقة الخُلُوج ، حتى نزل عليه السلام ، فالتزمه ، وقال : لو لم ألتزمه ما زال يخُور
إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه
وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ
طَيِّبَةٍ ﴾ الآية ، وإلى قوله عليه السلام في النخلة : مثلها كمثل المؤمن ، وحديث
خُوارِ الجُدُع وحنينُه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خُواره من الخلق
وكلمه نقل ذلك ، أو سمعه من غيره فلم ينكره (١) .

كما ورد في أبي داود . ويقول الحافظ في الفتح : وليس في جميع الروايات التي
سمى فيها النجار شيء قوى السند سوى الحديث الذي رواه أبو داود عن ابن عمر
لكن لم يصرح فيه بأن صانعه تميم . وأشبه الأقوال بالصواب بأنه ميمون لكونه
من طريق سهل بن سعد . وكان المنبر ذا ثلاث درجات ، وزاد فيه مروان
سنت درجات لما كثر الناس ، ولما احترق المسجد سنة ٦٥٤ جدد المظفر
صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبرا ، ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين
منبرا ، فأزيل منبر المظفر ، ولم يزل منبر بيبرس إلى سنة ٨٢٠ ، ثم أرسل
المؤيد شيخ منبرا ، فبقي سنة ٨٦٧ ، فأرسل الظاهر خشتقدم منبرا .

(١) يقول القاضي عياض في الشفاء عن حديث حنين الجذع : حديث حنين
الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من
الصحابة بضعة عشر ، منهم أبي بن كعب وجابر وأنس وابن عمر وابن عباس
وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة ،
وقد أخرج البخاري الحديث في علامات النبوة ، والترمذي في الصلاة عن
عن نافع عن ابن عمر ، ورواه أحمد من رواية أبي جناب وهو ضعيف عن أبيه
أبي حية عن ابن عمر ، ورواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية
حداد بن مسلمة عن ثابت عن أنس ، ورواه الترمذي ومحمه وأبو يعلى وابن خزيمة
والطبراني والحاكم ومحمه ، وقال على شرط مسلم يلزمه لإخراجه من رواية

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه ، وشرط عليهم ، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم
وأموالهم ، وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الأنصار بها ، فلما كان سئل
القرم ، وتفرقت سبأ نزات الأوس والخزرج بأمر طريفة السكاهنة ، وأمر

إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ، ورواه الطبراني من رواية الحسن
عن أنس ، ورواه أحمد بن منيع والطبراني وغيرهما من رواية حماد
ابن سلة عن عمار بن أبي عامر عن ابن عباس . ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلى
وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه . ورواه الدارمي
من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد ، ورواه أبو محمد الحسن بن علي الجوهري من
رواية عبد العزيز بن رواد عن نافع عن تميم الداري . وقال الحافظ في الفتح :
د حنين الجذع والشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من
يطلع على طرق الحديث دون غيرهم من لا ممارسة في الله ، والله أعلم ، وقال
البيهقي : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف ورووها عن
السلف رواية الأخبار الخاصة كالتكليف .

أقول : زالت آية الجذع ، وبقيت آية الله الكبرى التي من بها على محمد
صلى الله عليه وسلم ، وهي القرآن ، ومن يتدبر القرآن يجد هاديا إلى الأدلة
التي بها تثبت نبوة عبده وخاتم أنبيائه ، وذكر فيه من آياته الكبرى ما ذكر .
 والله يمين على عبده بما شاء .

والناقاه الخلوخ : التي اختاب ولدهما أي انتزع منها . وحديث النخلة في الجامع
الصغير : مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك ، وقال عنه رواه
الطبراني عن ابن عمر ١١

(في بيان التكليف)

عَمْرَانُ بْنُ عَامِرٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ كَاهِنًا أَيْضًا وَبِمَا سَجَّعَتْ بِهِ لِسُكْلِ قَبِيلَةٍ مِنْ سَبْيَا ، فَسَجَّعَتْ لِبَنِي حَارِثَةَ بْنِ تَعْلَبَةَ . وَهُمْ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ أَنْ يَنْزِلُوا بِثَرْبِ ذَاتِ النَّخْلِ فَنَزَلُوهَا عَلَى يَهُودَ وَحَالَهُمْ وَأَقَامُوا مَعَهُمْ ، فَكَانَتِ الدَّارُ وَاحِدَةً .

متي دخل اليهود يثرب؟

والسبب في كون اليهود بالمدينة ، وهي وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بني إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشًا ، وأمرهم أن يقتلهم ، ولا يُبقوا منهم أحداً ، ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلامًا حسنًا ، فرثوا له ، ويقال للملك : الأرقم بن أبي الأرقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا إلى الشام وموسى قدمات ، فقالت بنو إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم ، فلا نُؤويكم ، فقالوا : نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها ففكون بها ، فرجعوا إلى يثرب ، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد سيل العرم . هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتابه السكبير المعروف : بكتاب الأغاني ، وإن كان الزبير قد ذكره أيضًا في أخبار المدينة ، ولا أحسب هذا صحيحًا لبعده عن موسى عليه السلام ، والذي قال غيره إن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دُوِّخَ بَحْتُ نَصْرَ البَابِلِيِّ فِي بِلَادِهِمْ ، وَجَاسَ خِلَالَ دِيَارِهِمْ ، فحِينُذَ لِحِقَ مِنْ لِحِقِ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ كَقَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ ، وَسَكَنُوا خَيْبَرَ وَالْمَدِينَةَ ، وَهَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اسم يثرب

وأما يَثْرِبُ فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فُعرفت باسمه ، وهو يَثْرِبُ بن قَين بن عَبِيل بن مهْلَيل بن عوص بن عَملاق بن لَؤْذ بن إرَم ، وفي بعض هذه الأسماء اختلافٌ وبنو عَبِيلِ هم الذين سكنوا الجُحْفَةَ فَأُجْحَفَتْ بهم السيولُ وبذلك سُمِّيت الجُحْفَةُ (١) ، فلما احتلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كره لها هذا الاسم أعنى : يَثْرِبُ لما فيه من لفظ التَثْرِيب ، وسماها طَيْبَةَ والمدِينَةَ .

فإن قلت : وكيف كره اسما ذكرها الله في القرآن به ، وهو الْمُثَقَدِي بكتاب الله ، وأهلُ أن لا يُعَدِلَ عن تسمية الله ؟ قلنا إن الله - سبحانه - إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ؛ إذ قالت طائفة منهم : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ؟ ﴾ فنبهه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حالكٍ عن أحد : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [التوبة ١٢٠] ، وفي الخبر عن كعب الأبحار قال : إنا نجد في التوراة يقول الله للمدينة يَا طَابَةُ يَا طَيْبَةُ يَا مَسْكِينَةَ لَا تَقْبَلِي السُّكُوزَ أَرْفَعِ أَجَاجِيرَكَ عَلَى أَجَاجِيرِ (٢) الْقُرَى ، وقد روى هذا الحديث عن

(١) أجحف به : ذهب به ، وكان اسم الجحفة : مهيعة د معجم أبكرى ،

المراصد ، القاموس ،

(٢) أجاجير : جمع إجار ، وهو السطح الذي ليس حوالبه ما يرد الساقط

عنه ، والأناجير جمع أيضا

على بن أبي طالب يرفعه ، وروى أيضا أن لها في التوراة أحد عشر اسما :
المدينة وطابة وطيبنة والمسكينة والخابرة والمحببة والمحبوبة والقاصمة
والمجبورة والعذراء والمرحومة (١) ، وروى في معنى قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ

(١) في تسميتها روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : كان الناس يقولون :
يثرب والمدينة ، فقال رسـ ول الله صلى الله عليه وسلم - إن الله عز وجل
سهاها : طابة .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إنها طيبة ،
وإنها تنفي الخبث ، كما تنفي النار خبث الفضة ، مسلم أيضا ،
وعن أحمد : من سمي المدينة ، فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ،
هي طابة

وقال الأزهري : كره ذكر الثرب ، لانه فساد في لسان العرب
ويرى ابن فارس وقطرب أن المدينة من دان إذا أطاع ، فتكون الميم زائدة ،
وقيل من مدن بالمكان إذا أقام به ، فتكون الميم أصلية وجمعها مدن بضم الدال
ولساكنها ومدائن وترك الهمزة أفصح ، والنسب إلى المدينة مدني ، وإلى مدينة
المنصور مديني ، وإلى مدائن كسرى : مدائني وقيل : مدني إذا نسبت الرجل
والثوب . أما الطير فديني . والطاب والطيب لعتان بمعنى . وحديث كعب رواه
ابن زبالة وما أضعفه .

وقد ذكرت لها أسماء أخرى منهما : طيبة بتمديد الياء ، والمطيبة بتشديد الياء
مع فتحها ، والدار والهذراء - لشدة حرارتها - ، والحبيبية ، ومدخل صدق ،
ودار السنة ، ودار الهجرة ، والبلاط ، والإيمان ، ويندر ، ويندد والبحرة
والبحيرة . وقد غالى السهمودي فذكر لها أكثر من تسعين اسما ، راجع ص ٢٣٢
إعلام الساجد ص ٧ وفاء الوفا للسهمودي ، ص ٦٢٠ القرى للمحب الطبري .

وقد اختلف في يثرب - كما قال ابن دقيق العيد في شرح الإمام - : هل هو
اسم يرادف المدينة ، أو هو اسم لقطر محدود ، والمدينة في ناحية منه ؟ وعن

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ [وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ] [الإسراء : ٨٠] أنها
للمدينة ، وأن ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ مَكَّةَ و﴿ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ الأنصار .

تفسير على رباعاتهم :

وفي الكتاب : بنو فلان على رباعاتهم . هكذا رواه أبو عبيد عن
ابن بكير عن عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ [بن عقيل الأيلي] عن الزهري ورواه عن عبد الله
ابن صالح بهذا الإسناد ، فقال : رَبَاعَتِهِمْ . الألف بعد الباء ، ثم قال أبو عبيد :
يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن
جمل الرباعة مصدرأ فالقياس ففتح الزاء ، أي على شأنهم وعادتهم من أحكام
الذِّبَاتِ والدماء ^(١) يتماقلون مَعَا قَلَمَهُمُ الأولى : جمع : مَعْقَلَةٌ وَمَعْقَلَةٌ مِنَ الْعَقْلِ

أبي عبيد : يشرب اسم أرض ، ومدينة الرسول في ناحية منها ، . وقيل : أرض
وقعت المدينة في ناحية منها أو أن يشرب اسم للمدينة ، هكذا ورد في الكشف .
وقال ابن عطية : يشرب قطر محدود ، والمدينة في طرف منه ، وقد غالى السهمودي ،
فجمع لها أكثر من تسعين اسما . وانظر ص ١٠٩ وما بعدها . بقاء الوفاء في
سكنائها وما ذكر في سبب نزول اليهود بها وبيان منازلهم .

(١) في النهاية لابن الأثير : يقال القوم على رباعتهم ، ورباعهم أي : على استقامتهم ،
يريد : أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه ، ورباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو
رابع عليها ، أي : ثابت مقيم . وعند الحشني : الربعة والرباعه الحال التي جاء
الإسلام ، وهم عليها ، ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم
وشأنهم ص ١٢٥

وهو الدية^(١).

من كلمات الكتاب :

وقال في الكتاب : وألَا يُتْرَكَ مُفْرَحٌ ، وفسره ابن هِشَام كما فسره أبو عُبَيْد أنه الذي أُنْقَلَهُ الدِّينَ ، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عُبَيْد^(٢).

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفَرَحْتَكَ الْوَدَائِعُ
أى : أُنْقَلَتْكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْمَالِ السَّلْبِ ، أَيْ سَلَبَتْكَ الْفَرَحَ ،
كَمَا قِيلَ : أَقْطَطَ الرَّجُلُ إِذَا عَدَلَ ، أَيْ : أزال التَّسْطَ ، وهو الإِعْوَجَاجُ ،
ويجوز أن تكون الفاء مُبَدَّلَةً مِنْ بَاءٍ ، فَيَكُونُ مِنَ الْبَرَحِ وهو الشدة ،
تقول : لقيت من فلان بَرَحًا أَيْ : شِدَّةً ، وذكر أبو عُبَيْد رواية أخرى
مُفْرَجٌ بِالْجِيمِ ، وذكر في معناه أقوالاً ، منها أنه الذي لا ديوان له ، ومنها : أنه
القتيل بين القريتين لا يُدْرَى من قتله ، ومنها أنه في معنى المُفْرَحِ بالخاء أَيْ :

(١) يقال : بنو فلان على معاقلم التي كانوا عليها ، أى : مراتبهم وحالاتهم ،
وسميت دية القتل : عقلاً ، لأن المقاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل ،
فمقلها بفناء أولياء المقتول ، أى شدها في عقلها ، ليسلها إليهم ، ويقبضوها منه ،
فسميت الدية : عقلاً بالمصدر ، يقال . عقل البعير يعقله عقلاً ، وجمعها عقول ،
والمعاقلة : هى العصابة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتل الخطأ . وهى
صفة جماعة عاقلة ، وأصلها اسم فاعلة من العقل ، وهى من الصفات الغالبة انظر مادة
عقل فى النهاية لابن الأثير

(٢) فى اللسان أبو عبيدة ، ونسبه ليهسى العذرى ، وقبله :

إذا أنت أكثر الأخلاء صادفت بهم حاجة بمض الذى أنت مانع

الذى لاشىء له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو (١) هذا فيُقَصَى عنه من بيت المال .
وفيه : ولا يُوتِخُ إلا نفسه ، أى : لا يُوبِقُ ، ويهلك إلا نفسه ، يقال
وَتَخَّ الرجلُ ، وأوتغته غيره ، تاله أبو عبيد . ومعنى قوله يُبِىء هو من البِواءِ ،
أى : المساواة ، ومنه قول مُهَلِّمٍ حين قَتَلَ ابناً للحارث بن عُباد : بُوُّ بِشْسَعِ
تَغْلٍ كُتَيْبِ (٢) .

وقوله : إن البرَّ دون الإثم ، أى : إن البرَّ والوفاء ينبغى أن يكون حاجزاً
عن الإثم .

وقوله : وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، أى : إن الله وحزبه
المؤمنين على الرضى به ، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال : إنما كتب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الكتابَ قبل أن تُفرض الجزيةُ ،

(١) وفي اللسان عن أبي عبيد : أن المفرج هو الذى يسلم ، ولا يوالى أحداً
فاذا جنى جناية ، كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له .

(٢) حين نشب الشر استمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وكان الحارث
ابن عباد البكرى قد اعتزل القوم ، فلما استحر القتل في بكر ، اجتمعوا إليه
وقالوا : قد فنى قومك فأرسل الحارث إلى مهمل أخى كليب بجيرا ابنه يناشده
السلام ، فقد أدرك وتوه من بكر ، فلما عرف المهمل أن يجيرا هو ابن الحارث
ابن عباد قتله قاتلاً : بوُّ بِشْسَعِ نعل كليب ، فلما علم أبوه الحارث بهذا خرج يقاتل
المهمل وبنى تغلب ثائراً ببجير ابنه ، وأنشأ يقول :

قرباً مربوط النعامه منى إن بيع الكريم بالشسع غالى
قرباً مربوط النعامه منى لقتت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها . علم الله ولانى بشرها اليوم صالى
ويروى : بجرها . والنعامه : فرس الحارث ، وكانت هزيمة تغلب على يد الحارث .

وإذا كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المَنَمِ إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم في هذا الكتابِ النفقة معهم في الحروب .

المؤاخاة بين الصحابة

فصل المؤاخاة بين الصحابة : آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وَحْشَةُ الْعُرَبِ ويؤانسهم من مفارقة الأهل والمشييرة ، ويُسُدُّ أَرْزَ بعضهم ببعضٍ ، فلما عز الإسلام واجتمع الشَّمْلُ ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ الأنفال ٧٥ أعنى في الميراث^(١) ، ثم جعل المؤمنين كلهم لإخوة

(١) من أين جاء بهذا ، وليس في آيات الميراث شيء من هذا ؟ ، هذا وقد أنكر الإمام ابن تيمية رضى الله عنه في منهاج السنة النبوية المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين . وأقول : إنه يتكرر هذه المؤاخاة بمعناها الخاص المعروف ، وإلا فالمسلم من أول يوم هو أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ولنتدبر ما ذكر الله في أول سورة الحشر عما فعل الأنصار بأخوتهم المهاجرين ، ففى هدى الله هداية الحق والنور المبين لا فى كلام السهيلي أو غيره . ويقول الإمام ابن القيم : « وقد قيل : إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه .

والثابت الأول . يعنى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار - والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام ، وأخوة الدار ، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ، ولو آخى بين المهاجرين ، كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ، ورفيقه فى الهجرة ، وأنبسه فى الفسار ، وأفضل الصحابة ، وأكرمهم عليه : أبو بكر الصديق ، وقد قال : لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لا تتخذت أباً بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل ، « الصحيحان

فقال : ﴿ إِمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعني في التَّوَادُّ وُشْمُولُ الدَّعْوَةِ .
وذكر مؤاخاته بين أبي ذَرٍّ وَالسُّنْدِرِ بْنِ عَمْرٍو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدي
لذلك في آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبي الدرداء :

فصل : وذكر مؤاخاة سلمان وأبي الدرداء ، وأبو الدرداء اسمه عويمرُ
ابن عامر ، وقيل عويمرُ بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عويمرُ بن مالك بن
ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية من بَلْجَارِثِ (١) بن الخَزْرَجِ ، أمه : سَجْبَةُ
بنت واقد بن عمرو بن الإطناية ، وامراته : أم الدرداء ، اسمها : خَيْرَةُ بنت
أبي حذرد ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جُمَانَةُ ، مات أبو الدرداء بدمشق
سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين (٢) .

من حديث أنس ، وفي لفظه ولكن أخى وصاحبى ، وهذه الأخوة في الإسلام
وإن كانت عامة كما قال : وددت أن قد رأينا إخواننا ؟ قالوا : ألسنا إخوانك ؟
قال : أنتم أصحابي ، وإخواني : قوم يأتون من بعدى يؤمنون بي ، ولم يروني
رواه مسلم .

فلاصديق من هذه الأخوة أعلى مراتبها ، كماله من الصحبة أعلى مراتبها ،
فالصحابه لهم الأخوة ومزية الصحبة ولاتباعهم الأخوة والصحبة . ص ١٧٦
٢٠ زاد المعاد ط السنة المحمدية .

(١) و اختلف في اسم أبيه ، فقيل : عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله
أو زيد ، وأبوه : ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج
الأنصاري الخزرجي ، الإصابة

(٢) قيل مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال ابن عبد البر إنه مات
بعد صفتين ، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان .

نسب الفرع

فصل وذكر مؤاخاة أبي رُوَيْحَةَ وبلالٍ ، وسماه: عَبْدَ اللَّهِ بن عبد الرحمن ، وقال : هو أحد الْفَرَعِ^(١) ، لم يبينه بأكثر من هذا ، وَالْفَرَعُ عند أهل النسب ، هو ابن شَهْرَانَ بن عَفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل ، وَأَفْتَلُ هو خَنْعَمُ . وقد تقدم في أول الكتاب : لِمَ سُمِّيَ خَنْعَمُ وهو ابن أُمِّار ، وقد تقدم خِلاف النسابين فيما بعد أُمِّارٍ .

وَالْفَرَعُ هذا بفتح الزاي ، وأما الْفَرَعُ بسكونها ، فهو الْفَرَعُ بن عبد الله ابن ربيعة [بن جندل] ، وكذلك الْفَرَعُ في خُرَاعَةَ ، وفي كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدَّارِقُطِيُّ : الْفَرَعُ بفتح الزاي : رَجُلٌ يَرَوَى عن ابن عمر .

وذكر آخر في الرواة أيضاً بفتح الزاي يَرَوَى حديثاً في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبي رُوَيْحَةَ الخنعمي لواء عام الفتح ، وأمره أن ينادي : مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لَوَاءِ أَبِي رُوَيْحَةَ ، فهو آمن .

مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة

فصل : وذكر مؤاخاة حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ^(٢) وعُوَيْنِم بن ساعدة ،

(١) ويروى بالقاف كما ذكر الحسني .

(٢) نسب حاطب في الإصابة : حاطب بن أبي بلتعة بن عمر بن عمير بن سلمة

ابن صعْب بن سهل الخنعمي .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحکم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاةُ والصيام ، وقامت الحدود ، وفُرض الحلالُ والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مَواقيتها ، بغير دَعْوَة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها أن يحمل بوقا كسبوق يهودَ الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فَنَحَتْ لِيُضْرَبَ به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بلحارث بن الخزرج ، النداء ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مرّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوسا في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوسَ ؟ قال :

وقال في حاطب : حليف بنى أسد ، وقال غيره : كان عبداً لُعبيد الله بن حميد ابن زهير بن أسد بن عبد العزى ، وقيل : كان من مدحج ، والأشهر : أنه من لخم بن عدى ، واسم أبى بلتعة عمرو بن أشد بن معاذ . والبلتعة من قولهم تَبَلَّتَع الرجلُ إذا تَطَرَّف ، قاله أبو عبيد في الغريب المصنف .

وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعوا به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، حتى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنها لرؤيا حقا، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها، فإنه أُنذَى صوتا منك.

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب، وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يجر رداءه، وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإله الحمد على ذلك.

رؤيا عمر في الأذان

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن نعلبة بن عبد ربه، عن أبيه.

قال ابن هشام: وذكر ابن جريج، قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول: أئتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام: لا تجملوا الناقوس، بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك ، فما راع عمر إلا بلالاً يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحي .

ما كان يقوله بلال في الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بني النجار ، قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة ، فيأتي بسجر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة .

أبو قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، أخو بني عدى بن النجار .

قال ابن هشام : أبو قيس ، صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر بن غم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ، وليس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء ، وهم

بالنصرانية ، ثم أمسك غنما ، ودخل بيتا له ، فأخذ مسجدا لا تدخله عليه فيه
طامثٌ ولا جنب ، وقال : أعبد ربَّ إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرها ،
حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ
كبير ، وكان قوَّالا بالحق معظما لله عزَّ وجلَّ في جاهليته ، يقول أشمارا
في ذلك حسانا - وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا : ألاما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبرِّ والثقى وأعرضكم والبرِّ بالله أولُ
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم وإن كنتم أهلَ الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي ب قومكم فأنفسكم دون العشيِّرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارق قوم وما حملوكم في الأممات فاحملوا
وإن أنتمُ أمةٌ فافتقروا وإن كان فضلُ الخير فيكم فافضلوا

قال ابن هشام : ويروى :

وإن ناب أمرُّ فادح فارق فدوهم

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا :

سبحوا الله شرتق كل صباح طلعت شمسُه وكلَّ هلال
عالم السرِّ والبيان لدينا ليس ما قال ربُّنا بضلال
وله الطيرُ تستريد وتأوى في وُكور من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفلاة تراها في حفاف وفي ظلال الرمال

وله هَوَدَتْ يَهُودُ ودانت كلَّ دين إذا ذَكَرْتَ عُضال
وله شَمْسَ النَّصَارَى وقاموا كلَّ عِيدٍ لربهم واحتِفَال
وله الرَّاهِبُ الحَبِيسُ تراه رهنَ بُوسٍ وكانَ ناعِمَ بال
يا بَنِي الأَرْحَامِ لا تَقْطَعُوهَا وصلوها قَصيرةً من طِوالِ
واتَّقُوا اللهَ في ضِعافِ اليَتَامَى ربمَّا يُسْتَحِلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أَنَّ لِلْيَتِيمِ وَلِيًّا عالمًا يَهْتَدِي بغيرِ السؤالِ
ثم مالَ اليَتِيمِ لا تَأْكُلُوهُ إِنَّ مالَ اليَتِيمِ يرعاه والى
يا بَنِي ، التَّخُومِ لا تَخْزُلُوها إِنَّ خَزَلَ التَّخُومِ ذُو عُقالِ
يا بَنِي الأَيَّامِ لا تَأْمَنُوهَا واحذروا مَكْرَها ومرَّ اللَّيالي
واعلموا أَنَّ مَرَّها لِنَفادِ الخَلْقِ ما كانَ من جَدِيدِ وبالِ
واجمعوا أَمْرَكم على البرِّ والتَّقوى وتركِ الخُلْفِ وأخذِ الحلالِ

وقال أبو قيسٍ صِرْمَةَ أَيضاً ، يذكُر ما أكرَمهم اللهُ تبارك وتعالى به
من الإسلامِ ، وما خَصَّهم اللهُ به من نُزولِ رسوله صلى اللهُ عليه وسلم عليهم :

ثَوِي في قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُدْكَرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُواثِماً
ويَعْرِضُ في أَهْلِ المَواثِمِ نَفْسَهُ فلم يَرَ من يُووِي ولم يَرَ داعِياً
فلَمَّا أَنانا أَظْهَرَ اللهُ دِينَهُ فأصبحَ مَسْروراً بِطِيبَةِ راضِياً
وألنِّي صَدِيقاً واطمأنتَ به النَّوِي وكانَ له عَوْناً من اللهِ بادِياً
يَقْصُ لنا ما قال نوحٌ لقومِهِ وما قال موسى إذ أَجابَ المَنادِياً

فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حَلِّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعْيِ وَالْتِاسِيَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لِأَشْيَاءٍ غَيْرِهِ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعَا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا
أَقُولُ إِذَا أَدْعُوكَ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ : تَبَارَكَتَ قَدْ كَثُرَتْ لاسمِكَ دَاعِيَا
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتَ أَرْضًا خَوْفَةً حَنَانِيكَ لَا تُنْظِرُ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا
فَطَأُ مُعْرِضًا إِنْ الْخُتُوفُ كَثِيرَةٌ وَإِلَّاكَ لَا تُنْبِتِي لِنَفْسِكَ بَاقِيَا
فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا
وَلَا تَحْفِلُ التَّخْلُ الْمُعِيْمَةَ رَبِّهَا إِذَا أَصْبَحْتَ رَبِيًّا وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
قال ابن هشام : البيت الذي أوله :

فَطَأُ مُعْرِضًا إِنْ الْخُتُوفُ كَثِيرَةٌ

والبيت الذي يليه :

فوالله ما يدري الفتى كيف يتقى

لأفنون التَّغْلِيْبِي ، وهو صُرَيْم بن مَعْشَر ، في أبيات له .

الأعداء من يهود

قال ابن إسحاق : وَصَبَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَحْبَارُ يَهُودَ - لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعِدَاوَةَ ، بَغِيًّا وَحَسَدًا وَضِعْفًا ، لِمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ ، وَإِنِضَافِ إِلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، مِمَّنْ كَانَ عَلَى عُلَى جَاهِلِيَّتِهِ فَكَانُوا أَهْلَ نِفَاقٍ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْبُعْثِ ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ قَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ ، فَظَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ ، وَاتَّخَذُوهُ جُنَّةً مِنَ الْقَتْلِ وَنَاقُضُوا فِي السَّرِّ ، وَكَانَ هَوَامٍ مَعَ يَهُودَ ، لِتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجُحُودِهِمُ الْإِسْلَامَ . وَكَانَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ - رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَتَعَنَّتُونَهُ ، وَيَأْتُونَهُ بِاللَّبْسِ ، لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، فَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ فِيمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَسَائِلِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا .

من يهود بني النضير

منهم : حُمَيْيَ بْنَ أَخْطَبَ ، وَأَخْوَاهُ أَبُو يَامِرِ بْنِ أَخْطَبَ ، وَجُدَيْيَ بْنَ أَخْطَبَ ، وَسَلَامَ بْنَ مِشْكَمَ ، وَكِنَانَةَ بْنَ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَسَلَامَ بْنَ أَبِي الْحَقِيقِ ، أَبُو رَافِعِ الْأَعُورِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ - وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَعَمْرُو بْنُ جَعْلَاشَ ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، وَهُوَ مِنْ طَيْهِ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو ، حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وَكَرْدَمُ بْنُ قَيْسَ ، حَلِيفُ

كعب بن الأشرف ، فهو لاء من بني النضير .

من يهود بني ثعلبة

ومن بني ثعلبة ابن الفطيمون : عبد الله بن صورياً الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صُلويا ، ومُخَيَّرِيق ، وكان حَبْرَم ، أسلم .

من يهود بني قينقاع

ومن بني قينقاع : زيد بن اللصيت - ويقال : ابن اللصيت - فيما قال ابن هشام - وسعد بن حنيفة ، ومحمود بن سيجان ، وعزيز بن أبي عزيز ، وعبد الله ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال . ابن صيف .

قال ابن إسحاق : وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنجاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبجرى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس ابن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو ، وسككين بن أبي سككين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن صيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد وأزار بن أبي أزار . قال ابن هشام : ويقال : أزر بن أزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرَيْمِلَة ، ورافع بن خارجة ،

.....

ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن الثابت ، وعبدالله بن سلام بن الحارث ،
وكان حَبْرَهُم وأعلمهم ، وكان اسمه الخَصِين ، فلما أسلم سماه رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم - عبدَ الله . فهؤلاء من بني قَيْنُقَاع .

من يهود بني قريظة

ومن بني قُريظة : الزُّبَيْر بن بَاطن بن وَهَب ، وعَزَّال بن شَمُوِيل ،
وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقْد بني قُريظة الذي نُقِضَ عام الأحزاب ،
وشَمُوِيل بن زيد ، وجَبَل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّجَّام بن زيد ، وقَرْدَم
ابن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، وعدى
ابن زيد ، والحارث بن عَوْف ، وكرْدَم بن زيد ، وأسامة بن حَبِيب ، ورافع
ابن رُمَيْلة ، وجَبَل بن أبي قُشير ، ووهب بن يَهُوذَا ، فهؤلاء من بني قُريظة .

من يهود بني زريق

ومن يهود بني زريق : كَبِيد بن أَعْصم ، وهو الذي أَخَذَ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

من يهود بني حارثة

ومن يهود بني حارثة : كنانة بن صُوريا .

من يهود بني عمرو

ومن يهود بني عمرو بن عوف : قرظم بن عمرو .

من يهود بني النجار

ومن يهود بني النجار : سلسلة بن برهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وأصحاب المسألة ، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه . وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً علماً ، قال : لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفتُ صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوَكَّفُ له ، فكنتُ مُسِرّاً لذلك ، صامتاً عليه ، حتى قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقباء ، في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلةٍ لي أعمل فيها ، وعمتي خالدةُ ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت لي عمتي ، حين سمعتُ تكبيرى : خيِّبك الله ، والله لو كنتُ سمعتُ بموسى ابن عمران قادمًا مازِدْتُ ، قال : فقلتُ لها : أى عمّة ، هو والله أخو موسى

ابنِ عمران ، وعلى دينه ، بُعث بما بُعث به . قال : فقالت : أى ابنِ أخى ،
أهو النبيّ الذى كُنّا نخبّر أنّه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم .
قال : فقالت : فذاك إذا . قال : ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأسلمتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكتمتُ إسلامي من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم ، فقلتُ له : يا رسول الله ، إن يهودَ قومٍ بُهتت وإني أحبّ أن تدخلني
في بعضِ بيوتك ، وتغيّبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم ،
قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني . قال : فأدخلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعضِ بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه
وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجلِ الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا : سيّدنا وابن
سيّدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . قال : فلما قرّغوا من قولهم ، خرجتُ عليهم ، فقلت
لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه
لرسول الله ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصِفته ، فأني أشهدُ
أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رأو من به وأصدقوه وأعرفه ، فقالوا :
كذبت ثم وقموا بي ، قال : نقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك
يا رسول الله أنهم قومٌ بُهتت ، أهل غدر وكذب وفُجور ! قال : فأظهرت
إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث ، فحسنُ
إسلامها .

حديث مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخَيْرِيق ، وكان حبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصِفَتِهِ ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلفُ دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أُحُد ، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يامعشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصرَ محمد عليكم كَلَفٌ . قالوا : إن اليوم يوم السبت ؛ قال : لاسبت لكم . ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحُد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قُتِلتُ هذا اليوم ، فأموالي لحمد - صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل . فكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : مخيريق خيرُ يهود . وقبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامَّة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

شهادة عن صفية

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حُيِّ بن أخطب أنها قالت : كنت أحبُّ ولِدِ أبي إليهِ ، وإلى عَمِّي أبي ياسر ، لم ألقهما قطّ مع ولدِ لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قُبَاء ، في بني عمرو بن عوف ، غداً عليه أبي ، حُيِّ بنُ أخطب ، وعمِّي : أبو ياسر بن

أخطب ، مُعَلِّسِينَ . قالت : فلم يَرِجِما حتى كانا مع غروب الشمس . قالت :
فأتيا كالأين كسلا نين ساقطين يمشيان الهوبنى . قالت : فهششتُ إليهما
كما كنتُ أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحدٍ منهما ، مع ما بهما من الغم .
قالت : وسمعت عمى أبا ياسر ، وهو يقول لأبى : حُبِّي بن أخطب : أهو هو؟
قال : نعم والله ؛ قال : أتمرغه ؛ وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟
قال : عداوته والله ما بقيتُ .

من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار

منافقو بنى عمرو

قال ابن إسحاق : وكان يَمُنُّ انصاف إلى يهود ، ممن سمى لنا من المنافقين
من الأوس والخزرج ، والله أعلم . من الأوس ، ثم من بنى عمرو بن عوف بن
مالك بن الأوس ؛ ثم من بنى لؤذان بن عمرو بن عوف : زُوَيْبُ بن الحارث .

منافقو حبيب

ومن بنى حبيب بن عمرو بن عوف : جُلاس بن سويد بن الصامت ،
وأخوه الحارث بن سويد .

من نضاق جلاس

وجُلاس الذى قال - وكان ممن تحأف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك - اثن كان هذا الرجل صادقا لنحن شرًّا من الحُمُر . فرفع ذلك

من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حجر جلاس ، خلف جلاس على أمه بعد أبيه ، فقال له عمير بن سعد : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إليّ ، وأحسنهم عندي بدأ ، وأعزهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالةً لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ، ولإحداها أيسرُ عليّ من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جلاس ، فخلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب عليّ عمير ، وما قلتُ ما قال عمير ابن سعد . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَاتَّقَدُوا قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهُمْ بِمَا كَلَمَ بَنَالُوا ، وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة : ٧٤ .

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وترفع من صدور شمرذلاتٍ يصكّ وجوهها وهجّ أليم

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته ، حتى عُرف منه الخير

والإسلام .

ارتداد الحارث بن سويد وغدره

وأخوه الحارث بن سويد ، الذي قتل المجذّر بن زياد البَلَوِيّ ، وقيسَ ابن زيد ، أحد بنى ضُبَيْعَةَ ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناسُ عدَا عليهما ، فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذّر بن زياد قتل سُوَيْدَ بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث ابن سويد غرّةَ المجذّر بن زياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره في قَتْلَى أُحُدٍ .

قال ابن إسحاق : قتل سُوَيْدَ بن صامت مُعَاذُ بن عَفْرَاءَ غِيْلَةَ ، في غير حرب ، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعَاثٍ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ، ايرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابن عباس - : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران : ٨٦ إلى آخر القصة .

مناققو بنى ضبيعة

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : بجاد
ابن عثمان بن عامر .

مناققو بنى لوزان

ومن بنى لوزان بن عمرو بن عوف : نبتل بن الحارث ، وهو الذى قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : من أحب أن ينظر إلى الشيطان ،
فليُنظر إلى نبتل بن الحارث ، وكان رجلا جسيما أذم ، تأثر شعر الرأس
أحمر العيينين ، أسفع الخدين ، وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذى قال :
إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ ، مَن حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَقَهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ فِيهِ : ﴿ وَمَنْهُمْ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ : هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ،
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض رجال بلعجلان أنه حدث : أن جبريل
عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أذم ،
تأثر شعر الرأس ، أسفع الخدين أحمر العيينين ، كأنهما قد ران من صفر ،
كبدته أغلظ من كبد الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين ، فاحذره . وكانت
تلك صفة نبتل بن الحارث ، فيما يذكرون .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ،
وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدوا الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم
أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من
قوله ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ لو كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ إلى آخر
القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كُنوز
كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عز وجل
فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ والحارث بن حاطب .

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين

قال ابن هشام : معتب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم
من بنى أمية بن زيد من أهل بدر . وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أتق به
من أهل العنم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد
فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعبيد بن حنيفة ، أخو سهل بن حنيفة ؛ وبحرَج ،

وهم ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خِذام ، وعبد الله بن نَبْتَل .

من بنى ثعلبية

ومن بنى ثعلبية بن عمرو بن عَوْف : جارية بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومُجَمِّع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مجمَّع غلاما ما حدثنا قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أُخرب المسجد ، وذهب رجالٌ من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببني عمرو ابن عوف في مسجدهم ، وكان زمانُ عمر بن الخطَّاب ، كَلَّم في مجمَّع ليصلى بهم ؛ فقال : لا ، أو ايس يا مامر المنافقين في مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذي لا إله إلا هو ، ما علمت بشيء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاما قارئنا للقرآن . وكانوا لا قرآن معهم ، فقدّموني أصلى بهم ، وما أرى أمرهم ، إلا على أحسن ما ذكرُوا . فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

من بنى أمية

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : ودِيعَة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عبيد

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : خِذام بن خالد ، وهو الذى أُخرج

• مسجد الضرار من داره : وبشر ورافع ، ابنا زيد .

من بنى النبيت

ومن بنى النبيت - قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الأوس - قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس : مربع بن قَيْظَى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامدًا إلى أحد : لا أُحِلُّ لك يا محمد ، إن كنت نبيا ، أن تمرّ فى حائطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقْتُلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضر به سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجّه ؛ وأخوه أوس بن قَيْظَى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُعَوَّرَةٌ للعدوّ وضائمة ؛ وجمعها : عورات . قال النّابغة الذبياني :

مَتَى تَلَقَهُمْ لَا تَلَقُ لِلْبَيْتِ عَوْرَةٌ وَلَا الْجَارِ مَحْرُومًا وَلَا الْأَمْرِ ضَائِعًا

وهذا البيت في أبيات له . والعورة (أيضا) : عورة الرجل ، وهي حرمة .
والعورة (أيضا) السوءة .

من بنى ظفر

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن
الخرزج حاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا في جاهليته وكان
له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته
الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها
من رجال المسلمين ونسأهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب
بالجنة . قال فنجم نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حرمل ،
غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ،
الذي أنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ، إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا ﴾ وقزمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا
شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبته الجراحات ، فحمل إلى دار
بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قزمان ، فقد أبليت اليوم ،

.

وقد أصابك ما ترى في الله : قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومي ؛ فلما اشتدت به جراحاته وأذته أخذ سهما من كِفانته ، فقطع به رواهش يده ، فقتل نفسه .

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : ولم يكن في بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحّاك بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهط سعد بن زيد ، قد كان يُتهم بالنفاق وحبّ يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مُلِّغُ الضحّاك أنَّ عُرُوقَهُ أَعْيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَجَّدَا
أَتَحَبَّ يَهُدَانَ الْحِجَازِ وَدِيَنَهُمْ كَيْدَ الْحِمَارِ ، وَلَا تَحَبَّ مُحَمَّدَا
دِينَا لِعَمْرَى لَا يُوَافِقُ دِينَنَا مَا اسْتَنَّ آلٌ فِي الْقَضَاءِ وَخَوَدَا

وكان جُلاس بن سُويد بن صامت قَبِلَ توبته - فيما بلغني - ومعتب ابن قشير ، ورافع بن زيد ، وبِشر ، وكانوا يُدْعَوْنَ بِالْإِسْلَامِ ، فدعاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوم إلى الكُفَّان ، حكّام أهل الجاهلية ، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا كَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » . . . إلى آخر القصة .

.....

من الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجّار : رافعُ بن ودِيعَة ، وزيد بن عمرو ،
وعمر بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهيل .

من بنى جشم

ومن بنى جُشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الجَدّ بن قيس ، وهو
الذي يقول : يا محمد ، ائذن لي ، ولا تفتني . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ، وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدُ الله بن أبي بن سلول ، وكان رأسَ
المُنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذي قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ
الأعرضَ منها الأذلَّ في غزوة بني المُصطلق . وفي قوله ذلك ، نزلت سورة
المُنافقين بأسرها . وفيه وفي ودِيعَة - رجل من بنى عوف - ومالك بن
أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبي بن سلول ؛
وعبد الله بن أبي بن سلول . فهؤلاء نفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بنى
النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن
أخرجتم ليخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم .
فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

.....

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ أُخْرِجَهُمْ لَنْفَخُرْجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوْتَلْتُمْ لَنْنُصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ كَذِبُونَ ﴿١٠﴾ ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : ﴿ كَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

من أسلم من أحبار يهود نفاقا

قال ابن إسحاق : وكان ممن تَعَوَّذَ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهروه وهو مُنَافِقٌ ، من أحبار يهود :

من بنى قينقاع

من بنى قَيْنُقَاعَ : سَعْدُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى ابْنُ عَمْرٍو ، وَعُمَانُ بْنُ أَوْفَى . وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ ، الَّذِي قَاتَلَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ ، حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَيْرُ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَاءَهُ الْخَبْرُ بِمَا قَالَ عَدُوُّ اللَّهِ فِي رَحْلِهِ ، وَدَلَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَتِهِ « إِنْ قَاتَلَا قَالَ : يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَيْرُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ؟ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدَدَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، فَهِيَ فِي هَذَا الشَّعْبِ ، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزَمَامِهَا ، فَذَهَبَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَوَجَدُوهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

• • • • •

عليه وسلم ، وكما وصف « ورافعُ بنُ حُرَيْمَةَ ، وهو الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عطاء المنافقين ؛ ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبَّت عليه الرياح ، وهو قافلٌ من غزوةِ بني المُصْطَلِقِ ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ، فإنما هبَّت لموتِ عَظِيمٍ من عَطاء الكفار . فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وجد رفاعةَ بنَ زيدِ بنِ التابوتِ مات ذلكَ اليومَ الذي هبَّت فيه الرياحُ وسلسلة بن برّهام . وكنانة بن صُورِيا .

طرد المنافقين من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديثَ المُسلمين ، ويسخّرون ويستهنئون بدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناسٌ فرآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لَصِقَ بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عَنيفاً، فقام أبو أيُّوب ، خالد بن زيد بن كُليب ، إلى عمرو بن قيس ، أحدِ بني غَمِّ بن مالك بن النجار - كان صاحبَ آلتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه ، حتى أخرجَه من المسجد ، وهو يقول : أُنْخِرْ جَنِي يا أبا أيوب من مرْبِدِ بني نَعْلَبَةَ ، ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن ودِيعَةَ ، أحدِ بني النجار فلبَّيه بردائه ثم نثره نثرأ شديداً ، ولطم وجهه ، ثم أخرجَه من المسجد ،

وأبو أيوب يقول له : أف لك منافقا خبيثا : أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التي جئت منها . قال الشاعر :
فولى وأدبر أدراجَه وقد باء بالظلم من كان نمَّ

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلا طويل اللحية ، فأخذ بِلِحْيَتِهِ فقادَه بها قَوْدًا عَمِيْفًا حتى أخرجَه من المسجد ، ثم جمع عمارة يَدَيْهِ فَلَدَمَهُ بهما في صدره لَدَمَةً خَرَّتْ مِنْهَا . قال : يقول : خدشتني يا عمارة ؛ قال : أبعدك الله يا منافق ، فما أعدَّ الله لك من العذاب أشدَّ من ذلك ، فلا تقربنَّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : للضرب بيطن الكف . قال تميم بن أبي بن مقبل :

وللفؤاد وجيبٌ تحت أبهره لدمَ الوليد وراء الغيب بالحجر

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بني النجَّار ، كان بدريةً ، وأبو محمد مسمود بن أوس بن زيد بن أضرَم بن زيد بن نعلبة بن غنم ابن مالك بن النجَّار إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاما شابا ، وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدنع في قفاه حتى أخرجَه من المسجد .

وقام رجل من بلخدره بن الخزرج ، رهط أبي سعيد الخدري ، يقال له :
عبد الله بن الحارث ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين
من المسجد إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا أُمَّة ، فأخذ
بِحِمَمَتِهِ فَسَجِبَهُ بِهَا سَجِيبًا عَنِيْفًا ، عَلَى مَامَرَةٍ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ
الْمَسْجِدِ . قَالَ : يَقُولُ الْمَنَافِقُ : لَقَدْ أَغْلَظْتُ يَا بَنَ الْحَارِثِ ؛ فَقَالَ لَهُ ؛ إِنَّكَ أَهْلٌ
لِذَلِكَ ، أَيْ عَدُوٌّ اللَّهِ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّكَ نَجَسٌ .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيٍّ بن الحارث ، فأخرجه
من المسجد إخراجاً عَنِيْفًا ، وَأَقْفَ مِنْهُ ، وَقَالَ : غَلَبَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَأَمْرُهُ .
فهُؤْلَاءُ مَنْ حَضَرَ الْمَسْجِدَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمَنَافِقِينَ ، وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَاجِهِمْ .

مانزل من البقرة في المنافقين ويهود

مانزل في الأحبار

ففي هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل
صدرُ سورة البقرة إلى المائة منها - فيما بلغني - والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبجمده : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ ﴾ ، أَيْ
لَا شَكَّ فِيهِ .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُوَيْبَةَ الهذليّ :

فقالوا عهدنا القومَ قد حَصَرُوا به فلا رَبَّيبَ أنْ قد كانَ ثمَّ طَلِيمُ

وهذا البيت في قصيدة له ، وارَّيب (أيضا) : الرِّيبَة . قال خالد بن

زُهَيْر الهذليّ :

كَأَنِّي أُرَيْبُهُ بِرَّيبِ

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كَأَنِّي أُرَبَّتُهُ بِرَّيبِ

وهذا البيت في أبيات له . وهو ابن أخي أبي ذُوَيْب الهذليّ .

﴿هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، أى الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أى يُقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتسابا لها : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ، أى يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفترون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم . ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ ، أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا

.....

من شرّ مامنه هربوا . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بما أنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، ممّا جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . ﴿ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أى عن الهدى أن يُصِيبُوهُ أبدأ ، يعنى بما كذبوك به من الحقّ الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأخبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحقّ بعد معرفته .

مانزل فى منافقى الأوس والخزرج

﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ، أى شكّ ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ ، أى شكّا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون ﴿ أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب . يقول الله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنّهم

هُمْ الشُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ ﴿١٠﴾ مِنْ يَهُودٍ ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالكَذِبِ بِالْحَقِّ ، وَخِلَافَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﴿١١﴾ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴿١٢﴾ ، أَيْ إِنَّا عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . ﴿١٣﴾ إِنَّمَا نَخْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ : أَيْ إِنَّمَا نَسْتَهْزِئُ بِالْقَوْمِ ، وَنَلْعَبُ بِهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿١٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٦﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام يَعْمَهُونَ : يحارون . تقول العرب : رجل عمه وعامه : أئى حيران . قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا :

أعمى الهدى بالجاهلين العمه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعمه : جمع عامه ؛ وأما عمه ، فجمعه : عمهون . والمرأة : عمية وعمهاء .

﴿١٧﴾ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴿١٨﴾ : أى الكفر بالإيمان ﴿١٩﴾ فمأربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴿٢٠﴾ .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى ﴿٢١﴾ كمثل الذى استوفد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركتهم فى ظلمات لا يبصرون ﴿٢٢﴾ أى لا يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق : ﴿٢٣﴾ صم بكم عنى فهم

لَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ : أى لا يرجعون إلى الهدى ، صُمُّ بِكُمْ عُمَى عن الخير ،
لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نَجَاةً ما كانوا على مامٍ عليه ﴿أَوْ كَصَيْبٍ
مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ
الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ .

قال ابن هشام : الصَّيْبُ : المطر ، وهو من صاب يصُوب ، مثل قولهم :
السَّيِّد ، من ساد يسود ، والمَّيِّت : من مات يموت ؛ وجمعه : صَيَّابٌ . قال
عَلَقْمَةُ بن عَبْدَةَ ، أَحَدُ بنى رَبِيعَةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تميم :

كَانَهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا طَيْرُهُنَّ دَيْبٌ

وفيها :

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَمَّرٍ سَقَمْتُكَ رَوَايَا الْمُرْنِ حَيْثُ تَصُوبُ

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة مامٍ فيه من الكفر والحذر من القتل ،
مِنَ الَّذِي هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وُصِفَ ، من الذى هو
(في) ظلمة الصَّيْبِ ، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حَذَرَ الموت . يقول :
والله منزل ذلك بهم من النعمة ، أى هو محيط بالكافرين ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ : أى لشدة ضوء الحق ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ، أى يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم من قولهم به
هل استقامة ، فإذا ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيرين . ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لذَهَبَ بِسْمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴿ أَى لِمَا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين ، أَى وَحِّدُوا رَبَّكُمْ ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ندّ . قال لعبيد بن ربيعة :

أُحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ .
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أَى لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ إِلَّا رَبُّكُمْ غَيْرُهُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ أَى فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ مَادَعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أَى مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَعْوَانِكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ كَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ الْحَقُّ ﴿ فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم
إذا جاءهم ، وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام
وأمره ، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
للأخبار من يهود ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى بلائى
عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجاها به من فرعون وقومه ﴿ وَأَوْفُوا بَعْثِي ﴾
الذى أخذت فى أعناقكم لنبيي أحمد إذا جاءكم ﴿ أوفِ بَعْثَكُمْ ﴾ أنجز لكم
ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الأصار والأغلال
التي كانت فى أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾
أى أن أنزل بكم ما أنزل بمن كان قبلكم من آبائكم من النعمات التي
قد عرفتم ، من التسخ وغيره ﴿ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ،
وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم ﴿ وَإِيَّايَ
فَاتَّقُونَ ﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم
فما تعلمون من الكتب التي بأيديكم ﴿ أَنْتُمْ رُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أى أنتمهون الناس عن
الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى وأنتم
تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى وتنفضون ميثاقى ،
وتجحدون ما تعلمون من كتابى .

ثم عدد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجلَ وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم ، وإفائته إياهم ، ثم قولهم : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شئ يستره عنا . قال أبو الأخرز الحِمَاني ، واسمه قُتَيْبَة :

يَجْهَرُ أَجْوَابَ الْمِيَاهِ السَّدْمِ

وهذا البيت في أرجوزة له .

يَجْهَرُ : يقول : يُظْهِرُ الْمَاءَ وَيَكْشِفُ عَنْهُ مَا يَسْتُرُهُ مِنَ الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغزتهم ، ثم إحياءهم إياهم بعد موتهم ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسّلوى ، وقوله لهم : ﴿ إِذْ خَلُّوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، أى قولوا ما أمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلتهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإفائته إياهم ذلك بعد هُزْنِهِمْ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المنّ : شئء كان يسقط في السّحَرِ على شجرهم ، فيجتنبونه حُلُومًا مثل العسل ، فيشربونه ويأكلونه . قال أعشى بنى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :
لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ
مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْمًا

وهذا البيت في قصيدة له . والسلوى : طير ؛ واحدها : سلواة ؛ ويقال :
لأنها الشماني ، ويقال للعسل (أيضا) : السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلي :
وقاسمها بالله حقا لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها
وهذا البيت في قصيدة له . وحطة : أى حطّ عفا ذنوبنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبدلهم ذلك ، كما حدثني صالح بن كيسان
عن صالح مولى التوءمة بنت أمية بن خلف ، عن أبي هريرة ومن لأتهم ، عن
ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دَخَلُوا الباب الذى
أمرُوا أن يدخلوا منه سُجِّدًا يزحفون ، وهم يقولون حنط في شعير .
قال ابن هشام : ويروى : حنطة في شعيرة :

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره (إياه) أن يضرب
بعضاه الحجرَ فانهجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سِبْطٍ عَيْنٌ يَشْرَبُونَ
منها ، قد علم كل سِبْطٍ عينه التى منها يشرب ؛ وقواهم لموسى عليه السلام :
﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ
الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا ﴾ .

قال ابن هشام : الفوم : الحنطة . قال أمية بن الصلت الثقفي :
فوق شيزى مثل الجوابى عليها قِطْعُ كَلُوذَيْلٍ فِي نَقِي فُومٍ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الوديل : قطع الفضة والقوم : القمح ؛ واحده : فومة .
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ وَعَدَسِيهَا وَبَصَالِيهَا ، قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ *
ثُمَّ هَبُوا بِطُورِ مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . وَرَفَعَهُ الطُّورَ فَوَقَّعَهُمْ لِيَأْخُذُوا مَا أوتُوا ؛
والمسخ الذي كان فيهم ، إذ جعلهم قردةً بأحدائهم ، والبقرة التي أراهم الله
عزَّ وجلَّ بها العبرة في القتل الذي اختلفوا فيه ، حتى بيَّن الله لهم أمره ، بعد
التردد على موسى عليه السلام في صفة البقرة ؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى
كانت كالحجارة أو أشدَّ قسوة . ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ أي وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون
إليه من الحق ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم قال الحمد عليه الصلاة والسلام ولن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم ﴿ أَفَتَتَمَعُّونَ
أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وليس قوله يسمعون التوراة ،
أن كلامهم قد سمعها ، ولكنه فریق منهم ، أي خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغني عن بعض أهل العلم : قالوا للموسى : يا موسى ،
قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى
عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم ، مُرَّهُمْ فَلْيَطَّهَّرُوا ، أو ليطهروا نيا بهم ،
وليصوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور ؛ فلما غشيهم الغمام
أمرهم موسى فوقعوا سُجَّدًا ، وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم

وَيَنْهَاهُمْ ، حَتَّى عَقَلُوا عَنْهُ مَا سَمِعُوا ، ثُمَّ انصَرَفَ بِهِمْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ حَرْفُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَقَالُوا ، حِينَ قَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكُذَّاءٍ وَكَذَا ، قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : إِنَّمَا قَالَ كُذَّاءً وَكَذَا ، خِلَافًا لِمَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ ، فَهَمَّ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ، أَيْ بِصَاحِبِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ، وَاسْكَنَهُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً . ﴿ وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا ﴾ : لَا تَحَدِّثُوا الْعَرَبَ بِهَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ فِيهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، أَيْ تُقَرُّونَ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ يُخَبِّرُكُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ وَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا ؛ اجْعَدُوهُ وَلَا تُقَرُّوْا لَهُمْ بِهِ . يَقُولُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : ﴿ أُولَئِكَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام ، عن أبي عبيدة : إلا أمانى : إلا قراءة ، لأن الأمانى : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا (أنهم) يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبي عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب .
في قول الله عزّ وجلّ ، حدثني أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثني يونس بن حبيب النحوي وأبو عبيدة : أنّ
العرب تقول : تمنى ، في معنى قرأ . وفي كتاب الله تبارك وتعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَتَقَى
الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ ﴿١﴾ . قال : وأنشدني أبو عبيدة النحوي :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَأَخْرَهُ وَافِي حِمَامِ الْقَادِرِ
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ خَالِيَا تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ

وواحدة الأمانى : أمنيّة . والأمانى (أيضا) : أن يتمنى الرجل المال أو غيره .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَإِنْ أُمُّهُ إِلَّا يَبْظُنُونَ ﴾ : أي لا يعلمون الكتاب .
ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن . ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ
إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ، قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وحدثني مولى يزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة واليهود تقول : إنما مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإما يعذب الله
الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام
الآخرة ، وإما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله في ذلك من قولهم :
﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ * قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ
عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ
كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أي من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر
بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي خلدوا أبداً . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ : أي من آمن بما كفرتم به ، وعمل
بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يُنجزهم أن الثواب بالخير والشر
مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال (الله عز وجل) يؤنبهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي ميثاقكم ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ،
وَوِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
أي تركتم ذلك كله ليس بالتنقص . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُمْ
دِمَاءَكُمْ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب،

قال ابن هشام : تسفكون : تصبّون . تقول العرب : سفك دمه ، أى صبّيه ، وسفك الزق ، أى هراقه . قال الشاعر :

وكنّا إذا ما الضيفُ حلّ بأرضنا سفكنا دماء البُدن في ترّبة الحالِ

قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخاطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السّهلة . وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ أخذ من حال البحر ﴿ وَحَمَّأْتُهُ ﴾ فضرب به وجه فرعون . (والحال : مثل الحماة) .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ مُنَّمْ أَقْرَبْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ على أن هذا حق من ميثاقى عليكم ﴿ مُنَّمْ أَنْتُمْ هَوْلَاءُ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادَوْهُمْ ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ : فى كتابكم ﴿ إِخْرَاجُهُمْ ، أَفْقُوْهُمْ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، (أى) أفقادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك . ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا

بِالْآخِرَةِ ، فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٠٠﴾ فَأَنْبِئْهُمْ اللَّهُ
عِزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ،
وَأَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَسْرَاهِمُ .

فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَلَقَبُهُمْ ، حَلْفَاءُ الْخِزْرَجِ ، وَالنَّضِيرُ
وَقُرَيْظَةُ وَلَقَبُهُمْ ، حَلْفَاءُ الْأَوْسِ . فَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ
حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ مَعَ الْخِزْرَجِ وَخَرَجَتْ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَعَ الْأَوْسِ
يُظَاهِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حَلْفَاءَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ ، حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ
بَيْنَهُمْ وَبِأَيْدِيهِمُ التَّوْرَةَ يَعْرِفُونَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ وَمَالَهُمْ ، وَالْأَوْسُ وَالْخِزْرَجُ
أَهْلُ شِرْكَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ . لَا يَعْرِفُونَ جَنَّةً وَلَا نَارًا ، وَلَا بَعَثْنَا وَلَا قِيَامَةَ ،
وَلَا كِتَابًا ، وَلَا حَلَالًا وَلَا حَرَامًا ، فَإِذَا وَضَعْتَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا افْتَدَوْا
أَسْرَاهِمُ تَصَدِيقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَأَخَذَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، يَفْتَدِي بَنُو قَيْنُقَاعَ
مَنْ كَانَ مِنْ أَسْرَاهِمِ فِي أَيْدِي الْأَوْسِ وَتَفْتَدِي النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَا فِي أَيْدِي
الْخِزْرَجِ مِنْهُمْ وَيُطْلُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الدَّمَاءِ ، وَقَتَلُوا مِنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
مُظَاهِرَةً لِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ حِينَ أَنْبِئَهُمْ بِذَلِكَ : ﴿
أَفْتَوْا مَنْنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، أَيْ تُفَادِيهِ بِحُكْمِ
التَّوْرَةِ وَتَقْتُلُهُ ، وَفِي حُكْمِ التَّوْرَةِ أَنْ لَا تَفْعَلَ ، تَقْتُلُهُ وَتُخْرِجُهُ مِنْ دَارِهِ وَتُظَاهِرُ
عَلَيْهِ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ ، وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ ، ابْتِغَاءَ عَرْضِ الدُّنْيَا . فَنَفَى
ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ - فِيمَا بَلَغَنِي - نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ

.....

بالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَىٰ بَنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴿١٠٠﴾ ، أَي الْآيَاتِ الَّتِي وَضَعْتَ
عَلَىٰ يَدَيْهِ ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَخَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ ، وَالخَبْرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْغُيُوبِ مِمَّا
يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَمَارَدٌ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ مَعَ الْإِنْجِيلِ ، الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ
إِلَيْهِ . ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، فَقَالَ : ﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ، فَفَرِّقَا كَذَّبْتُمْ ، وَفَرِّقَا تَقْتُلُونَ ﴾ ،
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ : فِي أَكْفَةِ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْيُوثٌ مُنُونٌ * وَكَلَّمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ
مِنَ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَاعَرُفُوا كَفَرُوا بِهِ فَاعْتَنَاهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ،
قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً في
الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا: إن نبياً يبعث
الآن ننبهه قد أظلم زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله رسوله
صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به . يقول الله: ﴿ فَأَمَّا جَاءَهُمْ
مَاعَرُفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بَلَسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ، أَي أَنْ جَعَلَهُ فِي غَيْرِهِمْ : ﴿ فَبَاءُوا بِقَبْضٍ
عَلَى غَضَبٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : فباءوا بفضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى
بني قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تَبَوْا بِمَثَلِهَا كَصَرْخَةِ حُبَلَى يَسْرَتِهَا فَيَبْلُغُهَا
(قال ابن هشام : يَسْرَتِهَا : أجلستها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيِّعوا من
التوراة ، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذى
أحدث الله إليهم .

ثم أنبهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجل إلهًا دون ربهم ، يقول
الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ ، فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب عند الله ، فأبوا ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم . يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَإِنْ
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ ، أى يعلمهم بما عندهم من العلم بك ،
والكفر بذلك ، فيقال : لو تمَّنَّوْهُ يومَ قال ذلك لهم مابق على وجه الأرض
يهودى إلامات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى :
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ اليهود ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَخَّرٍ حِيهِ مِنَ الْعَذَابِ
أَنْ يُعَمَّرَ ﴿١﴾ ، أى ما هو بمنجيه من العذاب ، وذلك أَنَّ الْمُشْرِكَ لَا يَرْجُو بَعَثًا
بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَهُوَ يَجِبُ طَوْلَ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْيَهُودِيَّ قَدْ عَرَفَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخِزْيِ بِمَا ضَيَّعَ مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ
عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بن (عبد) الرحمن بن أبي حسين
المسكي عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرًا من أحناب يهود جاءوا
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك
عنهن ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنَّا بك . قال : فقال لهم
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتكم
بذلك لتصدقنني ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عما بدا لكم ، قالوا فأخبرنا
كيف يشبه الولد أمه ، وإنا المنطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن
نُظْفَةَ الرجل بيضاء غليظة ، ونُظْفَةُ المرأة صفراء رقيقة ، فأبتهما علت صاحبتهما
كان لها الشبهُ ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم
بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست
به تنام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فكذلك نومي ، تنام

عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال :
أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام
والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوى ، فعافاه الله منها ،
فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرم على نفسه لحوم
الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم
بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا :
اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتي بالشدّة وبسفك
الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ
كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا
تَبَيَّنَهُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ
عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ، أَى السحر ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ
كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ ﴾ .

إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام

ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني -

لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين ، قال بعضُ أخبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بإتباعهم السحر وعملهم به . ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَا رُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الذى حرم إسرائيل على نفسه زائدنا الكعبدة والكليتان والشحمة ، إلا ما كان على الظهر ، فإن ذلك كان يُقرب للقران ، فحنا كله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يامعشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

الشُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيْفِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفُورَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسَّلْوَى ، وأنشدكم بالذي أيدس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فزعون وعمله ، إلا أخبرتموني : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كرم عليكم . ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ - فَادْعُواكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى نَبِيِّهِ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذي قبله مثل الأمهات . قال اسرؤ القيس بن حُجر الكندي :

بمَخْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَّ نَبْتُهَا بَجَرٍّ جِيُوشِ غَامِينِ وَخَيْبِ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال حميد بن مالك الأزقطي ، أحد بني ربيعة

ابن مالك بن زيد مناة :

زَرَعًا وَقَضِيًا مُؤَزَّرَ النَّبَاتِ

وهذا البيت في أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل في أبي ياسر وأخيه

قال ابن إسحاق : وكان ممن نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأحرار وكفّار يهود ، الذي كانوا يسألونه ويتمنّون له ليلبسوا الحقّ بالباطل - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب - أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ، فاتى أخاه حُيَّ بن أخطب في رجال من يهود ، فقال : تعلّموا والله ، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه : ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ، فقالوا : أنت سمعته ؟ فقال : نعم ، فمشى حُيَّ بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يا محمد ، ألم يُذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، قالوا : أجهلك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين النبيّ منهم مامدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك ، فقال حُيَّ بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفنتدخلون في دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال ماذا ؟ قال : ﴿ المص ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم

أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد - غيره ؟ قال : نعم ﴿ الرأ ﴾ قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا - غيره يا محمد ؟ قال : نعم ﴿ المرأ ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أ قليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حبي بن أخطب وابن معه من الأحرار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، كذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أنهم من أهل العلم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نجران ، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود ، ولم يُفسر ذلك لي . فإله أعلم أي ذلك كان .



كفر اليهود به صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم به وما نزل في ذلك

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس
والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل تبعثه ، فلما بعثه الله من العرب
كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر
ابن البراء بن معرور ، أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ،
فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، ونخبروننا أنه مبعوث ،
وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء
نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿ وَلَمَّا
جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعَنَّاهُ اللَّهُ
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

مازل في نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبي

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصيف ، حين بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه :
« والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

﴿ أَوْ كَلَّمَا هَادُوا عَهْدًا تَبَدُّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

مانزل في قول أبي صلوة با « ماجئتنا بشيء نعرفه »

وقال أبو صلوة بالقطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ماجئتنا
بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فننبتك لها . فأنزل الله تعالى
في ذلك من قوله : ﴿ وَاقْدُرْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ .

مانزل في قول ابن حريملة ووهب

وقال رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ،
اثنتا بكتاب أنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً تنبعك ونصدقك .
فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ .
كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :
يا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُقْتَبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْجِدِ
وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

ما نزل في صدح حي وأخيه الناس عن الإسلام

قال ابن إسحاق : وكان حِيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود للعرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُودُنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ حسداً من عند أنفسهم ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

تنازع اليهود والنصارى

عند الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولَمَّا قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَفَّرَ بَعِيسَى وَبِالإِنجِيلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَجَعَدَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ كَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى كَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، أَى كَلَّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصَدِيقٌ مَا كَفَرَ بِهِ ، أَى يَكْفِرُ الْيَهُودُ بَعِيسَى ، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا مَا أَخَذَ

الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه .

ما نزل في طلب ابن حريملة أن يكلمه الله

قال ابن إسحاق : وقال رافعُ بن حُرَيْمِلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولاً من الله كما تقول ، فقل لله فليُكلمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ، أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

ما نزل في سؤال ابن صوريا للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يهود

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيموني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهدي ، وقالت النصرارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصرارى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ثم القصة إلى قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تَسْتَلُونَهَا عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقرّدم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما ولّاك عن قبلك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا * وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ لِمَنِ يَنْقَلِبُ عَلَيْهِ عَلَى عَقَبَتِهِ ﴾ أي ابتلاء واختبار ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أي من الفتن : أي الذين ثبت الله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أي إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيكم فيها : أي ليعطينكم أجرهما جميعاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ﴾

تَرْضَاهَا ، قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوُّوْا
وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿١﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض العريب

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمـر الباهلي - وباهلة
ابن يعصر بن سمد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له .

تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدةٌ قد كارب العقد من إيفادها الخقبا
وهذا البيت في قصيدة له .

وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته :

إن النعوس بها داء مخامرها فشطرها نظراً للعينين محسور
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ،
من قوله : وهو حسير .

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ * وَلَئِنِ اتَّيْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكَلِّ
آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ
قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ،
إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ،
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرَبِّينَ ﴾ .

كتبناهم ما في التوراة من الحق

وسأل معاذ بن جبل ، أخو بني سلمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الأشهل
مخارجة بن زيد ، أخو بنديجارت بن الخزرج ، نفرأ من أخبار يهود عن بعض
ما في التوراة ، فكتموم إياه ، وأبوا أن يخبروه عنه . فأنزل الله تعالى فيهم :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ .

جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام حين دعاهم إلى الإسلام

قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى
الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ونقمته ؛ فقال له رافع بن خارجه ،
ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخبراً
مننا * فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

جمعهم في سوق بني قينقاع

ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسئلوها قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يا محمد ، لا يفترئك من نفسك أنك قتلت نقرأ من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُمْ مَبُوءَاتُكُمْ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ التَّقَاتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس

قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ، قالوا : فإن إبراهيم كان يهودياً ؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتهلم إلى التوراة ، فهي بيننا وبينكم ، فأبىا عليه . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، وَغَرَّبْنَاهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿١٠﴾

اختلاف اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام

وقال أخبارُ يهودَ ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيمُ إلا يهودياً ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيمُ إلا نصرانياً . فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنْ أَوْلَى النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ما نزل فيما همَّ به بعضهم من الإيمان غدوة

والكفر عشية

وقال عبدُ الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوةً ، ونكفر به عشيةً ، حتى نلبس عليهم دينهم لعأنهم يصنعون كما نضع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُلَدِّسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي

.....

أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاسْتَفْتَوْا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *
وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى
أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ .

مانزل في قول أبي رافع والنجراني

« أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى »

وقال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأخبار من يهود ، والنصارى
من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام :
أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من
أهل نجران نصراني ، يقال له : الربيبس ، (ويروي : الرئيس ، والرئيس) :
أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعني
الله ، ولا أمرني ؛ أو كما قال . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ ما كان
لنبي أن يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس
كونوا عبادي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب ، وبما كنتم تدرسون ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ بعد إذ
أنتم مسلمون ﴾ .

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رباني .

.....

قال الشاعر :

لو كنتُ مرَّتْهُنَا فِي الْقَوْسِ أَفْتَنِي مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِيَّ أَخْبَارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : القوسُ : صومعة الراهب . وأفتنى ، لغة تميم . وفتنى ، لغة قيس .

قال جرير :

لَا وَصَلَ إِذْ صَرَمْتُ هِنْدٌ وَلَوْ وَقَفْتُ لاسْتَنْزَلْتَنِي وَذَا الْمِسْحَيْنِ فِي الْقَوْسِ

أى صومعة الراهب . والرَّبَّانِيَّ : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفي كتاب الله : ﴿ فَيَسْتَقِي رَبَّهُ خَيْرًا ﴾ ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

ما نزل في أخذ الميثاق عليهم

قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق يتصدق به إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

.....

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار

قال ابن إسحاق : ومَرَّ شَأْسُ بن قَيْسٍ ، وكان شيخاً قد عسا ، عظيم الكُفْرِ شديد الضَّغْنِ على المُسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نَفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . في مجلسٍ قد جَمَعَهُمْ ، يتحدَّثون فيه ، فغاظه ما رأى من أَلْفَتِهِمْ وجماعتهم ، وصَلَّاحَ ذاتِ بَيْنِهِمْ على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية . فقال : قد اجتمع مَلَأُ بنى قَيْلَةَ بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع مَلَأُومٌ بها من قَرَارٍ . فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يومَ بُعَاثٍ وما كان قبَلَهُ وأنشدهم بعضَ ما كانوا اتَّفاولوا فيه من الأشعار .

شيء عن يوم بعث

وكان يوم بُعَاثٍ يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرجُ ، وكان الظفر فيه يومئذٍ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَيْرُ بن سِمَاك الأشهلي ، أبو أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ ؛ وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، فقتلوا جميعاً .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد فُجِعْتُ بذي حِفاظٍ فَمَا وَدَّني لَهُ حُزْنٌ رَصِينٌ

فَأَيُّهَا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّ عَمْرَأً أَعْضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبَ سَنِينَ
وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بُعث أطول مما ذكرت ،
وإنما منعتي من استقصائه ما ذكرت من القَـطْع .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سنَّه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق : ففعل . ففعل كَلَّمَ القومُ عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا
حتى قَوَّامَ رجُلان من الحَيِّين على الرُّكْب ، أوس بن قَيْظِي ، أحد بني
حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجِبَّار بن صخر ، أحد بني سَلَمَةَ من الخزرج ،
فَتَقَاوَلَا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْنَاهَا الآنَ جَدْعَةَ ، ففضب
الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فَعَلْنَا ، موعِدكم الظَّاهِرَةَ - والظَّاهِرَةَ : الحرَّة -
السَّلَاحَ السَّلَاحَ . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال :
يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدأعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم بعد أن
هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم
به من الكفر ، وألَّفَ به بين قلوبكم ، فمرف القوم أنها تزغة من الشيطان ،
وكيدٌ من عدوهم ، فَبَسَكُوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم
بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مُطِيعِينَ ،
قد أطفأ الله عنهم كَيْدَ عدوِّ الله شَأْسَ بن قَيْس . فأنزل الله تعالى في شَأْسِ
ابن قَيْسٍ وما صنَعَ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ،

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ . وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَوْسِ بْنِ قَيْظِي وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ وَمَن كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أُدْخِلَ عَلَيْهِمْ شَأْسٌ مِّنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آتَوَا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمُ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

مانزل في قولهم : « ما آمن إلا شرارنا »

قال ابن إسحاق : واما أسلم عبد الله بن سلام ، وتعلبة بن سَعِيَّة ، وأسيد ابن سَعِيَّة ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أخبار يهود ، أهل الكُفْر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أختيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ، مِن أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدها : إني . قال
الْمُتَنَخِّلُ الْهُذَلِيَّ ، واسمه مالك بن عويمر ، يرثى أئيلة ابنه :
حَلُّوْ مَرَّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ شِمِيئُهُ فِي كُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال كبيد بن ربيعة يصف حمار وخش :
يَطْرَبُ آنَاءَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ غَوِيَّ سَقَاهُ فِي التَّجَارِ نَدِيمُ
وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إني مقصور فيما أخبرني يونس .

﴿ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

ما نزل في ههى المسلمين عن مباطنة اليهود

قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ،
لما كان بينهم من الجوار والхلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهام عن مباطنهم :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ ، لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ،
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَآئِنَّمْ أَوْلَادُ تُحْبِبُونَهُمْ ،
وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ ، أى تؤمنون بكتابكم ،
وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق
بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مَوْتُوَا بِغِيظِكُمْ ﴿ إلى آخر القصة .

ما كان بين أبي بكر وفتحاص

ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فتحاص ، وكان من علمائهم سوأخبارهم ، ومعه خبر من أخبارهم ، يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر لفتحاص : ويحك يا فتحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونہ مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فتحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا فقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم أصحابكم ، ينهاكم عن الربا ويُعطيناها ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا . قال فغضب أبو بكر ، ففصّر وجه فتحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أي عدو الله . قال : فذهب فتحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال ، وضربتُ وجهه . فحج ذلك فتحاص ، وقال : ما قلت ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فتحاص ردا عليه ، وتصديقا لأبي بكر : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنُحْنُ أَغْنِيَاهُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ .

ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وما بلغه في ذلك من الغضب :
﴿ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ زَمِينَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا . وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

ثم قال فيما قال فنحاص والأخبار معه من يهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ ، وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا ، فَيَتْسَمَّيْتُمُ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني فنحاص ، وأشمع
وأشباههما من الأخبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا
للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس :
علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوا على هدى ولا حق ، ويحبون أن يقول
الناس قد فعلوا .

أمرهم المؤمنين بالبخل

قال ابن إسحاق : وكان كردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ،
وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبتحري بن عمرو ، وحبي بن أخطب ،
ورفاعه بن زيد بن التابوت ، يأتون رجلا من الأنصار كانوا يخاطبونهم ،

• • • • •

يَنْتَصِحُونَ لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ :
لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ فِي ذَهَابِهَا ، وَلَا تُسَارِعُوا فِي النَّفَقَةِ .
فإنكم لا تدرُونَ علامَ يكون . فأنزل الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أى من
التوراة ، التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ،
وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ .

جحدهم الحق

قال ابن إسحاق: وكان رفاعة بن زيد بن النابوت من عظماء يهود، إذا كلم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وقال : أرعنا سمعك يا محمد ، حتى
مفهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابه . فأنزل الله فيه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ
هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَبَيُّوْهُنَّ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُوا
غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا ﴾ ، (أى راعنا سمعك) ﴿ لِيًّا بِالسِّتَةِ ، وَطَمَعًا فِي الدِّينِ ،
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُوا وَانظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ،
وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم :

.

عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعاملون أن الذي جئتكم به حَقٌّ، قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد: فجدوا ما عرفوا، وأصرُّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: نَطْمَسَ: نَمَسَحَهَا فَتَسَوَّيَهَا، فَلَا يُرَى فِيهَا عَيْنٌ وَلَا أَنْفٌ وَلَا قَمٌّ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يُرَى فِي الْوَجْهِ، وَكَذَلِكَ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ . الطموس العين: الذي ليس بين جفنيه شق. ويقال طَمَسَتِ الْكِتَابَ وَالْأَثَرَ، فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ. قال الأخطل، واسمه الفوث بن هُبيرة بن الصلت التغلبي، يصف إبلا كلفها ما ذكر:

وَتَكَلِّمُنَاهَا كُلَّ طَامِسَةِ الصُّوَى شَطَوْنَ تَرَى حِرْبَاءَهَا يَتَمَلَّمُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام: واحدة الصوى: صووة . والصوى: الأعلام التي يُستدل بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَّتْ فَاسْتَوَتْ بِالْأَرْضِ، فَلَيْسَ فِيهَا

[شَيْءٌ نَاتِيٌ . . .]

النفر الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكان الذين حزبوا الأحزاب من قُريش و غطفان و بنو قُريظة حُيَيِّ بن أخطب ، و سلام بن أبي الحقيق ، أبو رافع ، و الربيع بن الربيع ابن أبي الحقيق ، و أبو عمَّار ، و وُخوح بن عامر ، و هُوذة بن قيس . فأما وُخوح ، و أبو عمَّار ، و هُوذة ، فمن بني وائل ، و كان سائرهم من بني النضير . فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، و أهل العلم بالكتاب الأول ، فسألهم : دِينُكُمْ خَيْر أم دِين محمد ؟ فسألهم ، فقالوا : بل دِينكم خَيْر من دِينه ، و أنتم أهدى منه و ممن اتباعه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَفْسِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الجبَّت (عند العرب) : ما عبُد من دون الله تبارك و تعالى . و الطاغوت : كل ما أضلَّ عن الحق . و جمع الجبَّت : جُبوت ؛ و جمع الطاغوت : طواغيت .

قال ابن هشام : و بلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال : الجبَّتُ : السحر ؛ و الطاغوت : الشيطان :

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ

.....

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَآتَيْنَاهُمْ
مُلْكًا عَظِيمًا ﴿ .

إنكارهم التنزيل

قال ابن إسحاق : وقال سُكَيْن وعدي بن زيد : يا محمد ، مانعنا أن الله
أنزل على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها :
﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَشْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ
قَبْلُ ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ،
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم :
أما والله إنكم لتعلمون أني رسول من الله إليكم : قالوا : مانعنا ، وما نشهد
عليه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿ .

• • • • •

اجتماعهم على طرح الصخرة

على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن نجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيرجمنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ .

ادعائهم أنهم أحياء الله

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء ، وبنجرى بن عمرو ، وشأس بن عدي ، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذّروهم نعمته ؛ فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحبّاءه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَفْعَرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذّرم غيرَ الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم مُعاذ بن جَبَل ، وسعدُ بن عُبادة وعُقبة بن وهب : يا معشرَ يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تدكرونه لنا قبلَ مَبِيئته ، وتصِفونَه لنا بصفته ، فقال رافع بن حُرَيْمَةَ ، ووهب بن يهوذا : ما قلنا لكم هذا قطّ ، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قصّ عليهم خبرَ موسى وما لقي منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الرجم

قال ابن إسحاق : وحدثني ابنُ شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مُزينة من أهل العلم ، يحدث سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثهم : أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا في بيت المدْرَاس حين قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجلٌ منهم بعد إحصائه بامرأةٍ من يهودَ قد أحصنت ، فقالوا : ابسثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسألوه كيف الحكمُ فيهما ، وولوه

الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملتكم من التَّجْبِيَةِ والتَّجْبِيَةِ : الخلد بجبل من ليف مَطْلِيٍّ بقار ، ثم تُسَوِّدُ وجوههما ، ثم يُحْمَلَانِ عَلَى حَمَارَيْنِ ، وَتُجْعَلُ وَجُوهُهُمَا مِنْ قَبْلِ أَدْبَارِ الْحَمَارَيْنِ - فَاتَّبِعُوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ ، وَصَدَقُوهُ ، وَإِن هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَاجْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلَبَ كَمُوه . فَاتَّوَّهُ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّد ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنْتِ ، فَاحْكُمِي فِيهِمَا ، فَقَدْ وَابَيْتُكَ الْحَكْمَ فِيهِمَا . فَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آتَى أَحْبَابَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَسِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ أَخْرِجُوا إِلَيَّ أَعْمَاءَكُمْ ، فَأَخْرَجَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ بني قُرَيْظَةَ : أَنَّهُمْ قَدْ أَخْرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مَعَ ابْنِ صُورِيَا ، أَبَا يَاسِرَ بْنَ أَخْطَبٍ ، وَوَهْبَ بْنَ يَهُوذَا ، فَقَالُوا هَؤُلَاءِ عِلْمَاؤُنَا . فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ حَصَلَ أَمْرُهُمْ ، إِلَى أَنْ قَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا : هَذَا مِنْ أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ .

قال ابن هشام : من قوله : « وحدثني بعضُ بني قُرَيْظَةَ - إِلَى أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ » من قول ابن إسحاق ، وما بعده من الحديث الذي قبله .

فخُلا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا مِنْ أَحَدِ ثَمَمٍ سَنًا فَأَلْظَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْأَلَةَ ، يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ صُورِيَا ، أَتُنْشِدُكَ اللَّهَ وَأَذْكَرُكَ بِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنْهُمْ لَيَمْرِفُونَ أَنَّكَ لَنْبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ . قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

عليه وسلم . فأمر بهما فرُجِمَا عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار .
ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ
الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا : آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ
قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ
يَأْتُوكَ ﴾ أي : الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا ، وأمرهم بما أمرهم به
من تحريف الحكم عن مواضعه . ثم قال : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ
مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ ، أي الرجم
﴿ فَاحْذَرُوا ﴾ إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن يزيد بن ركانة عن إسماعيل بن طلحة
بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ،
فرُجِمَا بباب مسجده ، فلما وجد اليهودي مس الحجارة قام إلى صاحبتة ، فجاءها
عليها ، بقيها مس الحجارة ، حتى قتلا جميعا .

قول : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا
منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن نافع مولى عبد الله
ابن عمر عن عبد الله بن عمر ، لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ،
دعاهم بالتوراة ، وجلس خبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ،

قال : ف ضرب عبدُ الله بن سلام يد الحبر ، ثم قال : هذه يانبيُّ الله آية الرجم ،
يَأْبَى أَنْ يَتْلَوْهَا عَلَيْكَ ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم
يامعشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حُكْمِ الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا :
أما والله إنه قد كان فينا يُعْمَلُ به ، حتى زنى رجل منَّا بمد إحصانه ، من بُيوت
الملوك وأهل الشرف ، فَمَنَعَهُ المَلِكُ من الرجم ، ثم زنى رجلٌ بَعْدَهُ ، فأراد
أن يَرْجُمَهُ ، فقالوا : لا والله ، حتى تَرْجُمَ فلانا ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا
فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَةِ ، وأمانوا ذِكْرَ الرِّجْمِ والعمل به . قال : فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أوَّل من أَحْيَى أمر الله وكتابه وعمل به ،
ثم أمر بهما فرُجِمَا عند باب مسجده . قال عبد الله بن عمر : فكنت فيمن
رَجَّمَهُمَا .

ظلمهم في الدية

قال ابن إسحاق : وحدثني داودُ بن الحُصَيْنِ عن عِكرمة ، عن ابن
عبَّاس : أن الآياتِ من المائدة التي قال الله فيها : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا * وَإِنْ حَكَمْتَ
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إنما أنزلت في الدية بين
بني النضير وبين بني قريظة ، وذلك أن قَتَلَى بنى النضير ، وكان لهم شرف ،
يُؤَدُّون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا
في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك ، فجعل الدية سِوَاء .

• • • • •

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .

قصدهم الفتنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشأس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نقتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فاتوه ، فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعناك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنجاكم إليكم ففقتضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : **وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ** بما أنزل الله ، **وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَهُمْ** ، **وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ، **فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلم** . **أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** ، **وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** * **أَفْحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ، **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** .

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو ياسر ابن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار ابن أبي إزار ، وأشبع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **﴿ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ،**

.....

وَمَا أوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَأُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾ . فلما ذكر عيسى بن مريم جعدوا نبيوته ، وقالوا : لانؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفِقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ؛ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

ادعائوهم أنهم على الحق

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن حريملة ، فقالوا : يا محمد ، ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عهدنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، واسكنكم أحدثتم وجعدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكنتم منها ما أمرتم أن تبدؤوه للناس ، فبرئت من إحدائكم ؛ قالوا فإننا نأخذ بما في أيدينا ، فإننا على الهدى والحق ، ولانؤمن بك ، ولاننتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُتَّقُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

إشراكهم بالله

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ،

وَقَرَّ دَمَ بَنِي كَعْبٍ ، وَبَحْرَى بْنِ عَمْرٍو ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ ، وَإِلَى ذَلِكَ أَذْعَوُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِهِمْ : ﴿ قُلْ : أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، أَلَأَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، قُلْ لَا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ، وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

نهيہ تعالیٰ للمؤمنین عن موادہم

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ووافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِمَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ .

سؤالہم عن قیام الساعۃ

وقال جبيل بن أبي قشير ، وشمویل بن زيد ، رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ، أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبياً كما تقول ؟ فَأَنْزَلَ

• • • • •

الله تعالى فيهما ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّ ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، تَقُلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَيَّانَ مُرْسَاهَا : متى مُرْسَاهَا . قال قيس بن الخدّادية الخزاعي :

فجئتُ ومُحَنِّي السَّرِّ بيني وبينها لأسألها أَيَّانَ مَنْ سار راجعُ ؟

وهذا البيت في قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مَراس . قال السكيت بن زيد الأسدي :

والمُصِيدِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ وَمُرْسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ

وهذا البيت في قصيدة له ومُرْسَى السفينة : حتى تنتهي . وحَفِيٌّ عنها - على التقديم والتأخير - يقول : يسألونك عنها كأنك حَفِيٌّ بهم ، فتخبرهم بما لا تخبر به غيرهم . والحَفِيٌّ : البَرُّ المتمهد . وفي كتاب الله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِهِ حَفِيًّا ﴾ . وجمعه : أَحْفِيَاءُ . وقال الأعشى بن قيس بن ثعلبة :

فإن تسألني عنى فيأربّ سائلٍ حَفِيٌّ عن الأعشى به حيث أضعدا

وهذا البيت في قصيدة له . والحَفِيٌّ أيضا : المُسْتَحْفَى عن علم الشيء . للبالغ في طلبه .

ادعائهم أن عزيرا ابن الله

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ،
ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك ،
ابن الصيف ، فقالوا له : كيف ننبئك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن
عزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ .
إلى آخر القصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يضاھون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو
أن تحدثت بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاھيك .

طلبهم كتاباً من السماء

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سعيحان ،
ونعمان بن أضاء ، وجرير بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن
مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإننا
لأنراه متسقاً كما تنسق التوراة ؟ فقال : لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة .

وقالوا اجتمعتم الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ؛ فقالوا عند ذلك ،
وهم جميع : فنحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وابن صلوبا ، وكنانة بن الربيع
ابن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشمویل بن زيد ، وجبل بن عمرو
ابن سكينه : يا محمد ، أما يمدك هذا إنس ولا وجن ؟ قال فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وإني لرسول الله ،
تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة ؛ فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله
إذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد ، فأُنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه
ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما أتى به . فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا :
﴿ قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَآؤُكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أي
تعاونوا عليه . قال الشاعر :

يأسمى النبي أصبحت للدين قواما وللإمام ظهيرا
أي عوناً ؛ وجمعه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين

قال ابن إسحاق : وقال حبي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع
وأشيع ، وشمویل بن زيد ، لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة

في العرب وليكن صاحبك ملك . ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، مما كان قصاً على قريش ، وهم كانوا ممن أسر قريشا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط .

تهجمهم على ذات الله

وغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق ، الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فمسكته ، فقال : خفف عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَأَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصيف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأوّل ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال له أوّل مرة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ

مَطُوبَاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم ، مولى بني تميم ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فاذا قالوا ذلك فقولوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليستعد بالله من الشيطان الرجيم » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الصمد : الذي يُصمد إليه ، ويُفزع إليه ، قالت هند بنت مَعْبِد بن نَضْلَةَ تَبَكَّى عمرو بن مسعود ، وخالد بن نَضْلَةَ ، عمهما الأسديين ، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي ، وبني الغريبين اللذين بالكوفة -
عليهما :

أَبَا بَكْرٍ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعْمُرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

بدء الأذان

ذكر حديث^(١) عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ، -

(١) قال الترمذي : لا تعرف له عن النبي - ص - شيئا يصح إلا هذا الحديث ، وكذا قال ابن عدي ، وخطأ الحافظ في الإصابة من قال ذلك وذكر أنه جمع له ستة أو سبعة أحاديث في جزء مفرد .

مواً كثر النسب يقولون : زيد بن عبد ربه ، و ثعلبةُ أخو زيد ذكر حديثه
عندما شاور رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأذان ، فقال بعضهم :
ناقوس كناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بوقُ كبوق اليهود ، وفي غير
السيرة أنهم ذكروا الشُّبُورَ ، وهو البوق . قال الأَصْمَعِيُّ للمُفَضَّل ، وقد
نازعه في معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأَصْمَعِيُّ لو نَفَخْتَ
في الشُّبُور ما نفعك ، تكلم كلام النمل وأصِيب !! .

وذكروا أيضاً القنْع وهو القرن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو
القُبْعُ والقُنْعُ أولى بالصواب^(١) ، لأنه من أُنْع صَوْتَهُ إذا رَفَعَهُ ، وقال
بعضهم : بل نوقد ناراً ، ونرفعهما ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال
بعضهم : بل نبعث رجلاً ينادى بالصلاة ، فبينما هم في ذلك أرى عبد الله بن زيد

(١) يذكر ابن الأثير أنها رويت بالباء والتاء والثاء والنون ، وأشهرها
وأكثرها : النون . قال الخطابي : سألت عنه غير واحد من أهل اللغة ، فلم يثبتوا لي
على شيء واحد — ثم ذكر مثل ما قاله السهيلي في اشتقاقه — ويقول الزمخشري :
أو لأن أطرافه أُنْعَت إلى داخله ، أي عطفت ، وقال الخطابي عن القبع إنه سمي
بهذا لأنه يبيع فم صاحبه ، أي يستره ، أو من قبع الجوالق والجراب إذا
ثبنت أطرافه إلى داخل . وقيل : القبع من قبع في الأرض : إذا ذهب ، وقيل :
القبع ، وهو دود يكون في الخشب . قال الخطابي : ومدار هذا الحرف على هشيم ،
وكان كثير اللحم والتحريف على جلالة عمله في الحديث هذا ويقول الدكتور
بوست عن البوق عند اليهود آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا يصوتون
بها في الأعياد ، وعند إعطاء علامة الحرب ، وما أشبه ، وكانت أبواق السكينة
من الفضة .

الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يُلقبها على بلال ، قال : يا رسول الله أنارأيتمها ، وأنا كنت أحبها لنفسي ، فقال : ليؤذن بلال ، ولتقيم أنت ، ففي هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ، ويقم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصديقي حين قال له النبي - صلى الله عليه وسلم : مَنْ أذَّن فهو أحق أن يُقيم ^(١) ، في حديث طويل إلا أنه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفریقی وهو ضعيف ^(٢) ، والأول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الأنصار أن عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضاً ، ولولا ذلك لأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) عن زياد بن الحارث الصديقي قال قال رسول الله ص ، يا أخا صداه أذن ، قال : فأذنت ، وذلك حين أضاء الفجر ، قال : فلما توضأ رسول الله ص - قام إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال رسول الله ص ، يقيم أخو صداه فإن من أذن فهو يقيم . رواه الخمسة إلا النسائي واللفظ لأحمد .

(٢) وثقه يحيى بن سعيد القطان ، قال أحمد : حديثه منكر . قال يعقوب ابن شيبه : رجل صالح من الأمرين بالمعروف ، وقال ابن عدى : عامة ما برويه لا يتابع عليه . قال البخاري : هو مقارب الحديث مات سنة ١٥٦ هـ خلاصة تذهيب الكمال . وقال الترمذي عن هذا الحديث : إنما نعرفه من حديث الإفريقي ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره . وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقي . قال : ورأيت محمد بن إسماعيل يقوى أمره ، ويقول : هو مقارب الحديث ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم . وكان سفيان الثوري يعظمه نيل الأوطار - ص ٢ ص ٥٦ ط عثمان خليفة .

وهناك تناقض بين نقل الخرجي في التذهيب ، وبين ما في نيل الأوطار في حكم يحيى بن سعيد . وحديثه فأقام هو ، وأذن بلال ، في إسناده محمد ابن عمر الرافعي ، وهو ضعيف ضعفه القطان وابن نمير ويحيى بن معين .

بالأذان، وقد تكلمت العلماء في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه، ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية، وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - له: إنها لرؤيا حق، ثم بنى حكم الأذان عليها، وهل كان ذلك عن وحي من الله له، أم لا؟ وليس في الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وحي، وتكلموا: لِمَ لَمْ يُؤذَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل أذُن قط مرّة من عمره دهره أم لا؟ .

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحي فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الإسراء، وأُسميه مشاهدةً فوق سبع سموات^(١)، وهذا أقوى من الوحي، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة، وأرادوا إعلام الناس بوقت الصلاة تلبّث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا، فوافقت ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم؛ فلذلك قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه في السماء، أن يكون سنة في الأرض^(٢)، وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر الأنصاري

(١) رواه البراز في مسنده، وفي إسناده: زياد بن المنذر الحمداني أو النهدي أبو الجارود الأعمى الكوفي رأس الجارودية مبتدع ضال. كذبه ابن معين. وقال عنه كذاب عدو الله واتهمه ابن حبان بالوضع. وقال الذهبي وابن كثير: هذا الحديث من وضعه، فكيف يستند السهيلي إلى حديث مثل هذا؟ وفي هذا الحديث يزعم أن النبي صعد إلى ما فوق السماء بالبراق.

(٢) كل هذا يبينه على بيت عنكيبوت. يتمثل في صورة حديث لعن الله مقتربه.

مع أن السكينة تنطق على لسان عُمر و اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التنويه من الله لهبده ، والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنونه به وأفضم الشأنه ، وهذا معني بيبن فإن الله سبحانه يقول : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فَمِنْ رَفَعِ ذِكْرَهُ أَنْ أَشَادَ بِهِ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ . فَإِنْ قِيلَ : وَمَنْ رَوَى أَنَّهُ أَرَى النَّدَاءَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، قُلْنَا : هُوَ فِي مَسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْبَزَارِ .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي سماعاً وإجازةً عن أبي علي الفسائي عن أبي عمر النعمري بإسناده إلى البزار ، قال البزار : نا محمد بن عثمان بن مخلد ، نا أبي عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بدابةٍ يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت ، فقال لها جبريل : استكئي فوالله ما ركبتك عبدٌ أكرم على الله من محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن - تبارك وتعالى - قال : فبينما هو كذلك ، إذ خرج ملكٌ من الحجاب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا جبريل من هذا ؟ فقال والذي بعثك بالحق إنى لأقرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقتُ قبل ساعتى هذه ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا ، قال : فقال

لِلْمَلَكِ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي
أَنَا أُرْسِلْتُ مُحَمَّدًا ، قَالَ الْمَلَكُ حَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ :
اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ
أَنَا أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ
عَبْدِي أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فَقَدَّمَهُ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ ، فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : يَوْمَئِذٍ
أَكَمَلَ اللَّهُ لِحَمْدِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشَّرْفَ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

قال المؤلف : وأخبرني بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يفضده ويشأكله
من أحاديث الإسراء في مجموعها يحصل أن معاني الصلاة كلها وأكثرها ،
قد جمعتها ذلك الحديث ، أعني الإسراء ، لأن الله - سبحانه - رفع الصلاة التي
هي مُنَاجَاةٌ عَنْ أَنْ تُفَرَّضَ فِي الْأَرْضِ ، لَكِنِ بِالْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَعِنْدَ
الْكَعْبَةِ الْعَالِيَا ، وَهِيَ الْبَيْتُ الْمُعْمُورُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ هَذَا الْفَرْضِ ، وَنَبْذًا
مِنْ هَذَا الْمَقْصِدِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَيَنْضَافُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ
الْأَذَانِ الَّذِي تَضُمُّهُ حَدِيثُ الْبِزَارِ مَعَ مَا رَوَى أَيْضًا أَنَّهُ مَرَّةٌ وَهُوَ عَلَى الْبِرَاقِ
بِمَلَائِكَةِ قِيَامٍ ، وَمَلَائِكَةِ رُكُوعٍ ، وَمَلَائِكَةِ سُجُودٍ وَمَلَائِكَةِ جُلُوسٍ ،
وَالسَّكَلُ يُصَلُّونَ لِلَّهِ ، فَجُمِعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ فِي صَلَاتِهِ ، وَحِينَ مَثَلُ بِالْمَقَامِ
الْأَعْلَى ، وَدَنَا فَتَدَلَّى أَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولَ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ إِلَى قَوْلِهِ : الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ ،
فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ السَّلَامُ

(م ٢٥ - الروض الأنف ج ٤)

علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله ،
وأشهد أن محمدا رسولُ الله ، فجمع ذلك له في تشهده .

وانظر بقلبك كيف شُرِعَ له عليه السلام ولأئمة أن يقولوا تسع مرات
في اليوم والليلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام
علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة
طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحيةً من
عند الله ، ومن ثم قال : الطيبات المباركاتُ ، كما في رواية ابن عباس في التشهد
انظر إلى هذا كله كيف حيا وحيُّ تسع مرات ، حَيَّتِه ملائكة كلِّ سماء ،
وحَيَّاهم ، ثم ملائكة الكرسي ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسع ، فجعل
التشهد في الصلوات على عدد تلك المرات التي سلمَ فيها وسلِّمَ عليه ، وكلها تحياتٌ
لله ، أي : من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نُسكت ذكرناها في شرح سُبحانِ
الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعضٍ عَرَفْتَ جملة من أسرارِ
الصلوة وفوائدها الجليلة دون الخفية ، وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديثُ
الإسراء من أنوارها ، وما في الأذان من لطائف المعاني والحِكَم ، في افتتاحه
بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار ، وقول : لا إله إلا الله في آخره ،
وأشهد أن لا إله إلا الله في أوله ، وما تحت هذا كله من الحِكَم الإلهية التي
تملأ الصدور هَيْمة وتُنوِّر القلوب بنور المحبة ، وكذلك ما تضمنته الصلاةُ
في شَفْعها وَوَتْرها والتكبير في أركانها ، ورفع اليدين في افتتاحها ،
وتخصيص البقعة المكرَّمة بالموجِّه إليها ، مع فوائد الوضوء من الأحداث لها ،
فإن في ذلك كله من فوائد الحِكمة ، ولطائف المعرفة ما يزيد في تَلَج الصدور ،

وَيَكْحُلُ عَيْنَ الْبَصِيرَةِ بِالضِّيَاءِ وَالنُّورِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَنْزِعَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزَعِ
فَلَسَفِيٍّ أَوْ مَقَالَةِ بَدِيعِيٍّ ، أَوْ رَأْيِ مَجْرَدٍ مِنْ دَلِيلِ شَرْعِيٍّ ، وَلَكِنْ
بِتَلْوِيحَاتٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَإِشَارَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ وَاللِّسَانِ يَعْضُدُ بَعْضُهَا بِمِضَا ،
وَيُنَادِي بَعْضُهَا بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢ . لَكِنْ أَضْرَبْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَنْ بَثِّ هَذِهِ
الْأَسْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ ، وَيَشْغَلُ عَمَّا صَدَدْنَا إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ
الْكِتَابِ ، وَوَعَدْنَا بِهِ الْفَاضِلَ فِيهِ مِنْ شَرْحِ لَفَاتٍ وَأَنْسَابٍ وَأَدَابٍ ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَمَانُ .

وقد عُرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيةها برواية ابن إسحاق وغيره ،
ولم تُعَرَفْ كَيْفِيَّتُهُ رُؤْيَا عَمْرٍو حِينَ أَرَى النَّدَاءَ ، وَقَدْ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ ،
لَكِنْ فِي مُسْنَدِ الْحَارِثِ بَيَانٌ لَهَا . رَوَى الْحَارِثُ [بْنُ أَبِي أُسَامَةَ] فِي مُسْنَدِهِ (١)
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَدَّانَ بِالصَّلَاةِ جَبْرِيْلُ أَدَّانَ
بِهَا فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فَسَمِعَهُ عُمَرُ وَبِلَالٌ فَسَبَقَ عُمَرُ بِلَالًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبِلَالٍ : سَبَقَكَ بِهَا عُمَرُ ، وَذَكَرَ
بَاقِي الْحَدِيثِ . وَظَاهِرٌ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ عُمَرَ سَمِعَ ذَلِكَ فِي الْيَقِظَةِ ، وَكَذَلِكَ رُؤْيَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ فِي الْأَذَانِ رَأَاهَا ، وَهُوَ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقِظَانِ : قَالَ : وَلَوْ شِئْتُ
لَقُلْتُ : كُنْتُ يَقِظًا نَا (٢) .

(١) رواه بسند واه عن كثير الحضرمي .

(٢) في رواية معاذ بن جبل عند الإمام أحمد : ولو قلت : إني لم أكن

فإنما لصدقت

فصل : وأما قولُ السائل : هل أذَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قطُّ ، فقد روى الترمذى من طريقِ يدور على عمر بن الرماح (١) يرفعه إلى أبي هريرة (٢) أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أذَّن في سفرٍ ، وصلى بأصحابه ، وهم على رَواحِلِهِمْ ، السماء من فوقهم والْبِلَّةُ من أسفلهم ، فنَزَعَ بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذَّن بنفسه ، وأسندَه الدَّارِقُطَنِي بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عمر بن الرماح ، ووافقه فيما بعده من إسنَادٍ وَمَتْنٍ ، لكنه قال فيه :

= وهذا للنفس أن تلح في معرفة كيف كان ينادى للصلاة قبل الهجرة ؟ يجزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة إلى أن وقَّع التشاور في ذلك . ولكن توجد بعض الأحاديث عند الطبراني والدارقطني وغيرهما تدل على أنه شرع في مكة . غير أن رجال السند يضعفون هذه الأحاديث . على أن الحرية الرحبية التي من بها الله على نبيه وأصحابه في المدينة توحى بأن الحاجة إلى الإعلام بالصلاة راحت تلح على النفوس ، وكانت القسوة الباغية من تمريش تكبتها في النفس ، ولا تدع لها قبل الهجرة بابا تنطلق منه .

(١) هو ابن ميمون بن بحر بن سعد الرماح البلخي أبو علي أو سعد هو الرماح ، فنسبه إلى جده الأعلى قاضي بلخ المتوفى سنة ١٧١ روى له الترمذى ، ووثقه ابن معين وأبو داود

(٢) الحديث عند الترمذى والدارقطني من حديث يعلى بن مرة بن وهب الثقفي من بايع تحت الشجرة ، فسبقت السهيلي حفظه ، أو سبق مستمليه قلمه ، لأنه كان ضريرا • الزرقاني على المواهب ص ٣٨٠ > ١ وقال الترمذى عن الحديث : غريب تفرد به عمر بن الرماح ، ولا يعرف إلا من حديثه .

فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - والمُتَّصَل
يَقْضَى عَلَى الْمُجْمَلِ الْمُحْتَمَلِ ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبي أنس

واسم أبي أنس : قَيْسُ بنِ صِرْمَةَ بنِ مالِكِ بنِ عَدِي بنِ عَمْرٍو بنِ غَنَمٍ (١)
ابنِ عَدِي بنِ النَّجَّارِ الأنصاري ، وهو الذي أنزل الله فيه ، وفي عُمَرُ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُمَا : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ البقرة : ١٨٧ إلى قوله :
﴿ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ فهذه في عمر ، ثم قال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ إلى آخر الآية ،
فهذه في صِرْمَةَ بنِ أَبِي أَنَسٍ (٢) ، وذلك أن إتيان النساء ليلاً في رَمَضَانَ

(١) في الإصابة : عامر بن غانم . وفيه أيضاً : صرمة بن أنس ، ويقال :
ابن أبي أنس ، ويقال : ابن قيس وكنيته : أبو قيس . وفي حرف القاف يقول
قيس بن صرمة ، وقيل : صرمة بن مالك أبو صرمة . وقيل : قيس بن أنس
أبو صرمة . وفرق ابن حبان بين قيس بن مالك وقيس بن صرمة ، فقال في كل
منهما له صحبته . وفي جبهة ابن حزم عن بني عدى بن النجار : منهم : صرمة
بن أبي أنس ، واسم أبي أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن النجار أسلم ،
وهو شيخ كبير ، وكان قد رفض الأوثان في الجاهلية ، وعمه : أنس بن صرمة
الشاعر ، وهو الذي يقول « ثوى في قريش بضع عشرة حجة . . . الخ » ص ٣٣٠
ط أولى .

(٢) ورد مثل هذا في حديث رواه أحمد وأبوداد والحاكم من طريق
عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولكن هذا لم يسمع من معاذ ، ورواية البخاري على
اختصارها عظيمة هنا ، فقد زوى بسنده عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء
رضي ، لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال

كان مُحَرَّمًا عليهم في أول الإسلام بعد النوم ، وكذلك الأكلُ والشرب
كان مُحَرَّمًا عليهم بعد النوم (١) فأما عمر ، فأراد امرأته ذات ليلة ، فقالت له :
إني قد نمت ، فقال : كذبت ثم وقع عليها ، وأما صِرْمَةٌ فإنه عمل في حائِطِه
وهو صائمٌ ، فجاء الليل وقد جَهَدَه السَّكَلَالُ فقلبتَه عَيْنُه قبل أن يفطر ، فجاءته
امرأته بطعام كانت قد صنعتَه له ، فوجدته قد نام ، فقالت له : انْحَبِيْبَةُ لَكَ حَرْمٌ
عليك الطعامُ والشرابُ فبات صائمًا ، وأصبح إلى حائِطِه يعمل فيه ، فرأه به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طَلِيحٌ قَد جَهَدَه العطشُ مع ما به من
الجوع والنَّصَبِ ، فسأله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بقصته فرقَّ
له عليه السلام ، ودمعت عيناه ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الرُّخْصَةَ ، وجاء بالفرج . بدأ
بقصة عمر لفضله ، فقال : ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهن ﴾ ثم بَصِرْمَةٌ فقال : ﴿ وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا ﴾ قال بعضُ أشيَاحِ الصَّوْفِيَّةِ : هذه العناية من الله أخطأ عمر خَطِيئَةَ
فَرِحَتْ الأُمَّةُ بِسَبَبِهَا (٢) .

== يخونون أنفسهم ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ،
فتاب عليكم) الآية .

(١) وقيل : كان إلى صلاة العشاء ، أو ينام .

(٢) الرواية الصحيحة عند البخاري ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فهي ليست

خطيئة ، ولا خطأ عمر وحده ، وإن صح الحديث الذي ينسب إلى عمر هذا .

من شرح شعره :

وذكر من شعر صرمة :

فأوصيكم بالله والبرِّ والتقى وأعراضكم والبرِّ بالله أولُ

برفع البر على الابتداء ، وأولُ خبرٌ له ، وقد يحتمل في الظاهر أن يكون ظرفاً في موضع الخبر ، ولكن لا يجوز ذلك في هذه الظروف المبنية على الضمِّ أن تكون خبرَ المبتدأ ، لا تقول : الصلاة ، قبلُ إلا أن تقول : قبل كذا ، ولا الخروج بعدُ إلا أن تقول : بعد كذا ، وذلك ليسرَّ دقيق قد حوِّم عليهما ابنُ جنِّي (١) فلم يُصِبِ المَفْصِل ، والذي منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملقوطة بها لأنها غاياتٌ لأفعالٍ متقدمة ، فإذا لم تأتِ بفعل يعمل فيها ، لم تكن غايةً لشيء مذكورٍ ، وصار العامل فيها معنوياً ، وهو : الاستقرار ، وهي مضافة في المعنى إلى شيء ، والشيء المضاف إليه معنوي ، لا لفظي ، فلا يدل العاملُ المعنوي على معنوي آخر ، إنما يدل عليه الظاهرُ اللفظي ، فتأملهُ ، فالضمة في أولُ على هذا حركة إعراب ، لا حركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أولُ لكانت حركة بناء ، لكن من رواه : والبرُّ بالله أولُ بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه : أوصيكم وفيه : وإن أنتم أمعزتم فتمغفوا ، الإمرارُ : الفقرة (٢) .

(١) أنظر ص ٣٦٢ > ٢ الخصائص لابن جنِّي .

(٢) في رواية - كما ذكر الحشني - أمعزتم : أي أصابتكم شدة ، من قولهم

رجل ما عز ومعز أي شديد .

ومن شعره :

سَبَّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلَّ هِلَالٍ

الشرق : طلوع الشمس ، وهو من أسمائها أيضا ، وكذلك الشَّرْقُ بفتح الراءِ وكُلَّ هِلَالٍ بالنصب على الظرف ، أى : وقت كُلِّ هِلَالٍ ، ولو قلت فى مثل هذا : وكُلَّ قمر على الظرف ، لم يجوز ، لأن الهلال قد أُجْرِيَ مُجْرَى المصادر فى قولهم : الليلة الهلال ؛ فلذلك صح أن يكون ظرفا لأن المصادر قد تكون ظرفا لمعانٍ وأسرارٍ ليس هذا موضعا لذكرها ، ولو خفضت وكُلَّ هِلَالٍ عطفًا على صباح ، لم يجوز لأن الشَّرْقَ لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .

وفيه :

وله شَمْسَ النصارى

يعنى دين الشَّامِسة (١) ، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمِّسُونَ أَنفُسَهُمْ ، يريدون . تعذيبَ النفوسِ بذلك فى زعمهم .

وفيه :

يا بَنِيَّ الأرحامَ لا تَنقَطُوهَا

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى .

وقوله :

وَصِلُوهَا قَصِيرَةً مِنْ طَوَالٍ

(١) الشمساس : خادم الكنيسة ، ومرتبته دون القسيس .

وقد أملينا فيها في غير هذا الكتاب ما نعیده ههنا بحول الله ، وأملينا أيضا في معنى الرَّحِمِ واشتقاق الأم لإضافة الرَّحِمِ إليها ، ووضعها فيه عند خلق آدم وحواء ، وكون الأم أعظم حظًا في البرِّ من الأب ، مع أنها في الميراث دونه أسراراً بديعة ، ومعاني لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية ، فلتنظر هنالك .

وأما قوله : قصيرة من طوال ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صلوا قصرها من طولكم ، أى : كونوا أنتم طوالا بالصلة والبر إن قصرتم هى ، وفي الحديث : [أنه قال لأزواجه] : أَسْرَعُكُمْ حُقُوقًا بِي : أطولكن بدأ [فاجتمعن يتناولن ، فطالهن سودة ، فماتت زينب أولهن] أراد الطول بالصدقة والبر ، فكانت تلك صفة زينب بنت جحش (١) . والتأويل الآخر : أن يريد مدحا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب ، ولكنها من قوم طوال كما قال :

أحبُّ من النسوان كلَّ طَوِيلَةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ قَصِيرٌ
وقال الطائي :

أَنْتُمْ بِنُورِ النَّسَبِ الْقَصِيرِ وَطُولِكُمْ بَادٍ عَلَى الْكِبَرِ وَالْأَشْرَافِ
وَالنَّسَبُ الْقَصِيرُ : أَنْ يَقُولَ : أَنَا ابْنُ فُلَانٍ فَيُعْرَفُ ، وَتِلْكَ : صِفَةٌ

(١) المعنى في الحديث : أمدكن يدا بالمطاء من الطول ، فظننه من الطول ، وكانت زينب تعمل بيدها وتصدق به . النهاية لابن الأثير .

الأشراف ، ومن ليس بشريف لا يُعرف حتى يأتيَ بِنِسْبَةٍ ظَوِيلَةٍ يَبْلُغُ بِهَا
رَأْسَ الْقَبِيلَةِ . وقد قال رُوَابَةُ : قال لي النَّسَابَةُ : مَنْ أَنْتَ أَنْتَسِبُ ، فقلت :
رُوَابَةُ بن العَجَّاج ، فقال : قَصَّرْتَ وَعُرِفْتَ . وقوله :

إِنْ خَزَلَ التَّخُومَ ذُو عُقَالٍ

التَّخُومُ : جمع : تَخُومَةٌ ، ومن قال : تَخُمُّ في الواحد ، قال في الجمع تَخُومٌ
بضم التاء (١) ، وأراد بها الأَرْفَ [أو الأَرَثَ] وهي الحدود ، وقال أبو حَنِيفَةَ :
التَّخُومُ والتُّخُومُ : حُدُودُ الْبِلَادِ وَالْقُرَى ، ولم يذكر في حدود الأَحْقَالِ
الأَرْفَ . والعُقَالُ . ما يمنع الرجل من المشي ، ويعقلها يريد أن العَظْمَ يُخَلِّفُ
صَاحِبَهُ وَيَعْقِلُهُ عَنِ السَّبَاقِ ، وَيُخَبِّسُهُ فِي مَضَائِقِ الْإِحْتِاقِ .

وذكر قصيدته اليائمية ، وقال فيها : فَطَأَ مُعْرِضًا . البيت ، قال ابن هشام :
هو لأَفْنُونِ التَّغْلِبِيِّ ، واسمه صُرَيْمُ بن مَعَشَرٍ [بن ذُهَلِ بن تيم بن عمرو
ابن عمرو بن مالك بن حُبَيْبِ بن عَمْرٍو بن غَنَمِ بن تغلب (٢)] . قال المؤلف
وسمى أفنوناً في قول ابن دُرَيْدٍ لبيت قاله فيه :

(١) يرى لفراء أنها بضم التاء ، ويرى الكسائي أنها بفتحها ويقول أبو عبيد:
أصحاب العربية يقولون : هي التخوم بفتح التاء ويجعلونها واحدة ، وأما أهل الشام
فيقولون : التخوم يجعلونها جمعا ، والواحد : تخم . وقال ابن بري تخوم وتخوم
وزبور وزبور ، وعذوب وعذوب - بالفتح أو الضم - في هذه الأحرف الثلاثة .
وينسب هذا البيت أيضاً إلى أحيحة بن الجلاح .

(٢) وأفنون بضم الأول أو فتحه ، وفي مؤلف الأمدى أن اسمه : ظالم .

مَنْيَتَنَا الرَّوَّ بِأَفَنُونَ مَظْنُونًا (١)

أو نحو هذا اللفظ . والأَفَنُونَ : الضُّعْفُ الناعم ، والأَفَنُونَ أيضاً المجوز

الفانية ، وأفَنُونَ هو الذى يقول :

لو أننى كنتُ من عَادٍ ومن إرَمٍ
لَمَا وَقَوَا بِأخيهِم من مُهَوِّلَةٍ
أَتَى جَزَوًا عَامِرًا سُوءَى بِفَعْلِهِم
أم كيف يَنْفَع ما تُعْطَى العَلُوقُ بِهِ
غَدَى بِهِمِ وَلَقَمَانٍ وَذَى جَدَنِ
أَخَا السَّكُونِ وَلَا جَارُوا عَنِ السَّنَنِ
أم كيف يَجْزُو نَبِيَّ الشَّوَى مِنَ الْحَسَنِ
رِيْمَانٌ أَنْفٍ إِذَا مَاضُنَّ بِاللَّبَنِ (٢)

(١) فى سمط الآلى :

منيتنا الود يامضنون مضموننا أزماننا إن للشبان أفنونا
وبعض الشطرة الآخيرة فى الاشتقاق لابن دريد . انظر ص ٦٨٤ السمط ،

ص ٢٣٦ الاشتقاق

(٢) البيت الاول فى اللسان ، وفيه : د ولقمانا وذاجدن ، وفى المفضليات
الضبي ص ٣٠ ط ١٣٢٤ هـ ، وفى البيان والتبيين ٢ ص ٩ ط ١٣٦٧ هـ
« ربيت فيهم ، ومن لقمان أوجدن ، وعدة القصيدة فى المفضليات تسمة أبيات ،
ومنها فى البيان أربعة الأبيات التى ذكرها السهلبى ، ومنها فى أمالى القالى البيت
الثالث والرابع ص ٥١ ط ٢ ، وفى سمط الآلى ورد قبل البيت الثالث بيتان
آخران . وفى البيان والتبيين عن ريمان د أصله : الرقة والرحمة والرهوم أرق
من الرهوف ، فقال : د ريمان أنف ، كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن ، ص ٩
٢ وفى معنى اللبيب لابن هشام ورد البيتان الثالث والرابع . وفيه عن العلق :
للناقة التى علق قلبها بولدها ، وذلك أنه ينحر ، ثم يحشى جلده تبنا ، ويعمل بين
يديها لتشمه ، فتدر عليه ، فهى تسكن إليه مرة وتنفر عنه أخرى ، وهذا
البيت ينشد لمن يعد بالجميل ، ولا يفعله ، لانطواء قلبه على ضده . هذا وقد نقل
عن الكسائى أنه يرى رفع ريمان على أنها بدل من ما ، كما يرى نصبها بتعطى ،
وجرها على أنها بدل من الهاء ، أما الاصمعى وابن السجورى فينسكرا فى الرفع . أنظر =

وقول ابن هشام في البيتين : فَطَأُ مُعْرِضًا وَالَّذِي بَعْدَهُ أَنَّهُمَا لِأَفَنُونَ
التَّغْلِبِيُّ مذكور عند أهل الأخبار ، ولها سبب ذكروا أن أفنونا خرج
في ركب ، فرؤا بَرَبُوتَةَ تعرف : بِالْإِلَهَةِ (١) ، وكان الكاهنُ قبل ذلك
قد حدثه أنه يموت بها ، فر بها في ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأُعلم
باسمها ، كره المرور بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يَمْرُوا بها ، وقالوا له : لا تنزل
عندها ، ولكن نَجُوزُهَا سَعْيًا ، فلما دنا منها بركت به ناقته على حية ، فنزل
لينظر فَنَهَشَتْهُ الحيةُ ، فمات ، فمُتْرُهُ هنالك ، وقيل في حديثه : إنه مرَّ بها ليلا ،
فلم يعرف بها حتى رَبَضَ البَعِيرُ الذي كان عليه ، وعلم أنه عند الإلهة فَجَزَع ،
فقيل له : لا بأس عليك ، فقال فِلمَ رَبَضَ البَعِيرُ ، فأرسلها مثلا. ذكره يعقوب ،
وعندما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبعدهما :

كُنِّي حَزَنَانُ بِرَحَلِ الرَّكْبِ غُدُوَّةً وَأُتْرَكَ فِي جَنَبِ الْإِلَهَةِ ذُؤَابًا (٢)

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدِّي بن أخطب ، بالجيم ، وهو أخو حُيِّ بن أخطب .

== ص ٤٠ ح ١ معنى اللبيب ط ١٣٢٨ والابيات مشروحة بالتفصيل في المفضليات ،
وخزانة الأدب للبغدادى .

(١) الإلاهة على وزن الفعالة : قارة بالسارة من دار كلب ، وهى بين ديار
تغلب والشام .

(٢) أنظر عن القصة ص ١٨٦ > ١ معجم ما استعجم .

وأما حُدَيِّ بالحاء ، فذكره الدَّارِقُطْنِي فِي نَسَبِ عَتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ
ابْنِ حُدَيِّ التَّمِيمِيِّ فَارِسِ الْعَرَبِ .

وذكر عزيز بن أبي عزيز وألفيت بخط الحافظ أبي بحر في هذا الموضع
يقول عزيز بن أبي عَزِيزٍ ، بَزَائِينَ قَيْدَانَاهُ فِي الْجُزءِ قَبْلَ .

وذكر ثعلبة بن الفِطْيُونِ وَالْفِطْيُونِ كَلِمَةٌ عِبْرَانِيَّةٌ ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ
مَنْ وُلِيَ أَمْرَ الْيَهُودِ ، وَمَلَكَهُمْ ، كَمَا أَنَّ النَّجَاشِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
الْحَبَشَةَ ، وَخَاقَانَ مَلَكَ التُّرْكِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ جُمْلَةٌ .

وذكر فيهم عَبْدَ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا^(١) الْأَعُورِ ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِالتَّوْرَةِ ،
ذَكَرَ النَّقَّاشُ أَنَّهُ أَسْلَمَ لِمَا تَحَقَّقَ مِنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي التَّوْرَةِ ،
وَأَنَّهُ هُوَ وَليْسَ فِي سِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذَكَرَ إِسْلَامَهُ .

يهود المدينته :

فصل : وقوله : ومن يهود بني زُرَيْقٍ ، ومن يهود بني حارثة ، وذكر
قبائل من الأنصار ، وإنما اليهودُ بنو إسرائيلَ ، وجملة من كان منهم بالمدينة
وخبير إمامهم [بنو] قُرَيْظَةَ [وبنو] النَّضِيرَ وَبَنُو قَيْمُقَاجَ ، غير أن في الأوسِ
وَأَنْخَزَرَجَ مِنْ قَدْتَهُودَ ، وَكَانَ مِنْ نَسَائِهِمْ مَنْ تَنَذَرُ إِذَا وُلِدَتْ إِنْ عَاشَ
وَلَدُهَا أَنَّ تَهُودَهُ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ عِنْدَهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ وَكِتَابٍ ، وَفِي هَؤُلَاءِ

(١) فِي الْأَصْلِ : صُورِي ؛ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْقَامُوسِ . وَفِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَذَا
أَسْلَمَ بِمُ كَفَرٍ .

الأبناء الذين تهوّدوا نزلت ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ البقرة : ٢٥٦ حين أراد آباؤهم إكراههم على الإسلام في أحد الأقوال (١) .

السحر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وأما لبيدُ بن الأعصم ، الذي ذكره من يهودِ بنى زُرَيْقٍ ، وقال : هو الذي أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نساءه يعني من الأخذة ، وهي ضربٌ من السحر . في الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية ، كان مؤخذاً عن مسجدِ النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يدخله ، وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره في مُشَطِّ ومُشَاطَةٍ .

(١) الحديث مروى عن ابن عباس: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجلت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا ، فأتوا الله عز وجل : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) رواه أبو داود والنسائي جميعا عن بندار به ، ومن وجوه آخر عن شعبة به نحوه ، ورواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه . وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصرى وغيرهم . وبسند آخر روى ابن إسحاق عن ابن عباس نفسه أنها نزلت في رجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له: الحصيني كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبي « ص ، ألا أستكرهما . فانهما قد أبيا لإلا النصرانية ، وقيل غير ذلك . ويقول ابن كثير في تفسير الآية « لا تكروها أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، . . . وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الانصار ، وإن كان حكمها عاما ،

وروى : مُشَاقَّةٌ بِالْقَافِ ، وَهِيَ مُشَاقَّةُ السَّكَنَانِ ، وَجُفٌّ طَلَمَةٌ ^(١) ذِكْرٌ ، هِيَ
فُحَّالُ النَّخْلِ ، وَهِيَ ذُكَّارُهُ . وَالْجُفُّ : غِلَافٌ لِلطَّلَمَةِ ، وَيَكُونُ لغيرِهَا ، وَيُقَالُ
لِلْجُفِّ الْقِيَمَاءُ وَتُصْنَعُ مِنْهُ آتِيَةٌ يُقَالُ لَهَا : التَّلَاتِلُ [جمع : تَلَاتِلَةٌ] قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ
وَدَفَنَهُ فِي بَيْرِ ذِي أَرْوَانَ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ : ذَرْوَانَ تَحْتَ رَاعُوفَةَ
الْبَيْرِ [أَوْ أَرْوُوقَهَا] ، وَهِيَ صَخْرَةٌ فِي أَسْفَلِهِ يَقِفُ عَلَيْهَا الْمَائِخُ ^(٢) ، وَهَذَا
الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّاسِ ، ثَابِتٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ
فِي السُّكْتِ الْمَشْهُورَةِ : كَمْ لَبِثَ - رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذَلِكَ السَّحَرِ ،
حَتَّى شَفِئِي مِنْهُ ، ثُمَّ وَقَعْتُ عَلَى الْبَيَانِ فِي جَامِعِ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ . رَوَى مَعْمَرٌ
عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ
يَفْعَلُ الْفِعْلَ ، وَهُوَ لَا يَفْعَلُهُ ^(٣) ، وَقَدْ طَعَنَتِ الْمُعْتَزَلَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَطَوَائِفُ
مَنْ أَهْلُ الْبِدْعِ ، وَقَالُوا لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُسْحَرُوا ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يُسْحَرُوا ،
لَجَازَ أَنْ يُجْتَنُوا . وَنَزَعَ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾
وَالْحَدِيثُ ثَابِتٌ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ ، وَلَا مَطْمَئِنَ فِيهِ مِنْ جِهَةِ النِّقْلِ ، وَلَا مِنْ
جِهَةِ الْعَقْلِ ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ إِنَّمَا وَجَبَتْ لَهُمْ فِي عَقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، وَأَمَّا أَبْدَانُهُمْ ،
فَإِنَّهُمْ يُبْتَلَوْنَ فِيهَا ، وَيُخَلَّصُ إِلَيْهِمْ بِالْجِرَاحَةِ وَالضَّرْبِ وَالسَّمُومِ وَالْقَتْلِ .

(١) الطلعة : القطعة من طلع النخل ، والطلع : غلاف يشق الكوز يفتح
عن حب منضود ، فيه مادة إخصاب النخلة

(٢) الراعوفة أيضا صخرة تكون على رأس البئر يقوم عليها المستقى ،
والمائخ : المستقى .

(٣) أليس التخيل تخليطا أو اختلاطا عقليا ؟

والأخذة التي أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا الفن ،
إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَعْضِ جَوَارِحِهِ دُونَ بَعْضِ (١) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فَإِنَّهُ قَدْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ

(١) نعرض هنا بعض روايات الحديث . روى الإمام أحمد بسنده عن زيد
ابن أرقم قال : سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك
أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، وعقد لك عقدا في
بئر كذ وكذا ، فأرسل إليها من يحيى بها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاستخرجها ، فجاءه بها ، فخلها ، قال : فقام رسول الله ص ، كأنما نشط من
عقال ، فاذا ذكر ذلك اليهودي ، ولا رآه في وجهه حتى مات . ورواه النسائي عن
هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضري . ويثبت الحديث أن رسول الله ص ،
اشتكى أياما لكن لم يذكر ما اشتكى منه ، ولا تحددت عن المشط والمشاطة
ولا شيء مما ورد . ويقول ابن الأثير عن التعبير بكأنما نشط من عقال أن التعبير
بنشط ليس بصحيح ، والصواب : أنشط يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها ،
وأنشطتها وأنشطتها : إذا حللتها . . أقول : وهذا التعبير يؤكد أن ما أصاب
النبي ص ، كان يشمل كل جسده .

أما البخاري فيروى بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله ص ، سحر
حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من
السحر ، إذا كان كذا . فقال يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه .
أفتاني رجلان فقعدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي
للآخر . ما بال الرجل ؟ قال مطبوب ، المطبوب : المسحور ، قال : ومن طبه ؟
قال لبيد بن أعصم ، رجل من بني زريق حليف اليهود ، وكان منافقا ، قال : وفيه ؟
قال : في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : في جف طلعة ذكر تحت رعوقة في
بئر ذروان . قالت : فأتى البئر ، حتى استخرجه . فقال : هذه البئر التي أريتها ، وكان
ماءها نقاعة الحناء ، وكان نخلها رموس الشياطين ، قال فاستخرج ، فقلت : =

== أفلا تنشرت ، فقال : أما الله فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس
شرا ، وأسندته من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض ، وأبي
أسامة ، ويحيى القطان ، وفيه قالت : حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يفعله ،
وعنده ، فأمر بالبئر ، فدفنت ، وذكر رواية عن هشام أيضا ابن أبي الزناد ،
واليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة ، وعبدالله
ابن نمير ، ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ، ورواه الإمام أحمد أيضا عن
إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي دس ،
سنة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي ، فاتاه ملسكان ، لجأس أحدهما عند رأسه ،
والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن
طبه ؟ قال : ليبد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث .

وفي بعض الروايات ورد أن الرسول دس ، أرسل عليا والزبير وعمار
البن ياسر . وأنهم وجدوا فيه وترا معقودا فيه اثنا عشر عقدة مفروزة بالإبراة ،
فأنزل الله السورتين ، فاجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .

ورواية البخاري ومسلم . لم تتحدث عن جبريل ، وإنما عن رجلين . ، ثم هي
تؤكد أنه دس ، كان مطبوبا ، أي مسحورا . وأنه كان يرى أنه يأتي النساء ،
ولا يأتيهن ، وأنه أنى الرقية . ورواية أحمد عن إبراهيم بن خالد تثبت أنه ظل
سنة أشهر يرى أنه يأتي ، ولا يأتي .

كما نجد في بعض روايات الحديث ما يفيد أن الرسول دس ، أرسل من يجيء
بالسحر ، وفي غيرها ضده .

هذا والسحر — كما يقول الراغب — يقال على معان ، الأول : الخداع
وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخرقة يد ،
وما يفعله النمام بقول مزخرف عائن للأجماع . وعلى ذلك : (سحر وأعين الناس)
(يخيل إليه من سحرهم) . . الثاني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من
التقرب إليه كقوله : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك
أثيم) وعلى ذلك قوله : (وليكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .
والثالث : ما يذهب إليه الاغتمام ، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته بغير
(م ٢٦ — الروض الأنف ج ٤)

= الصور والطباع ، فيجعل الإنسان حمارا ، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين .
وقد تصور من السحر تارة حسنة ، فقيل : إن من البيان لسحرا ، وتارة :
دقة فعله ، حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة ، وسحوا الغداء سحرا من حيث
لأنه يدق ويلطف تأثيره ، وعند ابن فارس في مقاييسه : « السين والحاء والراء :
أصول ثلاثة متباينة ، أحدها : عضو من الاعضاء ، والآخر : خدع وشبهة ،
والثالث : وقت من الأوقات ، . . ثم يقول عن السحر : « قال قوم هو لإخراج
الباطل في صور الحق ، ويقال : هو الخديعة ، هذا معنى السحر في اللغة التي
شرفها الله ، فنزل بها القرآن .

ولنتدبر معا بعض ماورد في القرآن مما لهذا الأمر صلة وثيقة به . يقص
ربنا سبحانه قول موسى للسحرة في قوله جل شأنه : (فلما ألقوا قال موسى :
ما جئتم به السحر ، إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يونس : ٨١ .
والمعنى واضح وضوح الحق في القرآن . هو أن الله سبحانه يبطل السحر الذي
يجيء به السحرة ضد النبوة . وتدبر ختام الآية الكريمة . ويقص الله سبحانه ما قاله
المشركون عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يقول الظالمون : إن تتبعون إلا
رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا ، فلا يستطيعون
سيبلا) الإسراء : ٤٧ ، ٤٨ فهت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رجل مسحور
هو قول الظالمين الذين ضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا وقد ورد هذا المعنى أيضا
في سورة الفرقان : (وقال الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف
ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا) الفرقان : ٨ ، ٩ .

كما يقص الله سبحانه أن فرعون قد هت موسى (إنى لأظنك يا موسى
مسحورا) الإسراء : ١٠١ . والمعجب هنا أن فرعون على حقه ووجوده
وتوحش الظلم في أعماقه وأعماله قال أظنك ، ونسمع من يؤكد أن النبي صلى الله
عليه وسلم يسحره يهودى ، ويظل النبي « ص » مسحورا ستة أشهر ، وهو يرى
الشيء عين نقيضه ، وإحساسه بما يوقظ الإحساس النخامد بقوة إحساس مختلط .
ماذا يدل عليه الزعم بأنه كان يرى أنه بأتى النساء ، ولا يأتين ؟ يدل على أنه قد
تجرد من كل تمييز . ولهذا قال سنيان : وهذا أشد ما يكون من السحر . إذا كان =

= مثل هذا اليهودى القذر اليد والدين واللؤم يهيمن بدجله على خير نبي ، هو خير ولي ، وخير صديق ، فإذا بقى من نبوة تقاوم ؟ وإذا كان الله سبحانه قد قال لإبليس (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، إلا من اتبعك من العاوين) الحجرات : ٢٤ ؛ أفيكون لجنده عليهم سلطان ؟ إن الشيخ السبيلى يزعم أن الأمر كان يتعلق بحسد النبي ﷺ ، لا بعقله !! كيف يزعم هذا ، وهو يروى عن رورا أنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتين ؟ وإذا كان هذا ليس تخليطاً عقلياً ، وغمة فكرية وشعورية ، فإذا يكون التخليط ، وكيف تكون الغمة الفكرية الشعورية ، وكيف نقلد فرعون والظالمين في بهت صفوة الخلق أجمعين ؟ وإذا كان قد ورد في رواية متفق عليها أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ، وما فعله ؟ وستة أشهر ؟

إن أجل ما يمتاز به الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - تلك اليقظة العقلية التي لا تغفل عن عوار في الكفر أو الخلق أو الشعور ، والتي لا يتصور مطلقاً فيها التسوية بين الشيء ونقيضه ، فكيف استطاع يهودى بمشط ومشاطة أن يجعل هذه اليقظة العقلية الملهممة الرائعة خرفاً ؟ ثم إننا لم نسمع مطلقاً فيما روى - أن الرسول ﷺ ، قد احتبس عن أصحابه ستة أشهر بسبب هذا الخرف ، أو يمكن أن نظن أنه يلتقى بالناس ويحاطبهم . ، ويعلمهم ويهديهم ، وهو بهذا الخرف ، أو بهذا الوسواس ، أو بهذا الشعور النفسى المحطم ، أو بهذا الحطام من بقايا رجل يختاره الله لحتم النبوة ، ثم يدعه لليهودى فقدر يسيطر على فكره وعاطفته وتمييزه ، فيرى الشيء عين نقيضه ؟ .

إننا حين نفترض صحة الحديث ، فإني أتصور الأمر كما يأتى : أصيب عليه العلة والسلام بمرض ما لم يمسس به نباهة عقل ، ولا تألق فكر ، ولا إشراق روح ، ولا تسامى وعى إلى أعلى الذرى التي تتكون لافق الوعي الإنسانى ، فإياك إذا كانت تهديه أضواء النبوة ، وتخلق به هدايتها؟ وأتصور أن اليهودى قام بهذا السحر ، وأن الذى كان بالرسول - صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن أتصور أنه أثر =

يُحْرَسُ فِي الْغَزْوِ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَرَ حُرَّاسَهُ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ ،
وَقَالَ : لَأَحَاجَةَ لِي بِكُمْ ، فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ مِنَ النَّاسِ ^(١) ، أَوْ كَمَا قَالَ .

فَقَهْ هَرَبْتُ السَّحْرَ :

وَأَمَّا مَا فِيهِ مِنَ الْفَقْهِ ، فَإِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ : هَلَّا تَنْشَرْتَ ، فَقَالَ : أَمَا أَنَا
فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ ، وَأُكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُشْكِلٌ
فِي ظَاهِرِهِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِشْكَالُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ الرَّوَاةِ ، فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا جَوَابَيْنِ

== من سحر اليهودي القدر ، وإنما عائشة - رضى الله عنها - هى التى ربطت بين
سحر اليهودى حين علمت بما فعله ، وبين ما أصيب به النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولا سيما وقد كان الأمر بالمدينة ، وفيها اليهود الذين كانوا يصورون للناس أن
لسحرم القدرة التى لا تقاومها قوة .

أريد أن أقول شيئاً آخر . ليس من الخير أن نقول سنداً فيه محاولة لهدم أقوى
سند في الوجود . سند النبوة الخاتمة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .
وليست العصمة التامة لاحد ، والله وحده هو الذى يعصمنا .

(١) الذى فى الصحيحين وأحمد أن عائشة - رضى الله عنها - كانت تحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة ، وهى إلى جنبه ، قالت : فقلت :
ما شأنك يا رسول الله ؟ قال لبيت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسنى الليلة . قالت :
فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقَالَ من هذا ، فقال : أنا سعد
ابن مالك ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت :
فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه . وفي بعض الروايات أن
أن هذا حدث ذات ليلة مقدمه المدينة على أثر هجرته إليه ، وبعد أن بنى بمائشة
في السنة الثانية . أما ما رواه السهيلي فقد ورد فيما روى ابن أبى حاتم والترمذى
بهم قال : وهذا حديث غريب .

لسكلامين كلاما واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضا : هَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ ،
أى : هلا استخرجت السحر من الجُفِّ والمُشَاطَةِ ، حتى ينظر إليه ، فذلك
قال : وأكره أن أثير على الناس شراً ، قال ابن بطال : كَرِهَ أَنْ يَخْرُجَهُ . فيتعلم
منه بعضُ الناس ، فذلك هو الشر الذي كَرِهَهُ .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشر غير هذا ، وذلك أن الساحر كان
من بنى زريق ، فلو أظهر سحره للناس ، وأراه إياه لأوشك أن يُرِيدَ طائفةً
من المسلمين قتله ، ويتمصّب له آخرون من عشيرته فيثور شرٌّ كثار في حديثِ
الإفك من الشرِّ ماسياً بيانه .

وقول عائشة : هلا استخرجته هو في حديثين رواهما البخارى جميعاً ،
وأما جوابه لها في حديث : هَلَا تَدَشَّرْتَ : بقوله أما أنا فقد شفاني الله ، وجوابه
لها حين قالت : هلا استخرجته : بأن قال : أكره أن أثير على الناس شراً ،
فلما جمع الراوى بين الجوابين في حديث واحد استغنى الكلام ، وإذا
نظرت الأحاديث متفرقة مُبَيَّنَّتْ ، وعلى هذا النحو شرح هذا الحديث
ابن بطال .

وأما الفقه الذى أشرنا إليه فهو لإباحة النشرة^(١) من قول عائشة :
هَلَا تَدَشَّرْتَ ، ولم ينكر عليها قولها .

(١) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا
من الجن ، سميت نشرة ، لأنه ينشر بها عنه ما خامرته من الداء . وقال الحسن :
نشرة من السحر ، وقد نشرت عنه تنشيراً .

وذكر البخاري عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن النشرة للذي يؤخذ
من أهله ، فقال : لا بأس لم ينه عن الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن
استطاع أن ينفخ أخاه فليفعل . ومن الناس من كره النشرة على العموم ،
ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعاً : أن النشرة من عمل الشيطان ،
وهذا - والله أعلم - في النشرة التي فيها الخواتم والعزائم ، ومالا يفهم من
الأسماء العجمية^(١) ، ولولا الإطالة المخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة
بالآثار ، وهذا القدر كاف ، والله المستعان . وكانت عقد السحر أحد عشر
عقدة ، فأنزل الله تعالى المعوذتين أحد عشر آية ، فأحلت بكل آية عقدة^(٢) ،
قال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ولم يقل النفاثين ، وإنما
كان الذي سحره رجلاً^(٣) والجواب : أن الحديث قد رواه إسماعيل القاضي ،

(١) من يتأمل فيما قيل عنه إنه رقى شرعية يجد دعاء إلى الله سبحانه ، فلم
تسمى هذه الدعوات الطيبات لشرات أورقي ؟ وللاسمين مالهما من إيجاب غير طيب
بل إيجاب يغلب أن يكون خبيثاً ، بل إن الكثير من الرقي هو عين الشرك . فلنقل :
إن المفروض هو الدعاء ، بدلا من القول : إن الرقي أو النشرات مباحة ، فنزح
بالناس إلى اتخاذ أحط وسائل الشرك قربا إلى الله !!

(٢) هذا مما روي بلا إسناد ، وفي حديثه نكارة وغرابة ، ورغم هذا ففي
الحديث أنها اثنتا عشرة عقدة !! أما الآيات ، فأحدى عشرة !!

(٣) يقول بعض المفسرين قولاً طيباً : المراد بالنفث في العقد : إبطال
عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حله . ويقول
الشيخ حامد الفقى رحمه الله تعليقا على تفسير ابن القيم للمعوذتين « النفث الذي
يليق بمظمة بلاغة القرآن ، وفخامة أسلوبه : هو نفث المفسدين سموهم بالكذب
والغيبة والنيمة وقالة السوء ، في عقد الصلوات بين الناس ، حتى ينكوا عرى =

بوزاد في روايته أن زينب اليهودية أعانت كبيد بن الأعصم على ذلك السحر ،
مع أن الأخذة في الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سَلَام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سَلَام بالتخفيف في المسلمين
الآن السَلَام من أسماء الله ، فيقال عبد السَلَام ، ويقال سَلَام بالتشديد ،
وهو كثير ، وإماما سَلَام بالتخفيف في اليهود ، وهو والد عبد الله بن
سَلَام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي لدى كنا نخبر أنه مُبْعَثُ مع نَفْسِ
السَّاعَةِ ، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام : إني لأجد نَفْسَ السَّاعَةِ بين
كتفي ، وفي معنى قوله : ﴿ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ ومن كان
بين يدي طَالِبِهِ ، فَنَفْسُ الطَّالِبِ بَيْنَ كَفْتَيْهِ ^(١) ، وكان النَّفْسِ في هذا الحديث

== الزوجية والمودة والرحمة وغيرها ، وشر وضرر هذا في الناس أكثر جدا من
شر من يقولون : إنهم سحرة ، ص ٥٧١ التفسير القيم ط ١ . وقيل عن تأنيث
النَّفَائِثِ أن المراد : النفوس : أقول : وهذا هو الأوفق ، وليعم كل نافث
ونافثة .

(١) فسر ابن الأثير القول بقوله : أي بعثت وقد حان قيام الساعة وقرب . .
فأطلق النفس على القرب ، وقيل معناه أنه جعل للساعة نفسا كنفس الإنسان ،
أراد : أني بعثت في وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان
إذا قرب منه ، يعني : بعثت في وقت بانث أشراطها فيه ، وظهرت علاماتها ،
ويروى في نسَمِ السَّاعَةِ . وفي الترمذي « بعثت في نفس الساعة ، فسبقتها ، كما
سبقت هذه ، وأشار بأصبعه السبابة والوسطى » .

عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة ، وكان بدؤها حين ولى أمته ظهره .
خارجا من بين ظمائرهم إلى الله تعالى ، ألا تراه يقول في حديث آخر : وأنا
أمان لأمتي ، فإذا ذهبت أمتي ما يؤعدون ، فكانت بعهده الفتنة ثم
الهرج^(١) المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بعثت أنا
والساعة كهاتين^(٢) ، بمعنى السبابة والوسطى ، وهو حديث يرويه أنس بن
مالك ، وابن بريدة عن أبيه ، وجبير بن مطعم ، وجابر بن سمرة وأبو هريرة .
وسهل بن سعد كلهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي حديث
سهل سبقتها بما سبقت هذه هذه ، يعنى : الوسطى والسبابة ، وفي بعض ألفاظ
الحديث : إن كادت لتسبقتني . ورواه أيضا : أبو جبرة فقال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : جئت أنا والساعة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه في
نفس من الساعة ، أو في نفس الساعة ، خرجها الطبري بجميع أسانيدها ،
وبعضها في الصحيحين ، وفي بعضها زيادة على بعض .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها ، وهي مما أغفله أبو عمر في كتاب
الصحابة ، وقد استدركتها عليه في جملة الاستدراكات التي ألحقناها بكتابه .

وذكر حديث مخيريق ، وقال فيه : مخيريق خير يهود ، ومخيريق مسلم ،
ولا يجوز أن يقال في مسلم : هو خير النصارى ، ولا خير اليهود ، لأن أفضل
من كذا إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه . فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا :

(١) الهرج : القتل .

(٢) متفق عليه .

لأنه قال خير يهود، ولم يقل خير اليهود، ويهود اسم علم كشمود، يقال :
لهم نسبوا إلى يهود بن يعقوب، ثم عرّبت الذال دالا، فإذا قلت : اليهود
بالألّف واللام، احتمل وجهين النسب والدين الذي هو اليهودية^(١)، أما النسب
فعلی حد قولهم التّيم في التّيميين وأما الدين فعلى حدّ قولك : النصرارى
والجوس أعنى : أنها صفة، لا أنها نسب إلى أب . وفي القرآن لفظ ثالث،
لا يتصور فيه إلا معنى واحد، وهو الدين دون النسب، وهو قوله سبحانه :
﴿ وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى ﴾ البقرة : ١٣٥ . بحذف الياء، ولم يقل :
كونوا يهوداً لأنه أراد التّهود، وهو التّدئين بدينهم، ولو قال : كونوا يهوداً
بالتدين، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين، ولو قيل لقوم من العرب :
كونوا يهوداً بغير تنوين، لكان محالاً، لأنّ تبديل النسب حقيقة محال،
وقد قيل في هود : جمع هائد^(٢)، وهو في معنى ما قلناه، فلتعرف الفرق بين
قولك هوداً بغير ياء، وبهوداً بالياء والتنوين، وبهوداً بغير تنوين، فإنها
تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يسلم من أخبار يهود على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا اثنان . وقد جاء في الحديث : لو اتبعني عشرة من اليهود
لم يبق في الأرض يهودى إلا اتبعني^(٣) . رواه أبو هريرة . وسمع كعب الأخبار

(١) ليس ديناً لهياً، إنما هو من افزاء شهبوات حاخاميم اليهود وأخبارهم .
(٢) تاب ورجع إلى الحق، وقد مثلوها في الجمع بمائل وعائط، من النوق .
مفرد حول وعوط .

(٣) في الجامع الصغير للسيوطي : لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن بي
اليهود، وذكر أن البخارى خرجه .

أبا هريرة يحدث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عشر من اليهود ، ومصدق ذلك في القرآن (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هريرة أصدق من كعب قال يحيى بن سلام كلاهما : (صدق) ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر المنافقين

فصل : وذكر نبتلاً من المنافقين ، قال : وكان أذلم ، والأذلم الأسود الطويل من كل شيء . وقيل لجماعة النمل : دبلم ، لسوادهم من كتاب العين . وذكر الحارث بن سويد ، وقتله للمجذّر بن زياد . واسم المجذّر : عبد الله ، والمجذّر : الغليظ الخلق (١) .

وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سويد وارتداده : ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ﴾ آل عمران : ٨٦ فقيل : إن هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بمن سبق في علم الله أنه لا يهديه من كفره ، ولا يتوب عليه من ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم فقيلت توبتهم . وقيل ليس فيها نفي لقبول التوبة ، فإنه قال : كيف يهدي الله ، ولم يقل لا يهدي الله ، على أنه قد قال في آخرها : (والله لا يهدي القوم الظالمين) وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي عند الصراط بالنور

(١) في الاشتقاق لابن دريد : رجل مجذّر : قصير متقارب الخلق .

التمام يوم القيامة ، فان ذلك مُتَّفِعٌ عَمَّن مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ كُفْرِهِ وَظُلْمِهِ .
سوالله أعلم (١) .

ذَكَرَ حَدِيثَ بَشِيرٍ (٢) بْنِ أَبِي بَرِيقٍ سَارِقِ الدَّرْعِيِّنِ

وَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِ : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾
النساء : ١٧ الآية : وكان من قصة الدَّرْعِيِّينَ ، وقصة بشير أن بنى أُبَيْرِقُ ،
وهم ثلاثة بَشِيرٌ وَمُبَشِّرٌ وَبِشْرٌ (٣) نَقَبُوا مَشْرُبَةً (٤) أَوْ نَقَبَهَا بِبَشِيرٍ وَحَدَهُ عَلَى
مَا قَالِ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَكَانَتِ الْمَشْرُبَةُ لِرِقَاعَةِ بْنِ زَيْدٍ ، وَسَرَقُوا أَدْرَاعَالَهُ ،
وَطَعَمَا مَا فَمَثَرَ عَلَى ذَلِكَ ، فَجَاءَ ابْنُ أَخِيهِ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ يَشْكُو بِهِمْ إِلَى رَسُولِ

(١) رَوَى النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ
رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَ ، ثُمَّ ارْتَدَ ، وَلَحِقَ بِالشَّرْكَ ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ : أَنْ
سَلُوا لِي رَسُولَ اللَّهِ : هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ، فَنَزَلَتْ : (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ) . . الآية ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَأَسْلَمَ . وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي حَقِّ الْحَارِثِ
ابْنَ سُوَيْدٍ ، وَأَنَّهُ حَسَنٌ لِإِسْلَامِهِ بَعْدَ ارْتِدَادِهِ .

وَأَذَكَرَ هُنَا مَعَانِي بَعْضِ مَا تَرَكَ السَّهْبِيُّ مِنْ شَرْحِ السَّيْرَةِ لِلنَّخْشِيِّ . الشَّمْرُ دَلَالَتُ :
الْإِبْلُ الطَّرَالُ . وَالْوَهْجُ : شِدَّةُ الْحَرِّ . بَجَادُ بْنُ عَثْمَانَ : بِالنُّونِ وَالْبَاءِ ، وَقَيْدُهُ
الدَّارِقَطْنِيُّ بِالْبَاءِ . . نَائِرُ شَعْرِ الرَّأْسِ : مَرْتَفَعُهُ . أَسْفَعُ : السَّفْعَةُ : حِمْرَةٌ تَضْرِبُ
إِلَى سَوَادٍ .

(٢) قَيْدُهُ الدَّارِقَطْنِيُّ بِضَمِّ الْبَاءِ . وَفِي السَّيْرَةِ بَفَتْحِهَا .
(٣) فِي الْأَصْلِ بِشِيرٌ وَهُوَ خَطَأٌ . وَفِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ضَبْطُ بِشِيرٍ بِضَمِّ الْبَاءِ
وَيَقُولُ النَّخْشِيُّ : وَقَعَ هُنَا بِشِيرٌ ، بِفَتْحِ الْبَاءِ ، وَقَالَ الدَّارِقَطْنِيُّ : لِأَنَّمَا هُوَ بِشِيرٌ بِضَمِّ الْبَاءِ .
(٤) بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا : الْغُرْفَةُ .

الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء عمَدُوا إلى أهل بيتٍ هم أهل صلاحٍ ودين ، فأبَدُوهم بالسَّرقة ، ورَبَوَّهم بها من غيرِ بَيِّنَةٍ ، وجعل يجادل عنهم حتى غضِبَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على قَتَادَةَ ورِفاعَةَ ، فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ وَلَا يُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ النساء ١٠٧ الآية ، وأنزل اللهُ عز وجل : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ لَئِيمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ النساء ١١٢ وكان البريء الذي رَمَوْه بالسَّرقة لبيد بن سهيل : قالوا : ما سرقناه ، وإنما سرقه أبيدُ ابن سهيل ، فبرأه اللهُ ، فلما أنزل اللهُ تعالى فيهم ما أنزل ، هَرَبَ ابنُ أبيرق السارقُ إلى مكة ، ونزل على سَلَافَةَ بنتِ سعد بن شُهَيْد^(١) ، فقال فيها حَسَّانُ بن ثابت بيتًا ، يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لى شعرَ حَسَّانِ ، وأخذت رَحْلَهُ ، فطرحتَه خارجَ المنزل^(٢) ، وقالت : حَلَقْتُ وَسَدَقْتُ وَخَرَقْتُ^(٣) إن بنتٌ فى منزلى ليلةَ سَوْدَاءَ ، فهَرَبَ إلى خَيْبَرَ ، ثم إنه نَقَبَ بيتنا ذات ليلة ، فسقط الحائطُ عليه فمات . ذكر هذا الحديثُ بكثيرٍ من ألفاظه الترمذى ، وذكره

(١) فى تفسير الطبرى : بنت سعد بن سهيل ، وفى تفسير ابن كثير : بنت سعد بن سمية .

(٢) فى تفسير الطبرى ، فوضعت على رأسها ، ثم خرجت فرمته بالإبطح .

(٣) الحالقة : التى تحلق شعرها عند المصيبة . وهى فى الأصل : حلفت وفيها ورد من حديث أنه لعن من النساء الحالقة والساقية والخارقة . وفى اللسان فى مادة حلق : وفى حديث ليس منا من سلق أو حلق أو خرق ، أى ليس من سنتنا رفع الصوت فى المصائب ولا حلق الشعر ، ولا خرق الثياب . . وسلافة تدعو على نفسها بهذه الأشياء .

الكشبي والطبري بالفاظ مختلفة ، وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره . ووقع اسمه في أكثر التفاسير : طُعْمَةَ بن أُبَيْرِق (١) وفي كتب الحديث : بشير بن أُبَيْرِق ، وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : بشير أبو طُعْمَةَ فليس طعمة إذاً اسماً له ، وإنما هو أبو طُعْمَةَ ، كما ذكر ابن إسحاق في هذه الرواية والله أعلم . وفي رواية يونس أيضاً أن الحائط الذي سقط عليه كان بالطائف لابنخبر ، كما قال ابن سلام ، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ : ما فارق محمداً من أصحابه من فيه خير . والأبيات التي روى بها حسبان المرأة ، وهي من بني عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وماسارق الدرّعين إذ كنت ذا كرا بذي كرم من الرجال أودعه
وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت يئازعها جاراتها وتنازعها
ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتم وفيكم نبي عنده الوحي واضعه

وقع هذا البيت في كتاب سيديبويه (٢) . وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحاق في رواية يونس عنه .

(١) هو كذلك في تفسير الطبري .

(٢) في سيديبويه ص ٢٤٢ > ١ ط ١ د وفينا نبي ، ويقول شارح شواهد : الشاهد فيه جرى قوله واضعه على النبي د ص ، مع إعادة الضمير على الوحي ، وهو لا يحتمل القلب كما تقدم في الباب ، وقد رد عليه هذا التقدير وجعل الضمير عائداً على الذي قد صنعتم على تقدير : وفينا نبي واضع ما قد صنعتم ، لا على الوحي كما قدره والحجة سيديبويه أن رده على الوحي أولى لأنه لا يرد : يضع فينا ما يوحى إليه ، فينبئنا بصنيعكم على الحقيقة ، وإذا رد الضمير على الذي كان التقدير : واضع الذي صنعتم =

فصل : وأنشد ابن هشام :

لَدَمَ الْوَلِيدَ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجْرِ

والبيت لقيم بن أبي ابن مقبل ، واللَّدْمُ : الضربُ ، والغيبُ : العائن من الأرض .

باب إخراج المنافقين :

وذكر ابن إسحاق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بني النجار ، ولم يُعرفه بأكثر من هذا ، وهو : أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار^(١) ، يعدُّ في الشاميين ، وهو الذي زعم أن الوترَ واجب ، فقال عبادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود في البدريين عند الواقدي وطائفة ، ولم يذكره ابن إسحاق فيهم .

== مطلقا دون ربطه بالوحي الذي هو أ كشف لحقيقته ، والوضع هنا النشر والبيت .
أقول : وما أظن حسانا ينطق بالبيت الثاني ، فهو لا يتفق مع أدب الصحابة وهو قدف لم تقم عليه بيعة .

(١) في الإصابة : مسعود بن أوس بن أصرم بن زيد الخ . وقال ابن عبد البر أدخل الواقدي وابن عمارة بين أوس وأصرم زيदा آخر . وفي جمهرة ابن حزم ص ٢٢٩ كما في الروض . ويقول جعفر المستغفرى : أبو محمد الذي كذبه عبادة في وجوب الوتر اسمه : مسعود بن زيد بن سبيع . هذا وقد وهم ابن عبد البر فزعم أن ابن إسحاق لم يذكره في البدريين ، وهو قد ذكره فيمن شهدها من بني زيد بن ثعلبة

ذكر ما أنزل الله في المنافقين :

فصل : وذكر ما أنزل الله في المنافقين والأخبار ومن يهود من صدر
سورة البقرة ، واستشهد ابن هشام على الرب بمعنى الريبة بقول خالد بن زهير
ابن أخت أبي ذؤيب ، واسم أبي ذؤيب : خُوَيْلِدُ بنُ خَالِدٍ ، والرجز الذي
استشهد بييت منه :

يا قوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتيتك من غيب
يُسْمِعُ عَطْفِي وَيَمْسُهُ ثَوْبِي كَأَنِّي أُرْبِتُهُ بِرَيْبِ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فلذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق : والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوة : وإنما هو :
﴿الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة﴾ البقرة : ٣ . وكذلك وجدته مُتَّبِعًا
عليه في حاشية الشيخ : وفي الإيمان بالغيب أحوال ، منها أن الغيب ههنا ما بعد
الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدر ، ومنها قول من قال : إن
الغيب القلب ، أي يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أي بالله عز وجل ،
وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أنس ، أي : يؤمنون بظهور الغيب ،
أي : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا
عنهم ، ويُبدلُ على صحة هذا التأويل : بسياقة الكلام ، مع قوله عز وجل ﴿يخشون
ربهم بالغيب﴾ فلا يَحْتَمِلُ قوله : يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ إِلَّا تَأْوِيلًا واحدًا ،
فاليه يردُّ ما اختلف فيه . وقوله سبحانه : لا ريبَ فيه ، وقد ارتاب فيه كثير

من الناس ، قيل : هو على الخصوص في المؤمنين ، أى لاريب فيه عند . قال المؤلف : رضى الله عنه : وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطى العموم ، وأصح منه : أن الكلام ظاهره الخير ، ومعناه : النهى ، أى : لا ترتابوا ، وهذا النهى عام لا يُخصّص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً مخضاً عن القرآن ، أى : ليس فيه ما يُريب ، تقول : رابى منك كذا وكذا ، إذا رأيت ماتنكر ، وليس في القرآن ما تُنكره العقول . والريبُ ، وإن كان مَصْدرًا فقد يُعبّر به عن الشيء الذى يُريب ، كما يُعبّر بالضيف عن الضائف ، وبالطيف عن الخيال الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ليوم لاريب فيه ﴾ فهذا خبر ، لأن النهى لا يكون في موضع الصفة .

وقوله : لاريب فيه في موضع الصفة ليوم ، والحياة بعد الموت ليس فيه ما يُريبك ، لأن من قدر على البدأة ، فهو على الإعادة أقدر ، وليس الريب بمعنى الشك على الإطلاق ، لأنك تقول : رابى منك رائب ، ولا تقول شكى ، بل تقول : ارتبت كما تقول شككت ، فالأرتياب : قريب من الشك^(١) .

وذكر قول الله سبحانه ﴿ في قلوبهم مَرَضٌ ﴾ وأصلُ المرض : الضعفُ

(١) يقول الراغب في مفرداته : الشك : اعتدال التقيضين عند الإنسان وتساويهما . والريب : أن تتوهم بالشيء ، أمراً ، فينكشف عما تتوهمه ويقول الإمام ابن تيمية في كتابه مقدمة في أصول التفسير ص ١٦ « ومن قال لاريب : لاشك ، فهذا تقريب ، وإلا فالاريب فيه اضطراب وحرارة كما قال : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فيكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة ، فالاريب ضده ، ط السلفية

توفتور الأعضاء، وهوها هنا ضَعْف اليقين، وتُفتور القلب عن كَد النظر، وعطف: غزادهم الله، وإن كان الفعل لا يُعطف على الاسم، ولا على مثل هذه الجملة، لوقايت: في الدار زيد، فأعطيته دِرْهَمًا لم يجز، ولكن لما كان في معنى قوله: غي قلوبهم مرض كَمَعْنَى مَرَضَتْ، قلوبهم صَحَّ عطفُ الفعل عليه .

وذكر قوله سبحانه: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَوَهْمٌ فِي التَّلَاوَةِ، فقال: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، كما وهم في أول السورة. وبنو إسرائيل: هم بنو يَعْقُوبَ، وكان يسمى: إِسْرَائِيلَ، أَيْ سَرِيءَ اللَّهِ^(١) لكن لم يُذَكَّرُوا فِي الْقِرَاءَةِ إِلَّا أَضْيَفُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يُسَمَّوْا فِيهِ: بَنُو يَعْقُوبَ، وَمَتَى، ذُكِرَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ لَمْ يُسَمَّ إِسْرَائِيلَ، وَذَلِكَ لِحِكْمَةِ فُرْقَانِيَّةٍ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا خُوطِبُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَذُكِّرُوا بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ مَوْعِظَةً لَهُمْ، وَتَنْبِيْهَا مِنْ غَفْلَتِهِمْ سُمُّوا بِالْأَسْمِ الَّذِي فِيهِ تَذَكُّرٌ بِاللَّهِ، فَإِنَّ إِسْرَائِيلَ اسْمٌ مُضَافٌ إِلَى

(١) في قاموس الدكتور بوست أن معنى إسرائيل هو: الأمير المجاهد مع الله، ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال عشرة الأسباط عن بيت داود وتميزهم بملكه وحدها، فأطلق عليها بملكه إسرائيل لتمييزها لها عن ملكة يهوذا. والمعجب الغريب أن الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين يقص أن الله لقب يعقوب بإسرائيل بعد أن صارح الله — وهو في صورة إنسان — يعقوب و لما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فأنخلع حق فخذه يعقوب في مصارعة معه، وقال: أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، فقرات ٢٦ — ٢٩ أولا يعرف الله اسم يعقوب؟ أو يبلغ العدوان على الله هذا الحد؟ .

(٢٧ م — الروض الاف ج ٤)

الله تعالى في التأويل . ألا ترى : كيف نَبَّه على هذا المعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بنى عبدِ الله ، إن الله قد حَسَّنَ اسمَ أبيكم يُحَرِّضُهُمْ بذلك على ما يقتضيه اسمُهُمْ من العبوديةِ لله ، فكذلك قوله سبحانه : يا بنى إسرائيلَ إنما ورد في مَعْرِضِ التَّذْكِيرَةِ لهم بدين أبيهم ، وعبوديتهِ لله ، فكان ذكرُهُم بهذا الاسمِ أليقَ بمقام التذكرة والتَّخْرِيطِ من أن يقول لهم : يا بنى يعقوبَ ، ولما ذكر مَوْهَبَتَهُ لإبراهيمَ وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوبَ كان لفظُ يعقوبَ أولى بذلك للمقام ، لأنها مَوْهَبَةٌ بِعَقِبٍ أُخْرَى ، وُبُشْرَى عَقِبَ بِهَا بُشْرَى وَإِنْ كَانَ اسْمُهُمْ يعقوبَ عِبْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ لَفْظُهُ مُوَافِقٌ لِلْعَرَبِيِّ فِي الْعَقِبِ وَالتَّعْقِيبِ ^(١) ، فَانظُرْ مُشَاكَلَةَ الْأَسْمِينَ لِلْمَقَامِينَ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ النَّظَرِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَبِلَاغَةِ أَلْفَاظِهِ وَتَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي مَنَازِلِهِ اللَّائِقَةِ بِهِ .

حديثُ أبي ياسر بن أخطب :

فصل : وذكر ابنُ إسحاقَ حديثَ أبي ياسر بن أخطب وأخيه حيي بن أخطب حين سمعا المص ^(٢) ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أُنْجِدَ إلى قوله : لعله قد جمع لمحمد وأمه هذا كله : قال المؤلف : وهذا

(١) في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عن عيسو بن إسحاق وأمهما تلدهما : وبعد ذلك خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعى اسمه : يعقوب .

(٢) تقرأ هكذا : ألف لام ميم صاد .

التول من أحبار يهود ، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل ، حتى الآن أن يكون من بعض مادات عليه هذه الحروف المقطعة ، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم^(١) . وقال في حديث آخر : لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ، ولا تُكذِّبُوهم ، وقولوا : آمنا بالله وبرسوله^(٢) ، وإذا كان في حدِّ الاحتمال وَجِبَ أن يُفحصَ عنه في الشريعة هل يُشير إلى صحته كتابٌ أو سنَّةٌ ، فوجدنا في التنزيل ﴿ ولَمَن يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ووجدنا في حديث زَمَلٍ اُنْزَاعِيٍّ حين قص على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا ، وقال فيها : رأيتك يا رسول الله على منبرٍ له سبعُ درجات ، وإلى جنبه ناقةٌ عجفاءٌ ، كأنك تبعثها ، ففسر له النبيُّ صلى الله عليه وسلم الناقةَ بقيام الساعةِ التي أنذر بها ، وقال في المنبر : ودرجاته الدنيا : سبعةُ آلاف سنةٍ بعثت في آخرها ألفا ، والحديث وإن كان ضعيفَ الإسناد ، فقد روى موقوفاً على ابنِ عباسٍ من طُرُقٍ صحَّاحٍ ، أنه قال : الدنيا سبعةُ أيامٍ كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر يوم منها . وقد مضت منه سنون ، أو قال : مئُتون ، وصحَّح أبو جعفر الطبري هذا الأصل ، وعضده بأثار ، وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُبعثُ أنا والساعة

(١) كلام يهود خرف وشعبذة ، فكيف يصدق . هذا والحروف المقطعة التي افتتحت بها السور أربعة عشر حرفاً بحذف المكرر منها بجمعها قولك : د نص حكيم قاطم له سر ، وهي نصف الحروف عدداً ، وتشتمل على أصناف أجناس الحروف .

(٢) هذا إذا كان لا يخالف نصاً صحيحاً أو عقلاً صحيحاً .

كهايتين (٢) ، وإنما سَبَقَتْهَا بما سبقت هذه هذه ، يعني : الوسطى والسَّبَابَةُ ، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام : ان يُعْجِزَ اللهُ أَنْ يُؤَخَّرَ هذه الأمة نصفَ يوم ، يعني : خمسمائة عام ، وقد خرج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً . قال الطبري : وهذا في معنى ما قبله يشهد له وبينه فإن الوسطى تزيد على السَّبَابَةِ بنصف سُبُعِ أَصْبَحٍ ، كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بذَيْفٍ عليها ، وليس في قوله : ان يُعْجِزَ اللهُ أَنْ يُؤَخَّرَ هذه الأمة نصفَ يوم ما ينفى الزيادة على النصف ، ولا في قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل في تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينهما وبين الساعة نبي غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها ، كما قال سبحانه : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ، ﴿ وَأَنى أَمْرُ اللهِ فلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ولكن إذا قلنا : إنه - عليه السلام - بُعِثَ في الألف الآخر بعد ما مضت منه سنون ، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطعة في أوائل السور ، وجدناها أربعة عشرَ حرفاً يجمعها : قولك

ألم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبي جادٍ ، فنجد : ق مائة ، و : ر مائتين ،
و : س ثلاثمائة ، فهذه ستمائة ، و : ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة

(١) متفق عليه .

وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ، و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ي عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : ه خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثة ، ولم يُسَمَّ اللهُ سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبطل أن يكون من بعض مُتَقَضِيَّاتِهَا وبعض فوائدها الإشارةُ إلى هذا العدد من السنين لما قد مناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام ، غير أن الحسابَ محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكُلُّ قَريبٍ بَعْضُهُ من بعض ، فقد جاء أشرطها ، ولكن لا تأنيكم إلا بِمَقْتَةِ^(١) ، وقد روى أن المتوكل العباسي سأل جعفر بن عبد الواحد القاضي ، وهو عباسي أيضاً : عما بقى من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إن أحسنت أمتي ، فبقاؤها يومٌ من أيام الآخرة ، وذلك ألف سنة ، وإن أساءت ، فنصفُ يوم ، ففي هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له ؛ إذ قد انقضت الحسمائة ، والأمة باقية والحمد لله^(٢) .

معاني الحروف في أوائل السور :

فصل : ولهذه الحروف في أوائل السور معانٍ جَمَّةٌ وفوائد لطيفة ، وما كان اللهُ تعالى لِيُنزِّلَ في الكتابِ مالا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيّه وذوي ألبابٍ

(١) هذا من قول الله ، وهي تضرب كل ما ذكر السهلي عن دلالة الحروف العددية ، وادمغه بأنه خرف يهودي وقد كذب الواقع ماخرفوا به .
(٢) كيف يجعل من حجته الأساطير والسكيد المحموم من أحقاد اليهود ؟ !

من صحبه بما لا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لما في الصدور ، ففي تخصيصه هذه الحروف الأربعة عَشَرَ بالذكر دون غيرها حكمة بل حكم ، وفي إنزالها مُقطَّعة على هيئة التَّهَجِّي فوائدٌ علمية وفقهية ، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفي أن كانت في بعض السور ، دون بعض فوائدُ أيضاً ، وفي اقتران الألف باللام ، وتقديمها عليها معانٍ وفوائد ، وفي إرداف الألف واللام بالميم تارة ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الألف ، واللام في أوائل السور ، إلا هكذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائدُ أيضاً ، وفي إنزال الكاف قبل الهاء ، والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كهيمص^(١) معانٍ أكثرها تنبُّه عليها آياتٌ من الكتاب ، وتبين المراد بها لمن تدبَّرها . والتدبُّر والتذكر واجبٌ على أولى الأبواب ، والخوضُ في إيراد هذه المعاني ، والقصدُ لإيضاح ملاحى عند الفكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثرٍ وعربية ونظرٍ يُخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به ، ويقضى إفراد جزءٍ أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ؛ والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، لاشريك له .

ذكر تحويل القبلة :

فصل : وذكر تحويل القبلة ، وما قالته جماعةٌ يهودَ حين قالوا : يا محمد ما ولّاك عن قبلتك ، وهم السفهاء^(٢) من الناس ، فيهم نزلت هذه الآية .

(١) اقرأ هكذا : كاف ها يا عين صاد .

(٢) يرى الزجاج أن السفهاء هم المشركون ، ويرى مجاهد أنهم أحبار اليهود ،

وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك ، أى : لم
أصركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا في حديث
الحجرية ، قصة البراء بن معرور فوائده في معنى تحويل القبلة ، فلتنظر هنالك (١)
وأشدد في تفسير الشطر بيت ابن أحر :

تعدو بنا شطرَ جمعٍ وهى عاقدةٌ قد قارب العقدُ من إيفادها الختبا

وألفيتُ في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها :
من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله البرقي ، وقال كارب موضع قارب ،
ووقع في شعر ابن أحر :

تعدو بنا عرضَ جمعٍ وهى مؤقدةٌ قد قارب الغرضُ من إيفادها الختبا

تعدو : من العدو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عرضَ جمعٍ : يعنى مكة ،
وعرضَ أحب إلى ، وعرض : كثرة الناس ، عن الأصمعي ، ومؤقدة ، أى :

ويرى السدى أنهم المنافقون . ويقول ابن كثير قوله حق : والآية عامة في
هؤلاء كلهم .

وفي البخارى أنه صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكذلك في مسلم
وعند ابن أبي حاتم . ويحكى القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن
البصرى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، ويرى ابن عباس
وغيره أن التوجه كان بأمر الله . وقد سبق ذكر شيء عن هذا .

(١) يقول البيضاوى : وفائدة تقديم الإخبار به : توطئ النفس
ولإعداد الجواب .

مشرفة. أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهى عاقدة ، يريد عنقها لاويتها (١) .
والفَرَضُ : البِطَانُ وهو حزام الرِّجْلِ . من إيفادها ، أى إشرافها ، وقد اقتادت :
نصبت عَنْقَهَا وَعَصَرَتْ بَدَنَهَا وتَحَامَصَتْ ببطنها فقرب كلُّ واحد من الفَرَضِ
والْحَقَبِ من صاحبه بذلك . هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته
وقبل البيت :

أنشأتُ أسأله عن حال رِفْقَتِهِ فقال : حَى فَإِن الركبَ قد نصبا (٢) .

ما أنزل الله في بنى قينقاع

فصل : وذكر ما أنزل الله سبحانه في بنى قينقاع ، وقولهم للنبي صلى الله
عليه وسلم : لو حاربتنا ، لعلمت أننا نحن الغاس : ﴿ قل : للذين كفروا
سَتُغْلِبُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ فمن قرأه : يَرَوْنَهُمْ
بالياء ، فعناه أن الكفار يرون المؤمنين مثلهم ، وإن كانوا أقلَّ منهم لما
كثروهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى : ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ قيل : كان هذا قبل القتال عندما حَزَرَ الكفار المؤمنين ، فأوهم

(١) في اللسان : ناقة عافد : تعقد بذنبيها عند اللقاح ، وظبي عاقد : واضع
عنقه على عجزه قد عطفه للنوم . وفي شرح السيرة لابن ذر الحشني : ناقة عافد :
إذا عقدت ذنبيها بين فخذيها في أول ما تحمل .

(٢) في اللسان :

أنشأتُ أسأله ما بال رِفْقَتِهِ حَى الجول . فإن الركب قد ذهب

وحى : حث ودعاء .

قليلًا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة ، فأوهم ، كثيراً فانهزموا ،
وقيل : إن الهاء في يَرَوْنَهُمْ عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رأَوْهُمْ مثلهم ،
وكانوا ثلاثة أمثالهم ، فقللهم في عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالتاء ، فيجوز
أن يكون الخطاب لليهود ، أى تَرَوْنَ المشركين يوم بدرٍ مثلي المؤمنين ، وذلك
أنهم كانوا ألفًا ، فاختزل عنهم الأخدسُ بن شريقِ بنى زُهرة ، فصاروا
سبعائة أو نحوها ، ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أى : ترون أيها
المشركون المؤمنين مثلهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى
الأول الذى قدمناه في قراءة من قرأ بالياء . وفي الآية تخليط عن النراءِ أضرَبنا
عن ذكره ^(١) ، وجُلُّ ما ذكرناه أنما مذكور في التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابنُ هشام في الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفي البخارى عن
بعض أهل العلم قال : الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقيل
نسبوا إلى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم ،
وأنشد ابن هشام :

(١) ذكر الفراء هذا في كتابه معاني القرآن ص ١٩٤ - طدار الكتب . وقد
خطأ القرطبي الفراء في قوله إن معنى أحتاج إلى مثله أنك محتاج إليه وإلى مثله .
قال القرطبي عن هذا إنه بعيد غير معروف في اللغة .
هذا وقد قرأنا نافع ويعقوب : ترونهم . والباقون بالياء . وإذا كان الخطاب لليهود ،
فيحتمل أن تكون الإشارة إلى وقائع أخرى حدثت لبنى إسرائيل مثل قصة
طالوت مع جالوت . . وقيل : إن الرائيين والمرئيين هم المقاتلون في سبيل الله
فالمعنى أنهم يرون أنفسهم مثلى ما هم عليه عدداً .

لو كنتُ مرَّتْهَا فِي الْقَوْسِ أَفْتَنِي مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِي أَحْبَابِي

وقال: القوس: الصومعة، ومن كلام العرب: أنا بالقوس وأنت بالقوس^(١)، فكيف نجتمع؟ وقال في أفتنى: هي لغة تميم، وفرق سيديويه بين فتنته وأفتنته، وجعله من قول الخليل، قال أفتنته: صيرته مفتتناً ونحو هذا، وفتنته، جملة فيه فتنة^(٢)، كما تقول: كحلته جملة في عينيه كحلاً، ومال هذا الفرق إلى أن فتنته صرفته، فجاء على وزنه، لأن المفتون مضمروف عن حق، وأفتنته بمعنى أضلته وأغويته، فجاء على وزن ماهو في معناه، وأما فتنت الحديدية في النار، فعلى وزن فملت، لا غير؛ لأنها في معنى: خبرتها، وبلوتها ونحو ذلك^(٣).

(١) القرقوس: القاع الأملس الغليظ الأجرد الذي ليس عليه شيء.. وقد سبق الكلام عن هذا في الجزء الأول. ويرى سيديويه أن العرب زادوا ألفاً ونوناً في الرباني، لأنهم أرادوا تخصيصه بعلم الرب دون غيره، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم، وهو كما يقال: رجل شعرائي ولحيائي ورقباني إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية، وغلظ الرقبة، فإذا نسبوا إلى الشعر قالوا: شعري، وإلى الرقبة قالوا: رقبتي، وإلى اللحية: لحيي. أقول: وأحسن ما قيل في تعريفه. العالم العامل المعلم.

(٢) وفي اللسان أيضاً: فتن الرجل بالمرأة، وأفتن، وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها وأهل نجد يقولون: أفتنته. وعند الحشني: فتن لغة قيس، وأفتن لغة تميم. ومرتها وتروى: مرتبها.

(٣) في مفردات الراغب الأصفهاني: أصل الفتن: إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رذاته. وفي معجم ابن فارس عن مادة الكلمة أنها تدل على ابتلاء واختيار.. وفتنت الذهب بالنار: إذا امتحنته.. وأنكر الاصمعي: =

تفسير آناء الليل:

فصل وذكر ابن هشام في تفسير آناء الليل ، قال : واحد الآناء إني ،
واستشهد عليه بقول الهذلي (١) ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال
إني فيما حدثني يونس بن حبيب ، وهذا الذي قاله آخراً هو لغة القرآن ، قال
الله تعالى : (غير ناظر بن إناءه) .

ذكر حمل صه الآيات المنزلة في قصص الأُممبار :

فصل : وذكر ابن إسحاق جُملاً من الآيات المنزلة في قصص الأُممبار
ومسائلهم كلها واضحة ، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير
القرآن ، وفي جملتها قوله تعالى ﴿ أَيَّانُ مُرْسَاها ﴾ وقال الفراء في أيَّان : هي
كلمتان ، جملة واحدة ، والأصل : أيَّان ، والآن والأوان بمعنى واحد ،
كما يقال : راح ورياح ، وأنشد :

أفتن . هذا وبيت جرير الذي في السيرة هو هكذا في اللسان :

لا وصل إذ صرفت هند ولو وقفت لاستهتنتني وذالمسحين في القوس

وبعده :

قد كنت تربا لنا يا هند فاعتبري ماذا يريبك من شبي وتقويسي

(١) لبيت المتنخل رواية أخرى في اللسان هي :

السالك الثمر مخشياً موارده بكل إني قضاء الليل ينتعل

ورواية السيرة وردت في اللسان ، وفيها مرته بدلا من شيمته ، وسبق بيان

إني وشيمته : طبيهته .

نَشَاوَى تَسَاقَوْا بِالرِّيحِ الْمَفْلَقِلِ (١)

وقد ذكر المروى في أيان وجهها آخر، قال يجوز أن يكون أصله: أيوان فاندغمت الياء في الواو مثل قيام .

وذكر آية التثنية وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنة عقوبة من الله تعالى لخالفتهم أمره حين فزعوا من الجبارين أعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلاان وهما يوشع بن نون من سبط يوسف، وكالب بن يوفيا من سبط يامين (٢) ادخلوا

(١) البيت في اللسان لاسرى القيس في مادة ربيع وفي مادة أين قال : أنشد أبو القمقام ، وشطرته الأولى :

ورواية الشطرة الثانية في المقامات بشرح الزوزنى : كان مكالى الجواء عديده
صبحن سلافا من رحيق مفلقل

والراح والرياح بفتح الراء : الخمر ، وقد أنشد اللسان البيت في ربيع ، وأين .
وبقبة كلام الفراء أن الآن حرف بنى على الألف واللام ، ولم يخلعا منه وترك على مذهب الصفة ، لأنه صفة في المعنى واللفظ . ويرى أن الآن أصلها الأران ، لحدفت منها الألف ، وغيرت واوها إلى الألف .

(٢) بين القرآن القصة بجلاء لكن لم يرد فيه اسم يوشع وكالب لكن ورد ذكرهما في أسفار العهد القديم . ويقول الدكتور بوست عن يوشع إنه خليفة موسى ، وهو ابن نون من سبط أفرايم ولد في مصر ، وكان أولا خادم موسى ، واسمه في الأصل : هوشع . . وكان هو وكالب الرجلين اللذين تكلموا بالحق بخصوص البلاد التي تجسسوها . وانظر سفر الخروج والعدد . وكالب عندهم هو ابن يفتة — بفتح الياء وضم الفاء وتضعيف النون مع فتح القنوى أحد الجواسيس الإثنى عشر الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان . ويجب أن نأخذما يقصه علينا بنو إسرائيل بحذر بالغ ، ونقد بصير . وحسبنا قصص القرآن الكريم .

عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴿ فلما عَصَوْهَا دعا عليهم موسى ، فتأهوا ، أى تحيروا ، وكانوا ستمائة ألف مقاتل ، فتأهوا فى سِتَّةِ فِرَاسِيخٍ من الأرض ، يمشون النهار كله ، ثم يُنسون حيث أصبحوا ، ويُنسجون حيث أمسوا. وفى تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى ، لأنهم سُفلوا عن المعاشِ بالتيه فى الأرضِ ، وأُبقيت عليهم ثيابهم لِامْتَلَقِ ، ولَا تَدَسَّخْ ، وتطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ حَجْرًا من الطُّورِ ، فيضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنًا ، وفيها ظَلَّلَ عليهم الغمامُ لأنهم كانوا فى البرِّيَّةِ ، فُظِلُّوا من الشمسِ ، وذلك أن موسى كان نَدِمَ حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم فى التيه ، فَكان يدعو الله لهم فى هذه الأمور ؛ لِثَلَايِهَلِكُوا فى التيه جوعاً أو عُزْبًا أو عَطَشًا ، فلما آسى عليهم قال الله له : ﴿ لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ أى : الذين فَسَقُوا أى : خرجوا عن أمرِك . ومات فى أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يُوْشَعَ وكابَ فما دَخَلَ الأرضَ على الجبارين إلا خُلُوفُهُم وأبناؤُهُم ، وقيل : إن موسى مات فى تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتحَ مع يُوْشَعَ ، وقيل : بل كان مع يُوْشَعَ حين افتتحها (١) .

(١) أصل قصة التيه فى القرآن . أما هذه التفصيلات ، فمن أسفار

بنى إسرائيل .

ذكر المرحومين اليهود

فصل : وذكر المرحومة من اليهود ، وأن صاحبها الذي رُجم معها حنكاً عليها بنفسه^(١) ليقية الحجارة . حنكاً بالحاء تعيدني إحدى الروايتين عن أبي الوليد .

(١) بقول الدكتور بوست في قاموسه عن الرجم في العهد القديم . نوع من أنواع العقاب كان كثير الاستعمال لمقاصدة المجرمين الأشقياء حتى إذا لم يذكر نوع القصاص فالغالب أنه الرجم ، فكان يرمي المجرمون وعبدة الأصنام ومدلسو البيت ومرتكبو الفحشاء والمتوردون من البنين ، فيخرج بالمجرم إلى خارج المدينة ، وحسب زعم البعض كان يربط ، وأول من يبدأ برجمه اليهود ، والأرجح أنهم كانوا ينزعون ثيابهم لكي يتمكنوا من إجراء العمل بقوة وانشاط ، مادة رجم وقد ورد في سفر التثنية من العهد القديم ما يأتي : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ، فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة ، وأرجموها بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه . » الإصحاح ٢٢ فقرة ٣٢ - ٣٤ . كما ورد في الإصحاح المتمم للعشرين من سفر اللاويين من العهد القديم ما يأتي : « وإذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة ، فإنه يقتل الزاني والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه ، فقد كشف عورة أبيه ، وإنهما يقتلان كلاهما ، دمهما عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع كنته - والسكنة امرأة الإبن أو الأخ - فإنهما يقتلان كلاهما ، قد فعلا فاحشة دمهما عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا إنهما يقتلان دمهما عليهما ، وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإيهاها لكيلا يكون رذيلة بينكم ، وفيه أيضاً أن المرأة التي تزعم أن فيها جانانا يجب أن ترمي بالحجارة وكذلك الرجل . . أما الرجم فحكاه لم يرد في القرآن والزعم بأنه كان ثم نسخ لفظه وبقي حكمه دعوى بلا بينة ، والقرآن حين ذكر حد الزنى في سورة النور لم يفرق بين محصن وغير محصن بل جاء بالوصف ، ورتب =

وكذلك في الموطأ من رواية يحيى ، فجعل يحنى عليها ، وفي الرواية الأخرى عن
أبي الوليد : جنناً بالجرم والمهز ، وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد ، والجناء
الأنحاء^(١) ، قال الشاعر عَوْفُ بنُ مُحَلَّم :

وَبَدَلْتَنِي بِالشَّطَاطِ الجِنَا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٢)

وفي حُنُوِّه عليها من الفقه : أنهما لم يكونا في حُفْرَتَيْنِ ، كما ذهب إليه
كثير من الفقهاء في سُنَّةِ الرَّجْمِ ، وكذلك رَوَى عن علي رحمه الله ، أنه

== عليه العقوبة ، (لزانية والزاني فاجلدا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم
بهما رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولكن ورد في بعض
الاحاديث أنه حدث رجم .

(١) في القاموس : جنأ عليه كجعل وخرج جنوا ، ورجناً : أكب كأجناً ،
وجانأ ، وتجانأ . وفي النهاية لابن الأثير : أجناً يحنى لإجناء ، وفي رواية أخرى :
فلقد رأيت : يجانيء عليها مفاعلة من جانأ يجانيء .

(٢) أول القصيدة :

يا ابن الذي دان له المشرقان طرا ، وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وبدلتنى بالشطاط الجنأ وكنت كالصعدة تحت السنان

وعدة القصيدة في أمالي القائل : عشرة أبيات ، وسببها أن عوفا دخل على
عبد الله بن طاهر ، فسلم عليه عبد الله ، فلم يسمع ، فأعلم بذلك . فزعموا أنه
ارتجل هذه القصيدة . . وعوف يكنى أبا محم أو أبا المنهال ، وهو شاعر مجيد من
من شعراء الدولة الهاشمية . والشطاط : حسن القوام والاعتدال ، والصعد :
الفتاة المستوية انظر ص ٥٠ ١٠ الامالى ط ٢ و ١٩٨ سمط اللالى للبكرى .

حفر لُشْرَاحَةَ بِنْتِ مَالِكِ التَّهْمَدَانِيَةِ حِينَ رَجَمَهَا . وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَأَكْثَرُهَا عَلَى تَرْكِ الْخَفْرِ لِلرَّجُومِ ، وَاسْمُ هَذِهِ الْمَرْجُومَةِ : بُسْرَةُ ، فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَفِي قِصَّتِهِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ ﴾ الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ ، بِعَنِي مُحَمَّدًا ، وَمَنْ حَكَمَ بِالرَّجْمِ قَبْلَهُ ، لِأَنَّهُ حَكَمَ بِالرَّجْمِ لِأَوْلِيَاكِ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ ، وَالرَّبَّابَانِيُّونَ . يَعْنِي : عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَابْنَ صُورِيٍّ مِنَ الْأَحْبَارِ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُمْ حَفِظُوا أَنَّ الرَّجْمَ فِي التَّوْرَةِ ، لَكُنْهِمْ بَدَّلُوا وَغَيَرُوا ، وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ؛ لِأَنَّهُمْ شَهِدُوا بِذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ فَحَكَمَ بِالرَّجْمِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا بَيِّنٌ لَكَ أَنَّ الرَّجْمَ فِي الْقُرْآنِ ، وَعَلَى هَذَا فَسَرَهُ مَالِكٌ فِيمَا بَلَغَنِي ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلرَّجْلَيْنِ : لِأَحْكُمَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ ، فَحَكَمَ بِالرَّجْمِ ، كَمَا فِي الْكِتَابِ الْمَنْزَلِ عَلَى مُوسَى وَعَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذَا ، وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَا (١) .

(١) روى البخاري ومسلم ومالك وغيرهم أن اليهود جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ، ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة ، ففشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع فإذا آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم - فرجما ، فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقبها بالحجارة ، هذا لفظ البخاري . ولستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما رجع إلى حكم التوراة ، لأنه لم يكن قد نزل حكمه =

واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخرز الحِمَانِي ، واسمه :
 قَتَيْبَةُ ، وَحِمَانٌ هُوَ ابْنُ كَعْبٍ (١) بن سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَفَاةِ بْنِ تَمِيمٍ ، فقال :
 يَجْرُ أَفْوَاهُ الْمِيَاهِ السَّدَمُ

يقال : مَا سِدَامٌ إِذَا غَطَاهُ الرَّمْلُ ، وَجَمْعُهُ : سُدَمٌ ، وَجَمْعُهُ عَلَى سَدَمٍ غَرِيبٌ ، وَيُقَالُ أَيْضًا سِدَامٌ وَأَسْدَامٌ (٢) وَنَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ يَجْرُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَبِيهَا . وَاجْتَهَرَ لَهُمُ عَيْنُ الرَّوَاءِ (٣) ، وَأَنْشَدَ فِي تَفْسِيرِ الْقَوْمِ
 وَأَنَّهُ الْبُرُ :

== الزنا ، وإلا لبادرهم ببيان حكم الله الذي في القرآن قبل أن يسألهم عن حكم الله الذي في التوراة التي يهيمن عليها القرآن . وكل روايات الحديث توحى بهذا المعنى وقصر وصف الربانيين على ابن سلام وابن صوري ، وقصر وصف المسلمين على ما قصره عليه . كل هذا لادليل عليه . فلم لا يعمم معنى الآية ، فيتناول كل أنبياء بنى إسرائيل الذين حكموا بالتوراة من بعد موسى ، وكل الربانيين ؟ ثم أين آية الرجم في القرآن حتى يصدق ما ذهب إليه السهيلي ؟

(١) في الباب لابن الأثير : حمان ، وهي قبيلة من تميم ، وهو حمان ابن عبد العزيز بن كعب النخ بزيادة عبد العزيز عما في الروض .

(٢) في اللسان : ماء سدم - بفتح السين والذال - وسدم - بفتح فسكسر - وسدم - بضم فضم - وسدوم - بضم السين والذال - مندق ، والجمع : أسدام وسدام بكسر السين في هذه ، وقد قيل الواحد والجمع في ذلك سواء . والرجز في السيرة : يجر أجواف .

(٣) في النهاية لابن الأثير : اجتهر دفن الرواء هو بالفتح والمد : الماء الكثير ، وقيل : العذب الذي فيه للواردين رى .

فَوْقَ شِيزَى مِثْلَ الْجَوَابِي عَلَيْهَا قَطَعٌ كَالْوَذِيلِ فِي نَهْيِ قَوْمٍ
الشِّيزَى : خَشَبٌ أَسْوَدٌ تُصْنَعُ مِنْهُ الْجَفَانُ [مَفْرَدُهَا : جَفْنَةٌ ، وَهِيَ الْقِصْمَةُ ،
وَالجَوَابِي : جَمْعُ جَابِيَةٍ : الْحَوْضُ يُجْبَى فِيهِ الْمَاءُ لِلْإِبْلِ] ، وَالْوَذِيلُ : جَمْعُ
وَذِيلَةٍ وَهِيَ السَّبِيكَةُ مِنَ الْفِضَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَتُرِيكَ وَجْهًا كَالْوَذِيلَةِ لَارْيَانَ مَمْتَلِءٌ وَلَاجَنَّهُم

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية : أما والله لقد أَلْفَيْتُ أَمْرَكَ ، وهو
أَشَدُّ انْفِضَاحًا مِنْ حُقِّ الْكَهُولِ . كَذَاكَ رَوَاهُ التَّهْرَوِيُّ ، وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ :
الْكَهْدَلُ ، فَمَا زِلْتُ أُرْمُهُ بِوَذَائِلِهِ ، وَأَصِلُهُ ، بِوَصَائِلِهِ ، حَتَّى تَرَكَتُهُ عَلَى
مِثْلِ فَلَكَةِ الْمَدْرِ . حُقُّ الْكَهُولِ : بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ، وَكَأَنَّ الْقَالَءَ الْهَرَوِيَّ ، قَالَه
أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ فِي كِتَابِ الْيَاقُوتِ ، كَمَا وَقَعَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقُتَيْبِيِّ قَالَه
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَزَازِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، قَالَ : الْكَهْدَلُ : الْعَنْكَبُوتُ ، وَقِيلَ
فِي الْكَهُولِ إِنَّهُ تَمْدَى الْعَجُوزِ ، وَفِي الْعَيْنِ : الْوَذِيلَةُ : الْمِرْآةُ (١) ، وَقِيلَ فِي الْقَوْمِ :
إِنَّهُ الشُّومُ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ :
وَتُومَهَا ، وَلا حِجَّةَ فِي هَذَا لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي النَّبَاتِ : أَنَّ الشُّومَ ، هُوَ الْبُرْمُ ،

(١) فِي النَّهْيَةِ لابن الأثير عن الكهول : رواها الأزهري بفتح الكاف
وضم الهاء ، وقال : هي العنكبوت ، ورواها الخطابي والزحشرى بسكون الهاء .
وفتح الكاف والو ، وقالوا : هي العنكبوت . . وقال القتيبي : أما حق الكهدل ،
فلم أسمع فيه شيئاً من يوثق بعلمه ، بلغني أنه بيت العنكبوت ، ويقال : إنه ندى
العجوز ، وقيل : للعجوز نفسها ، وحقها : نديها .

وأنه يقال بالفاء وبالناء ، ومن الشاهد على النُوم وأنه البرث قول أبي أحيحة
ابن الجلاح ، وقيل هو لأبي مخجن الثقفي :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا
سكن المدينة عن زراعة قوم (١)

وأشد في بعض ما قَسَرَ بيت الأخطل ، قال : وهو الغوثُ بن هُبَيْرَةَ
ابن الصلت (٢) ، يُكنى أبا مالك ، والمعروف : غياثُ بن الغوثِ بن هُبَيْرَةَ
ابن الصلت ، وسُمِّي : الأخطل لقوله :

كَعَمْرُكَ لِمَنِي وَابْنِي جُعَيْلٍ وَأُمُّهُمَا لَأَسْتَارُ لَيْسِمٍ
كل أربعة إستار (٣) قيل : إن كعبَ بن جُعَيْلٍ قال له في خبر جرى بينهما ،

(١) نسبه الأخفش إلى أبي مخجن ، وروايته في اللسان هكذا :
قد كنت أحسبني كأغني واحد نزل المدينة عن زراعة قوم
(٢) الأخطل في سمط الآلى : غياث بن غوث ، وفي ديوانه برواية السكري :
غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سيحان بن العذولاس بن عمرو بن مالك بن
جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفي الأغاني ابن الطارقة ، ويقال :
ابن السحيان بن عمرو بن العذولاس . وعن المدائني : غوث بن مسلمة بن طارقة
انظر ص ٤٤ من السمط .

(٣) وقيل الإستار : رابع أربعة . وقيل هو معرب عن الفارسية ، وأصله
جهار ، ويجمع أساتير ، وقال أبو حاتم : ثلاثة أساتير . . ويقول ابن قتيبة
عن الأخطل : وسمى الأخطل ، من الخطل ، وهو استرخاء الأذنين . .
قال شارحه ابن السيد : لا أعلم أحدا ذكر أن الأخطل كان طويل الأذنين
مسترخيها ، والمعروف أنه لقب الأخطل لبذاهته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابني

والأخطل يومئذ غلامٌ يقرؤمُ ، أى : كما يَبْنَدِي (١) يقول :

قُبِّحَ ذاكَ الوَجْهُ غِيبُ الحُمَةِ (٢)

فقالُ الأخطلُ ، ولم يَكُنْ

وفعلَ كعبُ بنُ جَعيلٍ أمَّهُ (٣)

فقالُ جَعيلٌ ؛ إنك لأخطلٌ (٤)

جميل احتسبا إليه مع أمهما ، فقال البيت الذى ذكره السهيلي ، فقيل : إنه لاخطل
فلومه هذا اللقب .

(١) القرزومة : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه ، وتقوى
قريحته .

(٢) فى الاغانى : شاهد هذا الوجه الخ ، وفى خزانة الادب ويل لهذا الوجه

(٣) فى الاغانى : بدل د وفعل ، كلمة يقبح ذكرها وقد استبدلها السهيلي ،
ولهذا قال : ولم يكن يعنى أن الاخطل ذكرها صريحة .

(٤) الخبر بطرله فى الاغانى ص ٢٨ > ٨ ط لبنان ، وانظر خزانة البغدادي
ص ٣٠٨ وما بعدها > ١ طبع دار المصور .

تم بحمد الله
الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس
ان شاء الله

وأوله: ﴿ ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم ﴾

فهرس

الجزء الرابع من الروض الأنف

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
من أسواق العرب	٢٣	المقدمة	٥
ما أنزل الله في الربا	٢٥	كفاية الله أمر المستهزين «س»	٧
وفاة أبي طالب ووصيته	٢٦	الوليد وأبو أزيهر	٨
تفسير المشي في سورة ص	٢١	ثورة لمقتل أبي أزيهر	١١
تابع المصائب بموت خديجة	٢٢	آية الربا من البقرة	١٢
لرسول يسمى إلى اللطائف «س»	٢٣	الهم بأخذ نار أبا أزيهر	١٣
موقف ثقيف من الرسول ص	٢٣	عمل أم غيلان	١٣
أمرجن نصيبين	٢٦	من المؤذنين لرسول الله	١٣
عرض رسول الله ص نفسه على القبائل	٢٦	ما ساءنا الرسول ص بعد وفاة أبي طالب وخديجة «س»	١٤
العرض غلى بنى كلب	٢٨	ما حدث بين النبي «ص» وبين أبي طالب والمشركين «س»	١٥
حذيفة	٢٨	الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب	١٦
عامر	٢٨	ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب «س»	١٧
عرض على العرب في المواسم	٣٩	عن المستهزين وملكان	١٧
حديث سويد بن صامت	٤٠	حديث الوليد بن المغيرة	١٩
إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحخير «س»	٤٢	عن مقتل أبي أزيهر وموقف «س»	١٩
الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة «س»	٤٣	عن أطرقا ومن أحكامه أن شعر الجون	٢٠
			٢٢

س = سيرة . ووما ليس أمامه شيء فهو من الروض .

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
عهد الرسول عليه الصلاة والسلام	٨٢	أسماء الخزرجين الذين التقوا	٤٤
على الأنصار «س»		بالرسول عند العقبة «س»	
أسماء النقباء الاثني عشر وتمام	٨٢	خروج النبي ص إلى الطائف	٤٥
خبر العقبة «س»		نور الله ووجهه	٤٨
النقباء من العقبة «س»	٨٣	خبر عداس	٥٦
النقباء من الأوس «س»	٨٥	جن نصيبين	٥٧
شعر كعب بن مالك عن	٨٥	ذكر عرض نفسه على القياثل	٥٩
النقباء «س»		عرض نفسه على كندة	٦٠
ما قاله العياض بن عيادة للخزرج	٨٦	في هذا الكتاب تمة لفائدته	٦٠
قبل المبايعة «س»		حديث سويد بن صامت	٦٥
أول صحابي ضرب على يد الرسول	٨٧	ذكر مجلة لقمان	٦٦
في بيعة العقبة الثانية «س»		ذكر قدوم أبي الخيسر	٦٧
الشیطان وبيعة العقبة «س»	٨٨	بده إسلام الأنصار	٦٨
الرسول لا يستجيب اطلب	٨٨	بيعة العقبة الأولى «س»	٧١
الحرب من الأنصار «س»		رجال العقبة من الأوس «س»	٧٣
مجادلة جلة قريش للأنصار في	٨٩	رجال العقبة الأولى من بني	٧٣
شأن البيعة «س»		عمرو «س»	
قريش تطلب الأنصار وتأمرو	٩٠	بيعة العقبة «س»	٧٣
سعد بن عباد «س»		مصعب بن عمير ووفد العقبة «س»	٧٤
خلاص سعد بن عباد «س»	٩٠	أول جمعة أقيمت بالمدينة «س»	٧٤
هجرة مصعب بن عمير	٩٧	إسلام سعد بن معاذ وأسيد	٧٥
أول جمعة	٩٨	ابن حضير «س»	
نقيع الخضات	٩٩	إسلام عبد الله بن عمرو	٨١
الجمعة	١٠٠	ابن حزام «س»	
لفظ الجمعة	١٠٦	«س»	
أيام الاسبوع	١٠٦	«س»	
		أم أمان في البيعة	٨١
		العباس والأنصار «س»	٨٢

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٠٩	إسلام سعد بن معاذ وأسيب	١٤٧	الإذن لمسلمي مكة بالهجرة «س»		
	ابن حضير	١٤٨	المهاجرون إلى المدينة		
١١٠	هل يفتسل الكافر إذا أسلم	١٤٨	هجرة أبي سلمة وزوجته ،		
١١١	من شرح شعر ابن الأسلمت		وحديثها عما لقيها «س»		
١١٢	ذكر البراء بن معرور، وصلاته	١٥٠	هجرة طاهر وزوجه وهجرة		
	إلى القبلة		بني جهش «س»		
١١٣	قبلة الرسول ص	١٥٤	إسلام عمرو بن الجوح وصنبه		
١١٨	أم عمارة وأم منيع في بيعة	١٥٥	تفسير بعض الأنساب		
	العقبة الأخرى	١٥٩	ذكر خديج بن سلامة البلوي		
١١٩	قول البراء بن معرور	١٦١	متى أسلم عثمان بن أبي طلحة		
١٢١	ترجمة البراء	١٦٢	هجرة بني جهش		
١٢١	والهدم الهدم	١٦٣	الشعر الذي تمثل به أبو سفيان		
١٢٣	من ولي النقباء	١٧٠	هجرة همر وقصة عياش معه «س»		
١٢٥	تفسير بعض ما وقع في وجدته	١٧١	كتاب همر إلى هشام بن العاصي «		
١٢٨	تذكير فعيل وتأنيثها	١٧٢	الوليد بن الوليد وعياش وهشام «		
١٢٩	من ألقاب الطويل	١٧٢	منازل المهاجرين بالمدينة		
١٣٠	معاني الكلمات	١٧٤	منزل حمزة وزيد وأبي مرثد		
١٣١	حول فصيحة حسان		وأبنته وأنسه وأبي كبشة «س»		
١٣٣	قصة صنم عمر بن الجوح «س»	١٧٥	خبر الندوة وهجرة الرسول		
١٣٤	إسلام عمرو بن الجوح «		صلى الله عليه وسلم «س»		
١٣٤	شروط البيعة في العقبة الأخيرة «	١٧٦	الملا من قريش ينشاورون في		
١٣٥	أسماء من شهد العقبة «		أمر الرسول ص «س»		
١٣٨	من شهدها من بلحارث	١٧٨	بما يقال عن ليلة الهجرة «س»		
١٤٦	ابن الخزرج «س»	١٨٠	الآيات التي نزلت في ترويض		
	نزول الأمر لرسول الله ص		المشركين بالنبي «س»		
	في القتال «س»	١٨١	الهجرة إلى المدينة «س»		

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
مكة والمدينة	٢٠٧	الذين كانوا يملكون بالهجرة «س»	١٨٢
حديث الغار	٢٠٨	الرسول ص وأبو بكر في النار »	١٨٢
الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر	٢١٥	الذين قاموا بشئون الرسول في الغار «س»	١٨٢
معية الله مع رسوله وصاحبه	٢١٦	لم مهميت أساء بذات النطاقين «س»	١٨٣
حديث سراقه بن مالك بن جعشم	٢١٧	راحلة النبي ص	١٨٤
الكنفاني		أبو جهل يضرب أسماء بنت	١٨٤
حديث أم معبد	٢٢٠	أبي بكر «س»	
نسب أم معبد وزوجها	٢٢٥	خير الجنى الذي تغنى بمقدم	١٨٥
طريق الهجرة «س»	٢٢٨	الرسول ص «س»	
النزول بقباء	٢٢٩	نسب أم معبد «س»	١٨٥
المتازل التي نزلت بقباء	٢٣٠	آل أبي بكر بعد هجرته	١٨٦
سهيل بن جندب وامرأة مسلحة	٢٣٢	خبر سراقه بن مالك	١٨٦
بناء مسجد قباء	٢٣٢	هجرة عمر وعياش	١٨٨
القبائل تعترضه لينزل عندها	٢٣٣	قول هشام بن العاص	١٩١
مبرك الناقة بدار بنى مالك	٢٣٣	نزول طلحة وصهيب على خبيب	١٩١
ابن النجار «س»		بن إساف	
المسجد والمسكن «س»	٢٣٤	أبو كبشه	١٩٢
عمار والفئة الباغية «س»	٢٣٤	سالم مولى أبي حذيفة	١٩٦
ارتجاج على	٢٣٥	اجتماع قريش للتشاور في أمر	١٩٨
مشادة عمار	٢٣٥	النبي ص	
الرسول ص يوصى بهمار	٢٣٥	إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة	٢٠٢
إضافة بناء أول مسجد إلى	٢٣٦	لم اشترت الراحلة	٢٠٤
عمار «س»		ذكر ابن اسحاق في غير رواية	٢٠٥
الرسول ص في بيت أبي أيوب	٢٣٦	ابن هشام	
تلاحق المهاجرين	٢٣٧	بكا الفرج من أبي بكر	٢٠٦

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
من قصة أبي سفيان مع بني حنشل	٢٨٠	قصة أبي سفيان مع بني حنشل «س»	٢٣٨
الخطبة	٢٨١	انتشار الإسلام ومن بقي على	٢٣٨
الحب	٢٨٢	شركه «س»	
من شرح الخطبة	٢٨٦	الخطبة الأولى	٢٣٩
كتاب رسول الله ص فيما بينه وبين	٢٨٩	الثانية	٢٣٩
اليهود		كتاب المواعدة لليهود	٢٤٠
متى دخل اليهود يثرب ؟	٢٩٠	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٢٤٤
اسم يثرب	٢٩١	بلال يوصى بديوانه لابن رويحه	٢٤٦
تفسير على رباعهم	٢٩٣	أبو أمامة	٢٤٦
من كلمات الكتاب	٢٩٤	بلاد في طريق الهجرة	٢٤٧
المؤاخاة بين الصحابة	٢٩٦	قصة أوس بن حجر	٢٥١
نسب أبي الدرداء	٢٩٧	متى قدم الرسول من المدينة	٢٥٣
نسب الفرع	٢٩٨	كلثوم بن الهدم	٢٥٣
مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة	٢٩٨	تأسيس مسجد قباء	٢٥٤
خبر الأذان «س»	٢٩٩	التاريخ العربي	٢٥٥
رؤيا عبد الله بن زيد	٢٩٩	من ودخلها على الزمان	٢٥٧
رؤيا عمر في الأذان	٣٠٠	تحلحل وتلحلمح	٢٦٠
ما كان يقوله بلال في الفجر	٣٠١	المربد وصاحبه	٢٦١
أبو قيس بن أبي أنس	٣٠١	حول بتمان المسجد	٢٦٢
الاعداء من يهود	٣٠٥	سمية أم عمار	٢٦٤
من يهود بنى النضير	٣٠٥	إضافة بناء المسجد إلى عمار	٢٦٦
من يهود بنى ثعلبه	٣٠٦	أطوار بناء المسجد	٢٦٦
من يهود بنى قينقاع	٣٠٦	بيوت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٦٧
من يهود بنى قريظة	٣٠٧	حب حباب	٢٧٨
من يهود بنى زريق	٣٠٧	الشوم	٢٧٩
من يهود بنى حارثة	٣٠٧	مصير منزل أبي أيوب	٢٧٩

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
من أسلم من أحبار يهود نفاقا «س»	٣٢١	من يهود بني همرو «س»	٣٠٨
من بني قينقاع	٣٢١	من يهود بني النجار	٣٠٨
طرد المنافقين من مسجد الرسول	٣٢٢	اسلام عبد الله بن سلام	٣٠٨
صلى الله عليه وسلم «س»		حديث مخبريق	٣١٠
مازل من البقرة في المنافقين	٣٢٤	شهادة عن صفية	٣١٠
ويهود ما نزل في الأحبار «س»		من اجتمع لى يهود من منافق	١١١
ما نزل في منافق الأوس والخزرج	٣٢٦	الانصار منافقو بنى عمرو	
تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٣٢٧	«س»	
دعوى اليهود قبلة الجذاب في الآخرة ورد الله عليهم «س»	٣٣٥	منافقو حبيب	٣١١
تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٣٣٧	من نفاق جلاس	٣١١
سؤال اليهود الرسول، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام «س»	٣٤١	ارتداد الحارث بن سويد	٣١٣
إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام ورد الله عليهم «س»	٣٤٢	وغدره «س»	
كتابته صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر «س»	٣٤٢	منافقو بنى ضبيعة	٣١٤
تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٣٤٤	منافقو بنى لوزان	٣١٤
ما نزل في أبي ياسر وأخيه	٣٤٥	منافقو بنى ضبيعة	٣١٥
كفر اليهود به ص بعد استفتائهم وما نزل في ذلك «س»	٣٤٧	معتب وابنا حاطب بدريون	٣١٥
ما نزل في نكران مالك بن الصيف	٣٤٧	وليسوا منافقين «س»	
العهد اليهم بالنبي «س»		من بنى ثعلبة	٣١٦
ما نزل في قول أبي صلحبا	٣٤٨	من بنى أمية	٣١٦
«ما جئتنا بشيء نعرفه» «س»		من بنى عبيد	٣١٦
ما نزل في قول ابن حريملة ووهب	٣٤٨	من بنى النبيت	٣١٧
		من بنى ظفر	٣١٨
		من عبد الأشهل	٣١٩
		من الخزرج	٣٢٠
		من بنى چشم	٣٢٠
		من بنى عوف	٣٢٠

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ما نزل في أخذ الميثاق عليهم «س»	٣٥٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٤٨
سعيهم في الوقعة بين الأنصار «	٣٥٨	ما نزل في صدحبي وأخيه الناس	٣٤٩
شيء عن يوم بعث	٣٥٨	عن الإسلام «س»	
تفسير ابن هشام لبعض الغريب «	٣٥٩	تنازع اليهود والنصارى عند	٣٤٩
ما نزل في قولهم «ما آمن لإثرائنا» «	٣٦٠	الرسول صلى الله عليه وسلم «س»	
تفسير ابن هشام لبعض الغريب «	٣٦١	ما نزل في طلب ابن حريملة أن	٣٥٠
ما كان في نهي المسلمين عن مباينة	٣٦١	يكلمه الله «س»	
اليهود «س»		ما نزل في سؤال ابن صوريا	٣٥٠
ما كان بين أبي بكر وفتحاص «س»	٣٦٢	لنبي عليه الصلاة والسلام	
أمرهم المؤمنين بالبخل	٣٦٢	بأن يهود «س»	
جحدهم الحق	٣٦٤	مقالة اليهود عند صرف القبلة	٣٥١
تفسير ابن هشام الغريب	٣٦٥	إلى الكعبة «س»	
النفر الذين حزبوا الأحزاب «	٣٦٦	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٥٢
تفسير ابن هشام لبعض الغريب «	٣٦٦	كنيتهم ما في التوراة من الحق «	٣٥٣
أنكارهم التنزيل	٣٦٧	جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام	٣٥٣
جتاعهم على طرح الصخرة على	٣٦٨	حين دعاهم إلى الإسلام «س»	
رسول الله ص «س»		جمعهم في سوق بني قينقاع «	٣٥٤
ادعائهم أنهم أحباء الله «	٣٦٨	دخوله ص بيت المدراس «	٣٥٤
إنكارهم نزول كتاب بعد موسى	٣٦٩	اختلاف اليهود والنصارى في	٣٥٥
عليه السلام «س»		إبراهيم عليه السلام «س»	
رجوعهم إلى النبي ص في حكم الرحم «	٣٦٩	ما نزل فيهم به بعضهم من الإيمان	٣٥٥
ظلمهم في الدية	٣٧٢	غدوة والسكر عشية «س»	
فصدهم الفتنة رسول الله ص «	٣٧٢	ما نزل في قول أبي رافع والنجراني	٣٥٦
جحدهم نبوة عيسى عليه السلام «	٣٧٣	«أريد أن تعبدك كما تعبد	
ادعائهم أنهم على الحق «	٣٧٤	النصارى عيسى «س»	
إشراكهم بالله «	٣٧٤	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٥٧

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
يهود المدينة	٣٩٧	تهيه تعالى للمؤمنين عن موادتهم «س»	٣٧٥
السحر المنسوب إلى النبي ص	٣٩٨	سؤالهم عن قيام الساعة «س»	٣٧٥
فقه حديث السحر	٤٠٤	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٧٦
إسلام عبد الله بن سلام	٤٠٧	ادعاءهم أن عزيراً ابن الله «س»	٣٧٧
ذكر المنافقين	٤١٠	طلبهم كتاباً من السماء «س»	٣٧٧
ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق	٤١١	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٧٨
الدرعين		سؤالهم له ص عن ذى القرنين «س»	٣٧٨
ذكر ما أنزل الله في المنافقين	٤١٥	تهممهم على ذات الله وغضب الرسول	٣٧٩
حديث أبي ياسر بن أخطب	٤١٨	ص لذلك «س»	
معاني الحروف في أوائل السور	٤٢١	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٨٠
ذكر تحويل القبلة	٤٢٢	بده الآذان	٣٨٠
ما أنزل الله في بني قينقاع	٤٢٤	حديث صرمة بن أبي أنس	٣٨٩
تفسير آناه الليل	٤٢٧	من شرح شعره	٣٩١
ذكر جملة من الآيات المنزلة في قصص الاحبار	٤٢٧	تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن	٣٩٦

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الرابع من
كتاب الروض الأنف بمطابع دار النصر ١٣ شارع
سعد الله بالدرب الأحمر - بالقاهرة

دار النصر

جادی الثاني ١٣٨٩ هـ
أغسطس ١٩٦٩ م

